

الدكتور عبد العزيز شرف

الجغرافيا الصحفية

وتأريخ الصحافة العربية



عالم الكتب

الجغرافيا الصحفية

وتأريخ الصحافة العربية

الدكتور عبد العزيز شرف

عالم الكتب



نشر - توزيع - طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدي : 11518

❖ الطبعة الأولى
1425 هـ -- 2004 م

❖ رقم الإيداع 4450 / 2004

❖ الترقيم الدولي I.S.B.N

397-4 - 232 - 977

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكتروني : info@alamalkotob.com

| الفهرس | |
|---------|---|
| الصفحة | الموضوع |
| ٥ | مقدمة: الجغرافيا الصحفية. |
| ١٩ | القسم الأول: الوحدة والتنوع في التاريخ الصحفي العربي. |
| ٢٥-٢١ | الفصل الأول: الوحدة والتنوع التصور والمفهوم. |
| ٥٢-٢٧ | الفصل الثاني: الوحدة والتنوع في الصحافة الشعبية. |
| ٦٨-٥٥ | الفصل الثالث: المقاومة الصحفية ومفهوم الوحدة. |
| ٩٦-٧٩ | الفصل الرابع: الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال. |
| ١٠٥-٩٧ | الفصل الخامس: الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية. |
| ١٣١-١٠٧ | الفصل السادس: الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة |
| ١٣٥ | القسم الثاني: الملاحق. التاريخ الصحفي العربي. |
| ١٣٥ | [١] الصحافة العربية في السودان. |
| ١٣٨ | [٢] الصحافة في سوريا. |
| ١٤٧ | [٣] الصحافة في لبنان. |
| ١٥١ | [٤] الصحافة في الأردن. |
| ١٥٥ | [٥] الصحافة في فلسطين. |
| ١٦٦ | [٦] الصحافة في العراق. |
| ١٧١ | [٧] الصحافة في المملكة العربية السعودية. |
| ١٧٥ | [٨] الصحافة في اليمن. |
| ١٧٨ | [٩] الصحافة في الكويت. |
| ١٧٩ | [١٠] الصحافة في دولة البحرين. |
| ١٨٠ | [١١] الصحافة في دولة قطر. |
| ١٨١ | [١٢] الصحافة في دولة الإمارات العربية المتحدة. |
| ١٨٢ | [١٣] الصحافة في سلطنة عمان. |
| ١٨٤ | [١٤] الصحافة في ليبيا |
| ١٩٥ | [١٥] الصحافة في تونس. |
| ١٩٩ | [١٦] الصحافة في الجزائر. |
| ٢٠٩ | [١٧] الصحافة في المغرب. |
| ٢١٦ | [١٨] الصحافة في موريتانيا. |

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتفرّع من العلوم العصرية مباحث مستقلة، يطلق عليها بعضهم اسم «العلوم» لاستقلالها بموضوعاتها الخاصة، ولكنها أخرى أن تسمى بالمباحث — كما يقول أستاذنا العقاد — رحمه الله، أو تسمى الدراسات العلمية، لأنها أقرب إلى التطبيقات التي تبنى على العلوم المتفرقة منها إلى العلم المنفرد بقواعده وتجاريه وأصوله^(١).

وعلى سبيل المثال يذكر العقاد في هذه الدراسات ما يسمونه بعلم السياسة الجغرافية، وهو غير الجغرافية السياسية وقد شاع شيوعا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى، لأن هذه الحرب قد أظهرت بالأمثلة الجلية فعل الموقع الجغرافي في توجيه السياسة الدولية وتوحيد خططها؛ وإن تبدلت حكوماتها بين امبراطورية وجمهورية أو بين حكومة مطلقة وحكومة دستورية^(٢).

ولا يلتبس موضوع الجغرافية السياسية، وموضوع الجغرافيا الصحفية في سياق كتابنا هذا، فإن الجغرافيا السياسية مبحث قديم يُعَلِّم الناس موضوعه المقل منذ زمن بعيد، أما الجغرافيا الصحفية، فالذين يدرسونها يهتمون قبل كل شيء بموقع البلد وصحافته، وأحوال الدولة، ونظم الحكم، وعلاقات التأثير والتأثر بالصحافة في البلدان الأخرى.

وتأسيسا على هذا الفهم، فإننا نطرح في هذا الكتاب مبحثا طريفا نسميه بالجغرافيا الصحفية أو بجغرافية الإعلام Geography of media، ويدلُّ هذا الاسم المقترح على موضوعه، بغير حاجة إلى التفصيل في شرحه. فإن هذا

(١) فن المقال الصحفي في أدب عباس محمود العقاد: القاهرة؛ هيئة الكتاب ١٧٥

(٢) نفسه ص ١٧٥ — مجلة الأزهر/ سبتمبر ١٩٥٩.

الاسم يوحى بالعلاقة بين وسائل الإعلام ومواقع البلدان، ويدل على اعتقاد الباحثين فى هذ الموضوع أن للموقع شأنًا فى انتشار وسيلة من وسائل الإعلام، وإن للموقع شأنًا فى تقديم بعض هذه الوسائل على بعضها البعض وتغليب الإقناع أحيانًا على الإكراه.

ويرتبط بهذا البحث النظر إلى مدرسة المناطق أو الأقاليم فى الأدب وتطورس فنون القول، من حيث انقسام هذه الفنون فى تاريخ الأماكن والأزمنة على أساس: العودة إلى الأرض، تميزا لها من ضروب الكتابة التى تصطبغ بالصبغة الصناعية، وتميزا لها فى الوقت نفسه من أدب الطبيعيين الذين يتحللون من قواعد الفن ومن الغايات المثالية^(١).

ويرى العقاد أن مدرسة الإقليمية بهذا المعنى فيها جانب معقول «يقوم على رغبة حسنة فى التخلص من عيوب الصناعة وعيوب الحيوانية، ولكنه منتقد فى الوسيلة، وإن لم يكن منتقدا فى الرغبة والغاية، لأن الصناعة مكسب للإنسانية لا يجوز إهماله. وجذور «الوحدة» فى الصحافة العربية، ترتبط بالبيئة المعنوية، التى نجدها أوضح ما تكون فى «عقيدة التوحيد» التى تلفت هذه الأقاليم، وفى الثقافة المشتركة، وفى الحياة الاجتماعية المتقاربة، فإذا لمح الدارسون «فى هذه الوحدة عناصر افتراق بين الأقاليم فإن هذه العناصر لا تستطيع أن تتحكم فيها وأن تسودها، وهى ليست من العمق ومن الأصالة حتى تغيب وراءها عناصر الوحدة..»^(٢).

وأول عناصر الوحدة فى الصحافة العربية: العروية، التى انطبع بها الفن الصحفى، ووسمت «الشخصية القومية» بسماتها الخلقية والخلقية، فأظهر الفن الصحفى العربى من سماتها تلك: سمة الانفعال والسرعة، على نحو ما نجد عند الشاعر القديم:

(١) العقاد/ السابق ص ١٥

(٢) شكرى فيصل المرجع السابق، ص ١٩٧.

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زُرافات ووحداًنا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وإثارة العرب لبلادهم أبلغ وأصدق، فليس «بغريب على من أنبته الله على أرض اجتمع له على سطحها ماء جارٍ وظلٌّ وأرف، ألا يؤثر عليها، وإنما الغريب على من ينبتة الله على أرض ترابها رمال، وماؤها سراب، وطيرها جراد، ثم لا يؤثر عليها ويؤثرها على جنات وعيون.

وهكذا خلق الله العرب أقنع بأوطانهم منهم بأرزاقهم، وعن ابن عباس أنه قال لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدُ الرزق^(١).

اتسمت «الوحدة» فى الأدب العربى، بسمة أخرى على صعيد ما يسميه «إليوت»: «الفرقة والنحلة»^(٢) فوجدنا أن العرب المسيحيين قد تفانوا فى الدعوة إلى «الوحدة العربية» وأشادوا بدور العرب والإسلام فى الحضارة، ومن ذلك أن «إيليا أبو ماضي» أشاد بالعروبة التى تُظلّ برايتها المسلمين والمسيحيين جميعاً وتؤلف بينهم فى إخاء تام ومحبة وعمل مشترك فى سبيل مجدها. فتراه يخاطب إخوانه فى قصيدة يدعوهم إلى نبذ الخلاف الدينى وإلى التآلف فى الحياة فالأصل واحد وهو العروبة والانتماء إلى شجرتها العتيقة:

أتباع أحمد والمسيح هوادة ما المهد أن يتنكر الإخوان
الله رب الشرعتين وربكم فإلى متى فى الدين تختصمان
مهما يكن من فارق فكلكما ينمى إلى قحطان أو غسان

وهكذا لم تقف الطائفية حاجزاً فى سبيل «الوحدة» فى الأدب العربى، بل سرعان ما أدرك مفكرو الإسلام والمسيحيين خطورة النعرة الطائفية على الدعوة

(١) إبراهيم الأبيارى، المرجع السابق ص ٤٢.

(٢) ت. س. إليوت المرجع السابق، ص ٨١.

القومية فأصبحنا نجد الدعوة عامة إلى اعتبار التاريخ العربى تاريخا مشتركة للأمة العربية، واعتبر الرسول محمد بن عبدالله صلوات الله عليه نبي الإسلام زعيما للعرب، وصار المسيحيون متحمسين للعروبة تحمس المسلمين أنفسهم وأشدّ، وظهر من بينهم شعراء كبار وكتاب أعلام وعلماء أفذاذ دافعوا عن العروبة عنصرا ولغة وقومية، وظهرت فى الصحف العربية أسماء إيليا أبو ماضي، ونجيب الحداد، والأب انتاس الكرملى، وجورجى زيدان، والأب لويس شيخو، ونظرائهم^(١) فى الصحافة المصرية والشامية والبلاد العربية. ولازلنا نذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقي:

الدين للدينان جلّ جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما
يقول شوقي (المصرى) فى الثورة السورية:

سلام من صبا بردى أر ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعلنة البراعة والقوافى جلال الرّء عن وصف يدق

وفىها يقول بيته الشهير:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق
وكان لمأساة فلسطين أثرها الكبير فى النزوع نحو «الوحدة» فى الصحافة العربية فشارك الصحفيون من جميع الأقاليم العربية فى إثراء صحافة المقاومة، فى فلسطين والجزائر، والحركات التحررية، على النحو الذى جعل «الوطن» كمصطلح لا يرتبط بمفهوم «التنوع»، وإنما أصبح يرتبط بمفهوم «الوحدة» فلم يصبح «الوطن» مصرا أو عراقا أو شأما، وإنما أصبح «الوطن العربى» شارة على الصحافة العربية مضمونا وشكلا.

وهن ذلك ما قاله الشاعر السعودى محمد حسن عواد فى معركة القناة:

(١) د. محمد زغلول سلام المرجع السابق، ص ١٧.

والوعى عند بنى العرو
هو فيهمو روح الجما
من عهد إسماعيل أو
همت به الأحساب قبل
ودعاية الإسلام بالصو
وإشارة الكتاب والشعراء
حتى تبلور فكرة
تمشى به الأثراد فى
وصفا له القوم الذين دعوا

بة شارة الرجل اللبيب
عة ظل ينضج بالطيوب
من عهد يعرب فى الحقوب
الجاهلية للحسيب
ت الجهير بلا لغـوب
بالأدب المهيـب
وثابة العمل النجيب
المعمور ينشر فى الشعوب
إلى الحق الحبيب

ومن حيث الشكل فى الصحافة العربية، فقد وجدنا أن التجديد يمكن أن يُعدّ كذلك.. «مُعَاملاً» للوحدة فى العصر الحديث فقد تبادل الصحفيون فى الأقاليم العربية علاقات التأثير والتأثر. ومن ذلك أن فنون الإخراج والتحرير الصحفى وسمت التجديد فى الصحافة العربية فى جميع الأقاليم بسماتها المشتركة، وكان التأثير والتأثر متبادلاً بين الشام والعراق ومصر والسعودية والخليج والمغرب وغيرها من الأقاليم العربية.

ومن ذلك يتضح أن «التنوع» فى الصحافة هو فى إطار «الوحدة» وليس هناك مجال لإحياء النزعات الإقليمية المفتعلة لأن «التنوع» يؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق المفهوم العلمى «للوحدة» كما يكسبها دعماً وإثراء فى إطار وحدة الثقافة العربية التى تفاعلت فيها مصادرها وتعاونت عواملها وتكاملت أركانها.

بهذا نستطيع أن نعلل تلك الظواهر التى اكتنفت «حب الوطن» فى الأدب العربى الذى أصبح قضية ذهنية وعلمية، يؤلف فيه، وتختبر به كتب وتستفتح به كتب وتنفرد به أبواب من كتب. «فابن عساكر» مثلاً حين يؤلف عن دمشق تاريخه الكبير يفرد جزءاً عن فضائلها ثم يمجى يجمع من نشأ فيها ومن دخل إليها ومن وصل حبله بحبلها، وكذلك فعل «الخطيب» فى تاريخه لبغداد، وفعل كثير غيرهما.

ولعل في ذلك ما يفسر، ما ذهب إليه «إليوت» من أننا لا نعى عناية كافية «بايكولوجيات الثقافات»، ذلك أن «البيئة» تستطيع أن تقدم للصحفي معطيات متنوعة تسم الصحافة بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التي تكون مادة استمداد الصحفي أو تصبغه بصيغ من الأصباغ المحلية المختلفة، وقد يكون في معطيات تلك البيئة مادة خصبة للصور والأخيلة وضروب التصوير المختلفة (١).

ولذلك تذهب الجغرافيا الصحفية في سياقنا هذا إلى أن «الكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها، وتلك المزايا والخصائص هي التي توج الحياة الصحفية فيها وتؤثر في سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الأقاليم الصحفية.

ويذكر المؤلف أن الأستاذ العقاد، قد وجّه إليه سؤال، كذلك الذي طرحه دراسة تاريخ الصحافة العربية، وفحواه:

– كيف تريد الصحافة في البلاد العربية؟

فقال رحمه الله:

– كما أريد البلاد العربية.. واختصر بذلك مراحل الطريق.

ذلك أن الصحافة المثلى كما يقول هي صحافة مستقلة في آرائها، مخلصه في نصائحها أمينة في أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

وفي مقدورك أن تؤدى هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة، وهي أن الصحالة المثلى هي صحافة الأمة المميزة الرشيدة.. والتميز في الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قوية الفطرة فلا تشترط فيها شروطا للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت

(١) أمين الخولي الأدب المصري (القاهرة، دار المعرفة)، ص ٢.

شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التى تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

فى الأمم التى يعوزها العلم والدراية السياسية يصدقون رأى الأعوج ويكذبون رأى المستقيم ويقبلون الباطل السخيف ويعرضون عن الحق المين، لأن تمييز الحق يحتاج إلى كفاءة ذهنية وفضيلة خلقية ولا يصل إليه المرء إلا بعد الموازنة بين الأسباب والمقابلة بين الأسانيد والبراهين والرجوع إلى المعلومات والسوابق الماثورة. أما قبول الباطل فلا يحتاج إلى شيء من ذلك. . كل ما يحتاج إليه جهل وكفى. . والجهل لا يتعلمه الجهلاء بعناء.

فى الأمم التى يعوزها العلم والدراية الفطرية، تستعر الخصومات الحزبية وتتجاوز الحدود، لأن رأى العام لا يحسن الحكم الفاصل بين الخصوم ولا يدرك حقيقة الدعاوى والأقاويل، فلا تزال الخصومات قائمة، ولا تزال الأباطيل شائعة والحقائق مجهولة. ولو عرضت هذه الخصومات على جمهور يقطن إلى صوابها وخطئها لقضى على الخطأ وأخذ بناصر الصواب فى ساعة ظهوره، فأراح نفسه وأراح المختلفين من لجانة الخلاف.

ونحن نلمح أثر التقدم فى صحافتنا كلما لمحنا أثر التقدم فى أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غدا - فيما نرجوه - خير مما نرانا اليوم.

ولا يخطئ المتعجلون فيقولون - إن صحافة الأمس لم تكن تعرف كل هذا التناوب بالثهم والأكاذيب بين الأحزاب، إذ الواقع أنها كانت خلواً من ذلك لأن البلاد كانت خلوا من الأحزاب وكانت سياستها فى أيد غير أيدي أبنائها، فلما أخذت فى الاستقلال بشئونها والتنافس على زعامتها كانت العوارض الحزبية فيها علامة من علامات التقدم واليقظة، ولم تكن علامة من علامات النقص والرجوع إلى الوراء.

إلى أن يقول أستاذنا العقاد رحمه الله: «إننى صحفى، ولكننى لا أبلغ في رسالة الصحافة ولا أؤمن بأن الصحافة وحدها كافية للقيام بأمانة الشقيف والهداية، ولو ارتفعت الأمة إلى أرفع مراتب الأدب والتعليم».

ففى الأمم التى بلغت غايتها من العلم والتربية، تؤتى الصحافة من آفة التقدم لا من آفة الجمود، وتصاب من ذبوعها بعد أن كان الخطر كل الخطر أن تصاب من ضيق النطاق.

لأن الصحافة إذا انتشرت تعددت وتفرعت وظهرت لكل حزب صحيفة ولكل جماعة من الأمة لسان ينطق بما تريد، ويتفق كثيرا فى هذه الحالة أن تقرأ الجماعة صحيفتها ولا يتسع لها الوقت لقراءة الصحف الأخرى، فيفوتها أن تحيط بوجهات النظر كلها وتسمع أبداً من جانب واحد.. ولا تسمع من الجانب الذى يعارضه ويصحح أخطاءه.

وهذه آفة الارتقاء والانتشار.

والى جانب هذه الآفة آفة تظهر لنا قصور الصحافة عن الاستقلال بأمانة الشقيف والهداية، فهى على أحسنها وأفضلها لا تغنى عن ثقافة الكتاب لأن الطبيب مثلاً يقرأ كتاباً ليستوفى البحث فى مسألة من مسائل علمه، ولكنه لا يعتمد على الصحيفة لأنها تنشر من حين إلى آخر فصلاً فى الطب من هنا وفصلاً فى الطب من هناك.. ويقال فى الأديب والفنان والمهندس والفقير ما يقال فى الطبيب.

فمهما يبلغ من ارتقاء الصحافة غدا فى بلادنا العربية، فلنحسب حساباً لهذا القصور الذى يلازم الصحافة فى أرقى البلاد، ولنعلم أنها لن تنفرد وحدها بتكوين الآراء الصحيحة، ولابد لنا من وسيلة غير الصحافة لدراسة المسائل العامة من جوانبها المتعددة أو لاستيفاء البحث فى شئون الثقافة وقضايا الاجتماع، وقد تيسر لنا هذه الوسيلة من طريق الكتاب، وطريق المذيع، وطريق الصور المتحركة فى بعض المناظر والروايات.

إذا كانت الصحافة لا تسبق الأمة دائما فهي قادرة على أن تسبقها في بعض الأوقات .

وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح ، فعليها أن تمشى معها وفي مقدمة صفوفها ، ولا تمشى وراءها أو تقعد مع الخوالب في آخر الصفوف .

وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء — فهي لا تخسر إذا خاطبت النخبة القليلة من الممتازين . بل تجمع بذلك زينة الاحترام إلى منفعة الرواج .

ولهذا يقع اللوم كثيرا على الصحفي العربي الذي يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير .

إنه لا يستطيع أن يسبق أمته في كل نسخة من الصحيفة ولكنه يستطيع أن يسبقها في بعض الأيام .

وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء ، ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء .

وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الصفوف ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير في الصف الأخير .

والعاملون بالواجب الصحفي في هذا الصدد ثلاث طبقات: طبقة محمد وطبقة تعذر وطبقة تلام .

فالطبقة التي تُحمد — وبالأسف قليلة

والطبقة التي تُلام — وبالأسف — كثيرة .

والطبقة التي تُعذر وسط في القلة أو الكثرة بين الطبقتين .

ولا نطيل في التمثيل والاستشهاد ، فيكفي أن نشير إلى معارض الآداب والعلوم والفنون في الصحافة الغربية ونشير إلى أمثال هذه المعارض في

صحافتنا الكبرى أو الصغرى على السواء . فهنا فى الشرق تحيا الآداب والعلوم حياتها بمعزل عن الصحافة كلها، حتى لو اعتمد المؤرخ على الصحافة وحدها فى تسجيل حركتنا الثقافية لخرج من صفحاتها جميعا صفر الوطاب، على خلاف صحافة الغرب التى تتابع كل حركة أدبية أو فنية، وتعنى بتخصيص الملاحق القيمة للنقد والدراسة والتلخيص، فلا يعنى المؤرخ أن يرجع إليها ويعتمد عليها فى الإلمام بالنهضة الثقافية على أى عهد من العهود.

إن الإصلاح فى الشرق عسير أو لايزال حتى اليوم أعسر مما ينبغى أن يكون.. وإذا كان بعض الصحف عوناً على الإصلاح فبعضها عقبة فى طريق كل إصلاح.. بل هى نفسها آفة من الآفات التى تحتاج من أجلها إلى جهود المصلحين.

والشرق كما نعلم موطن الأنبياء والهداة ودعاة الإصلاح، ونحن بهذا نفخر ومنه نستمد الثقة والعزاء.. ولكننا كلما فخرنا بأنبياء الشرق وجب أن يكون الجهر بالصدق من مفاخرنا الأولى، وعظمة لنا ولا ريب أن يكثر بيننا الصالحون للنسبة، ولكن لولا صعوبة الإصلاح لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأطباء، ولولا سهولة الضلال فى الطريق لما تتابع الإدلاء.

هذا الإصلاح العسير هو الحقيقة التى نذكرها كلما ذكرنا عيوب الصحافة وما وراءها من عيوب رأى العام، فنحن نطلب من جمهرة الأمة أن تصلح الصحافة ونطلب من الصحافة أن تصلح جمهرة الأمة، ونبحث عن الذين يصلحون الفريقين معا فنراهم أقل الدعاة أعوانا فى بلادنا.. لأنهم لا يرتفعون إلى مراتب الأنبياء ولا ينطقون بلسان السماء ومن كذب على السماء بدعواه فهو محتال يتلىنا بلاء جديد ولا يعصمنا من البلاء المقيم.

على أن الزمن ماض فى طريقه والإصلاح يمضى مع الزمن على هيئة ورفق تارة، وتارة على سرعة وشدة، ويمشيتنا حين وعلى غير مشيتنا فى أحيان.

وستبغل ما نرضاه من العلم والهداية فتبلغ الصحافة ما يرضينا من الأمانة والسداد.

أما اليوم فحسبنا أن نريد منها ما يكون وأن نريد منها ما تستطيعه حيث تشاء... فإن عز عليها أن تسبق هوادى الأمة فلا ترجع إلى أذنبها، ولتجاوز خطاها كلما تأتى لها أن تتجاوزها، ولتنظر إلى علتها كما تنظر إلى سوادها... وإذا كانت مرآة تعكس ما يقابلها فلا تكن من تلك المرايا التي تطيل القصير وتقصّر الطويل أو تسمّن الأعرج وتعجف السمين، أو تشوه كل ما تراه من جميل وديميم فتلك هي مرايا الملاحى والمهازل التي يتسلى بها الفارغون. أما المرايا التي تلزمننا للجدّ والزينة، فهي التي تصف للعين كل ما تراه على سوائه، فهتدى بها إلى العيوب كما نهتدى بها إلى الحسنات^(١).

وهكذا تظهرنا صورة التاريخ الصحفى فى الوطن العربى على مفهوم «الوحدة» فى أنقى صوره، وهو المفهوم الذى لخصه الزعيم جمال عبدالناصر رحمه الله فى مقال نشرته مجلة الهلال - عدد يناير ١٩٥٧، حين يقول:

العرب أمة واحدة(*)

هذه حقيقة مؤكدة، لا تنقُضها دعوى مدّع فى الشرق ولا فى الغرب، فالعربى فى مصر أخو العربى فى نجد، وفى صنعاء، وفى بغداد، وفى دمشق، وبيروت، والدار البيضاء من أقصى المغرب.

أبونا واحد «وإن زعم من زعم أننا لآباء، ووطننا واحد، وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا، وهدفتنا فى الحياة واحد، وإن جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة.

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام... فإن أخوة الشعوب بالآلم لتربطنا قلباً إلى قلب من شاطئ الخليج العربى

(١) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ص ١٤٤.

(*) منشورة فى الهلال الصادر فى يناير ١٩٥٧.

إلى شاطئ الأطلسى، فما يكادُ عربىٌ يشكو ألماً حتى يتداعى له سائرُ العربِ
من قريبٍ ومن بعيدٍ بالسَّهر والحمى .

وإنى لأعجبُ كيفُ عشنا، نحنُ العربُ، قُرُوناً غافلين عن هذه الحقيقةِ
الصريحة، فأتخنا للأجنبي الدخيل بيتنا أن يغلب، ويتسلط، ويتوزع بلادنا فى
مناطق نفوذ، ويجعلنا فى سوق السياسة تجارة، وفى أتون الحرب وقوداً

أكان ذلك لأن طائفة من سادتنا وكبرائنا فى عهد مضى أغواهم الترف،
وخدرتهم النعمة، ففسقوا، وضلوا، وركبوا إلى الباطل كل مركب، فحقت
عليهم كلمة الله، وحقت علينا، وأظلتنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة .

ولكننى لا أريد أن أعود إلى الماضى، فقد ذهب ذلك الماضى بما فيه،
فلاعودة له، وإنما نحن أبناء الساعة، والحقيقة واضحة صريحة أمام أعيننا،
فماذا فعلنا، وما نريد أن نفعل لنؤكد هذه الحقيقة الصريحة الواضحة، ونحوّلها
من شعور وعاطفة، إلى جهد وعمل .

إننا نستطيع بوسائل كثيرة أن نحقق وجودنا الإنسانى فى الجماعة البشرية
العامّة، وأن نحدّد مكاننا، بإرادتنا لا بإرادة غيرنا .

إننا نملك من أسباب القوة ما نحقق لنا السيادة الكاملة، وقوة التوجيه
للسياسة العالمية العامّة .

إن بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، لتقع
بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة، فلماذا لا يكون لنا مثل
مكانة العاصمة من قوة التوجيه لسائر بلاد الدولة الإنسانية العامّة؟

وإن فى أرضنا وسمائنا وبحرنا وبرّنا قوى ضخمة، لم تزل أمم كثيرة فى
الشرق والغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تنهياً لها، فلماذا لا نحاول
بما نملك من هذه القوى أن يكون لنا الرأى والتوجيه فى العالم، ليتحقق بنا
الخير وللإنسانية؟

وإننا لنملك من قوة الروح، ومن الإيمان بالله، ومن الشعور بمعاني الإخوة الإنسانية بين البشر، ما يمكن أن يصنع بنا في العالم تاريخاً إنسانياً جديداً مثل التاريخ الذي صنعه أسلافنا منذ ألف وثلاثمائة سنة، فلماذا لا نشرك على العالم مرة أخرى برسالة السلام والرحمة، وناموس الأخوة والمساواة، لنمحو ما ران من ظلمات الباطل على عقول وقلوب لا تؤمن إلا بالمادة؟

وإنَّ لنا قِبلةً نحجُّ لها، وتوجهُ إليها في صلواتنا... يريد به الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا، نحن العرب، أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف، وتتوحد جماعتها إلى قِبلة، فلماذا لا تكون قِبلتنا أن نجعل للإنسانية الضالة كعبة؟

لقد نزل علينا الوحي ذات يوم، لنقود الإنسانية إلى مرشدِها، فكانت حضارة الإسلام التي أنقذت العالم من ظُلُمات الضلال والجهل والفتنة، وإن حياً جديداً لينبثق اليوم في قلوبنا لنقود الإنسانية مرةً أخرى إلى مرشدِها، فما أخرى دعوتنا أن تَبْلُغَ اليومَ مَبْلَغَها من القلوب والعقول، وقد أشرفَ العالمُ على الانحلال، لِنُنقِذَهُ من ظلماتِ الضلال والجهل والفتنة.

وإننا لنرى كلَّ يوم بُرهاناً جديداً على إمكاناتنا وقدرتنا وطاقاتنا المادية والمعنوية، وهذا السائلُ الأسود الذي ينبثقُ اليومَ في أرضنا، فيشتعلُ ناراً ونوراً، وإنتاجاً وحركة، ويجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا وتسعى في مرضاتنا، وتلتمسُ أسباب الرِّزْق بيننا لِيُقَدِّمَ لنا برهاناً جديداً على ما نستطيع أن نفعله لو أننا استكملنا أسباب الإيمان بأنفسنا.

ولن نستكمل أسبابَ هذا الإيمانِ حتى نُؤمِّنَ ابتداءً بأننا أمة... أمة واحدة.

وعوامل «الوحدة» في الصحافة العربية يمكن أن تلخص فيما يلي:

- الأمة العربية أمة واحدة في الجنس والهدف والوطن، على الرغم من دعاة التفرقة، وهم المستعمرون.

- على أننا لو لم تجمعنا وسائل هذه الوحدة، لكفانا ما يجمعنا من آلام قد

قضى الله أن يؤلفنا الجرحُ وأن نلتقى على أشجانه كلما أنّ بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عُمانه .

واجهت الصحافة فى تاريخها سيطرة الأجانب على بلادنا، وسعيهم جاهدين لتمزيق وحدتنا، واستغلال خيراتنا، وبذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد، كما اتخذوا بلادنا ميدانا لحروبهم، نصطلى نارها بسبب أطماعهم .

تمتاز البلاد العربية بأسباب تكفل لها القوة والسعادة:

أ — توسط موقعها بين الشرق والغرب فهى بحق ملتقى طرق العالم، ومعبر تجارته، وعمر جيوشه .

ب — قوانا الضخمة فى السماء والبر والبحر، أما سماؤنا فصالحة للطيران لصفائها، وأما أرضنا فممهدة للسير عليها، غنية بكنوزها من بترول ومعادن.. وأما البحر ففى حوزتنا منه ما ربط العالم ببعضه ببعض، فوق محتوياته .

ج — تمتعنا بقوة الروح المستمدة من الإيمان بالله، ومن الشعور بمعانى الأخوة الإنسانية .

د — وحدتنا فى القبلية التى نوحج إليها، وإليها نتجه فى صاواتنا، تدفعنا إلى اتحاد الهدف .

هـ — فى الوحي القديم ما يوقظ فىنا وحيأ جديداً لقيادة الإنسانية إلى الهدى .

و — تفجر البترول فى أرضنا أكبر دليل على قوتنا، لو آمنا بأنفسنا .

هكذا نريد لصحافتنا أن تصور هذه الحقيقة .

ونسأل الله تعالى التوفيق، فجّل من لا يخطيء تحيزا أو قصورا فى عالم البشر .

عبدالعزیز شرف

الفصل الأول

الوحدة والتنوع
في التاريخ الصحفي العربي

الفصل الأول

الوحدة والتنوع.. التصور والمفهوم

فرضت الثقافة العربى فى عصورها السابقة ألوانا من التنوع، ترجع فى المقام الأول إلى عاملين^(١): أولهما أن الثقافة العربية امتدت فشمّلت رقعة واسعة جدا من الأرض، تنوعت فيها أنماط المعيشة وتفاوتت فيها درجات التحضر، وثانيهما، أن الثقافة العربية كانت مفتحة على الثقافات السابقة عليها والمعاصرة لها، فاستقبلت تيارات فكرية متعددة جاءت إليها من المشرق والمغرب، فضلا عن حصيلة ضخمة من التراث السابق كانت تعيش فى السيئات العربية نفسها وتتفاعل مع ثقافتها الجديدة.

ويظهرنا تاريخ الصحافة العربية على طابع ثقافى مميز، جعل لها شخصية مستقلة حين تقارن بثقافات الأمم الأخرى فى العصور القديمة والوسيطه، والدارسون المحدثون مهما اختلفت أحكامهم على الحضارة العربية، يعترفون بهذا التنوع من التميز والاستقلال ويجد فيه ورثة الثقافة العربية مصدرا من مصادر الخصب ووفرة العطاء^(٢).

والصحافة العربية فى العصر الحديث، امتداد لوسائل الثقافة فى الحضارات الاتصالية السابقة، ولاتزال الأمة العربية تشغل الرقعة الواسعة من الأرض، ولاتزال تتلقى فيضا حضاريا وافدا من كل جانب، ويتضح الخلاف بين الحضارات الاتصالية السابقة، والحضارة الصحفية المعاصرة فى أن العصر الحاضر قد استحدث فى مجال الثقافة مفاهيم جديدة أهمها الربط بين الثقافة والمجتمع وتأكيدا للدور الإيجابى أو القيادى للثقافة فى حياة الجماهير وكذلك مكن العصر الحاضر لأنواع من الوسائل الإعلامية لم تكن موجودة من قبل كالراديو والتلفزيون، وهى بطبيعتها تخاطب جمهورا أكثر عددا وأكثر تنوعا من جمهور حضارة التدوين قديما، حيث وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير العريضة بالإضافة إلى المطبعة وما أنجزته وتنجزه فى ميدان الصحافة

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مؤتمر الوحدة والتنوع ١٩٧٣ ص ٢٠

(٢) نفسه ص ٣١-٣٥ .

والمجلة والكتاب على اختلاف أشكالها وتعدد موضوعاتها، وفوق ذلك كله فإن فكرة القومية قد اتخذت لها في الوطن العربي أبعادا جديدة، وأصبحت محورا يدور حوله نشاط أبناء الأمة العربية على جميع مستوياتهم، ومنفذا لتعبئة طاقات الأمة العربية كلها في مختلف ميادين الحياة العامة.

ومن هنا انتقلت فكرة التنوع والوحدة^(١) إلى وضع جديد يختلف عن وضعها في الماضي، وأثارت قضايا ومساائل لم تكن تثار من قبل، فاختلطت أحيانا، في نطاق التنوع والوحدة، فكرة المحلية بفكرة الإقليمية، وتداخلت أحيانا أخرى فكرة القومية مع فكرة الإقليمية، وظهرت العناية الأدبية بالفنون التحريرية في الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما وقامت الحاجة إلى مخاطبة الجماهير بما يفهمونه، فوجد مجال للقول في مسألة الفصحى والعامية، لاسيما مع انتشار الأمية انتشارا واسعا في مناطق كثيرة من الوطن العربي، وكذلك أثارت قضية الأصالة من بعض جوانبها فكرة الطابع المحلي والطابع القومي فيما يتصل بالشكل والمضمون معا، ودار حوار حول منهج الدراسة للتراث العربي على ضوء هذه المفاهيم كلها.

ونخلص مما تقدم إلى أن الأسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع في الصحافة العربية تتمثل فيما انتهى إليه مؤتمر «الوحدة والتنوع في الثقافة العربية»؛ على النحو التالي:

- إذا كان لصحافة كل أمة طابع حضارى مميز، فإن عددا من القضايا يحتاج إلى تأمل ودراسة، مثل: مواضع هذا التمايز بين الحضارات والأمم ومجالات ظهور الخصائص الفارقة بين الثقافات المختلفة وأثرها في صحافتها، وأسباب هذه الخصائص والمميزات ومدى شمولها بحيث يستمد إلى الحاضر والمستقبل في إطار التواصل العالمى والتمايز الأسمى.

- وإذا انطبق هذا على الصحافة العربية.. فلا بد أيضا من تبين مواضع

(١) المرجع السابق ص ٧.

التميّز فيها عن صحافة الأمم وخصائصها الفارقة لها عنهم، بحيث يتوافر للمتأمل إطار عام لها يوجد صورتها من جانب ويكون مجالا لحدوث التنوع والاختلاف من جانب آخر.

- ويجب أيضا تبين مواضع التمايز والتنوع في داخل الصحافة العربية، وما هي أسباب الخصائص المميزة، وما هي أسباب ظهور هذه الخصائص، وأيضا مدى شمولها بحيث تمتد إلى الحاضر والمستقبل.

والقول بنشأة المنهج الإقليمي في دراسة تاريخ الصحافة العربية في العصر الحديث يحتاج إلى مزيد من الدراسة والمناقشة، فإن للتراث العربي مؤلفات عديدة تناولت شعراء وأدباء أقاليم بعينها من الوطن العربي، فهل تعتبر هذه الكتب إحياء مستترا لهذا المنهج؟ وهل تقرب دراسة الصحف على أساس من هذا المنهج؟

- وإذا كان هذه المنهج قد استطاع توضيح جوانب من خصائص بعض آداب الأقاليم والبلاد العربية القديمة، فهل امتدت هذه الخصائص نفسها إلى المعاصر من الأدب العربي، وفنون القول في الصحافة ووسائل الإعلام العربية، أم ظلت جميعها معا ملامح تراث مشترك للعقل العربي المعاصر؟

والإعلام الصحفي يمثل جانبا هاما من جوانب تراث الأمة: يدل على كثير من مسالك حضارتها ويعبر عن رقيها وتقدمها، ويسم شخصيتها بسمات بارزة مميزة، والإعلام صورة هامة من صور متعددة، إذا اجتمع بعضها إلى بعض، رسمت للأمة معلما من معالمها ووجها من وجوها، والكي تحافظ الأمة على ملامح شخصيتها، وتدافع عن موروثها وتصل ما غبر من معطياتها بما حضر، وبما تأمل أن يكون في غد مقبل، فإنها تدون ذلك التراث، وتجمع بعضه إلى بعض في جمع كفي، أو في إطار تقويي، أو على شكل آخر من الأشكال التأليفية^(١).

(١) الدكتور محمد رضوان الدابة في «مؤتمر الوحدة والتنوع» السابق ص ٥.

«والتاريخ للصحافة عند أمة من الأمم واحد من سبل حفظ التراث وتقويمه، وعرضه على الجيل المعاصر، وتقديمه للأجيال المقبلة، وتاريخ الصحافة وسيلة أساسية من الوسائل التي تكشف عن روح الأمة، واهتماماتها ومنازعتها، فإن الاختلاف والتميز بين أمة وأخرى إنما يقوم على ما يتصل بمجموع ثقافتها، ومعارفها العامة، ومواصفاتها الأخلاقية والاجتماعية. والإعلام عنصر من «عناصر تكوين (الثقافة) له أثر هام في تلوين خصائص الأمة وفي طبعها بطابع خاص. وما من شك في أن العلوم المختلفة من رياضية وطبيعية لا تميز أمة بمياسم خاصة، لأنها من الأمور التي تشيع بين الأمم وتتبادل وتتناقل بسرعة دون أن تطغى على شخصية أمة أخرى، ولأنها تتصل بأمر معاشية أو تتصل بتقديم الإنسان المادى الخالص، ولكن الثقافة – والإعلام من فروعها الرئيسية – تسم الأمة بمياسمها، وإذا ما نقلت أمة (ثقافة) أمة أخرى تأثرت بها، على درجات مختلفة من التأثير بمقدار ما تأخذ وتمثل، وبمقدار ما يتفاعل الوافد مع «الأصيل» (١).

والصحافة نتاج فكرى، إعلامى ثقافى، يصدر عن عقل إعلامى جمعى يصور نفسه ومجتمعه ويحكى ما يدور فى داخل هذا المجتمع محليا وعالميا وما يتأثر به من مؤثرات خارجية. فالصحافة إذن صورة للمجتمع أو لوجه من وجوهه، ومظهر من مظاهره، وكما أن الإعلامى يتأثر بالمجتمع ويكون إعلامه صورة من صوره فإنه أيضا يمثل نفسه باعتباره فردا «متميزا»، أو نموذجاً من النماذج فى ذلك المجتمع (٢)، وتجتمع للاتصال الصحفى أهميتان: تصويره لنماذج بشرية خاصة، وتعبيره عن قطاعات مختلفة فى حياة مجتمع ما.

وعلى هذا فإن الدارس، ومؤرخ الصحافة، لا يستطيع أن يغفل هذه الأمور ولا أن يتجاهلها. ومؤرخ الصحافة إنما يؤرخ لصحافة أمة (مجموعة من الناس) فى لغة معينة (وعاء فكرى) فى إطار زمنى معين (تاريخ عصر أو فترة) محصورا

(١) نفسه ص ٥ (٢) نفسه ص ٥ .

بظروفه وملابساته المختلفة. ولابد لنا هنا من أن نتساءل — مع د. الداية — إلى أى مدى يتدخل (المكان)؟ وبمعنى آخر — يمكن أن يكون أكثر اتساعاً — إلى أى مدى تتدخل البيئة فى التأثير على صورة الصحافة، فى نفس الإعلامى والصحفى خاصة.

إن الصحافة هى قبل كل شىء وليدة الإعلام، فى ظلال تفكير موضوعى، ولكنها — كعمل إعلامى — يظل عملية فكرية قبل كل شىء فى قالب لغوى، وهذه العملية الفكرية تظهر على شكل (تعبير) إعلامى موضوعى، يمكن أن ينقل به الصحفى إلى الأشخاص الآخرين: أحداثاً وأفكاراً، ومشاعر. وعلى هذا فإن (البيئة) لا تأخذ حيزاً فكرياً فى التأثير على الصحفى، وإذا كان لها من تأثير فينبغى أن يتلمس بصورة واقعية لا بآراء مسبقة فرضية لا تثبت عند العرض والمناقشة ووقوف الأدلة.

إن «البيئة» — أو «الإقليم»^(١) — تستطيع أن تقدم للإعلام معطيات متنوعة تلون فنون التحرير بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون بطبيعتها مادة استمداد للصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة (وكل هذا لا يؤثر على «الأدب باعتباره فكراً، ولكنه يؤثر فيه باعتباره صوراً، وحوادث يتركب عليها ذلك الفكر وتلك الآراء»^(٢)) ويتضح هذا العامل البيئى حين ننظر إلى ما يسمى بالقرب المكاني فى عناصر التقويم الصحفى إذ يعنى هذا العنصر بتصوير تيارات خاصة نابعة من البيئة باعتبارها (مكاناً) يعكس بشكل ما أثراً بيئياً مهما اختلفت المعطيات الأخرى: الفكر، والتراث اللغوى، والتراث الحضارى.

وما من شك فى أن الصحافة تحمل قدراً كبيراً من «أثر البيئة» وتتميز بأمور

(١) نفسه ص ٦.

(٢) نفسه ص ٦.

منها، حتى تعدو صدى من أصدائها، فقد تظهر البيئة (الجغرافية) على الصحافة فيما تسجل من أحداثها التاريخية والاجتماعية باعتبارها حوادث معينة تُنشر في حينها ويُستفاد منها.

وأضرب مثلاً من أمثلة استفادة مؤرخ الصحافة من عوامل البيئة في الإطار الذى يصوره د. محمد رمضان الداية^(١)، ذلك المثل من كتب « تاريخ الأدب عند الأدباء الأندلسيين ». لقد اهتم أهل الأندلس ببلدهم، بعد مدة من استقرارهم فيه وعيشتهم في ظلاله، وبعد أن أحسوا أن غيرهم ليس أولى منهم بذلك من اهتمام وتدوين وتاريخ. وأبرز الأمثلة ما صنعه أبو الحسن بن بسام في كتابه : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. وذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه ألف الكتاب لكي يظهر محاسن أهل بلده - مما أغفله المشاركة أو لم يولوه الأهمية الكافية - وقسم كتابه إلى أقسام بحسب البيئة الجغرافية من شرق وغرب وموسطة، وقد سائر ابن بسام فيما صنع عدد من المؤلفين، منهم ابن سعيد الذى أكمل تصنيف كتاب «المغرب فى حلى المغرب» وهو كتاب تعاقب على تأليفه عدد من المؤلفين الأدباء، وأكماله ابن سعيد. وقد نشره الدكتور شوقي ضيف فى جزأين، وقد قسم الكتاب إلى أقسام بحسب البيئة الجغرافية، ثم فرع كل قسم كبير أقساماً صغيرة، وأضاف اعتبارات أخرى. وقد تحدث المؤلف عن خصائص الأندلس وطبيعتها، ثم انتقل إلى الأقسام: غرب الأندلس والموسطة والشرق، وأفرد لكل قسم كتاباً، وقسم كل كتاب إلى ممالك، وكل هذا متصل بتفريعات جغرافية بيئية، ثم إنه وزع فى كل مملكة خمس طبقات، ومعظم أهلها عن لهم يد فى الأدب من شعر ونثر وغيره، وهم: الأمراء والرؤساء، والعلماء، والشعراء، واللفيف^(٢).

ونحسب أن هذا الاتجاه ينبىء عن فهم مبكر للوظيفة الإعلامية، وما يعنيه عنصر القرب المكانى فى التقويم الإعلامى، وما له من أثر فى فنون القول.

(٢، ١) نفس المرجع ص ٧.

لقد ازدهرت الصحافة العربية، وما تقدمه من فنون؛ فى إطار واحد ولغة واحدة، ولا يعدو الأثر المحلى فى هذه الصحافة ما يجعل طابعها إقليميا بمعنى الكلمة، وكما أنه لا يوجد فإن الصحافة التى ترتبط بالأقاليم العربية جميعا تقوم «أدب أندلسى خالص وأدب شامى، وآخر عراقى.. إلخ»^(١)، على اللغة العربية وعلى معطيات هذه اللغة ومواصفاتها، ويبقى الاختلاف بين بيئة وأخرى كالإختلاف بين «أديب وآخر»^(٢) وصحيفة وأخرى فى الأغراض، والأساليب، وطرائق التصوير والأداء.. إلخ، ولعل أكثر العبارات شيوعا مما يوحى بالإقليمية عبارة «الأدب الأندلسى»^(٣) قديما أو الصحافة المصرية حديثا^(٤) وإنما هو التسامح فى الاصطلاح أولا، والركون إلى إحياءات كثيرة يوحى بها ذلك الأدب وذلك الصحافة فى موضوعاتها الجديدة.

وينبغى ألا نغفل بعض الدعوات المعاصرة إلى (الإقليمية) فى تاريخ الصحافة العربية، ومحاولة إعطاء بعض الأقطار العربية مميزات وسمات خاصة فى الأدب تسم - برأى أصحابها - أدب بلادهم وتلونه بلون خاص، ولكن دعوتهم تلك - كما يقول د. الداية - تكشف عن هويتها الحقيقية حين تطرح اللغة العربية وعاء يستوعب الفكر وتخرج إلى العامة، وفى هذا ما فيه من خطر^(٥).

إنه لا يسوغ بشكل علمى مقبول أن يدرس تاريخ الصحافة العربية فى بعض الأقاليم باعتبار إقليمية خاصة، «ولا ننسى أيضا ما يكون وراء ذلك المنهج حين يدعى إليه من أخطار قومية بعيلة الأثر، من تفتيت المشاعر، ومن ترسيخ الإقليمية»^(٦).

(١) نفس المرجع ص ١٠٢. (٢) نفسه ص ١٠٢.

(٣) نفسه ص ١٠٣.

(٤) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية؛ للقاهرة ١٩٥١.

(٥) د. رمضان الداية: السابق ص ١٠٣.

(٦) نفسه ص ١٠٣.

ذلك أن «جواهر الصحافة العربية» قد جسد عناصر «الوحدة» كما جسدها «شكل الأدب» كذلك، ولم يعد «حب الوطن» دليلاً على «التنوع» فحسب، وإنما أصبح «تنوعاً» فى إطار «الوحدة» يقول شوقى بعد إيباه من منفاه فى الأندلس:

ويا وطنى لقيتُك بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشباب
وكل مسافرٍ سيؤوب يوماً إذا رزق السلامة والأيابا
ويقول أيضاً:

ويا وطناً بأنفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه
ويقول حافظ إبراهيم:

إنى لأحمل فى هواك صباية يا مصر قد خرجت عن الأطواق
لهفى عليك متى أراك طليقة يحمى كريم حماك شعبٌ راقٍ
ويقول خليل مطران:

يا مصر أنت الأهل والسكنُ وحمى على الأرواح مؤمنُ
حبى كعهدك فى نزاهته والحب حيث القلب مرتهن
ويقول جميل صدقى الزهاوى:

إن السمع راق لأُمِّ لنا ونحن بنوها
إذا أَلَم مُسَلِّمٌ فإننا منجدوها
أوطاننا هى عز ومصدر للحياة
إنَّ المجسرة رمزٌ لدجلة والفترات

على أن هذا التغنى بالوطن الصغير، قد ارتبط بالوطن الكبير، وأصبح شعراء مصر وصحفيوها يشاركون شعراء بقية الأقاليم العربية وصحفيها،

والعكس صحيح أيضا، على النحو الذى نراه تفصيلا فى صفحات الصحف العربية طوال تاريخها فى جميع أقطارها.

ونذكر هنا قول الزعيم جمال عبدالناصر: «يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان». ويظهرنا مفهوم «الوحدة والتنوع» على ما تتسم به الأمة العربية من وحدة تاريخية تلى وحدة اللغة أهمية فى ترتيب مقومات «الوحدة»، فإذا كانت اللغة تمثل روح الأمة وحياتها فإن التاريخ يصنع ذكرياتها ومشاعرها. ولعل الأمة العربية من أكثر الأمم فى العالم التى عاشت تاريخا واحدا. فوحدة الكفاح ضد الصليبيين والمغول والإنجليز والفرنسيين والصهيونيين، والاشتراك فى الحوادث، وانتقال المعارك والأبطال عبر الحدود المصطنعة التى تفرق أقاليم العالم العربى بعضها عن بعض، كل ذلك يخلق نوعا من الإرث التاريخى الذى يقرب شعوب هذه الوحدات السياسية المختلفة بعضها إلى البعض ويخلق بينها تضامنا فى الشعور وتكاثفا فى الشدائد^(١).

ويظهرنا تاريخ الأمة العربية على أن العالم العربى قد عاش جُلَّ حياته فى «وحدة تاريخية شاملة بفضل النظرية السياسية الإسلامية»، وقد انهارت هذه الوحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ودخول الدول الغربية المستعمرة إلى الشرق والغرب العربيين تحت صور الغزو والانتداب والحماية حتى كان دخول الصهيونية إلى أرض فلسطين العربية، وإقامة إسرائيل كقاعدة غربية استعمارية فى قلب العالم العربى لتكون كالشوكة فى رقبته من الحركة والتقدم^(٢).

وقد رأينا موقف الصحافة العربية فى مصر منذ وقعت تحت برائن الاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ عقب الثورة العرابية، ورغم أن أرض النيل كانت

(١) د. صلاح الدين عبدالوهاب: أضواء على المجتمع العربى ص ١٩.

(٢) نفسه ص ٣.

جزءاً من الدولة العثمانية قانوناً، إلا أن ظروفها الخاصة وأهمها: التقدم الحضارى وقوتها العسكرية اللذان اجتمعا لها على يد محمد على جعل هذه التبعية اسمية أكثر منها فعلية، فوضعها كان مختلفاً عن وضع جميع الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثماني، ولذلك فقد كان لها جهادها الخاص الذي قصدت منه إلى مقاومة الحكم التركي ثم الحكم الانجليزي من بعد.

يقول د. صلاح الدين عبد الوهاب: (١) وانشغال الزعماء المصريين بقضية مصر خاصة دون قضية العروبة بوجه عام، لا ينهض دليلاً على إنكارهم للعرب والعروبة، ولا يعنى فى جميع الأحوال وجود نزعة إقليمية أو عصبية لديهم، وإنما كانت نتيجة منطقية لما يقضى به الواقع العملى. فقد كان احتلال بريطانيا لمصر نكسة للنهضة التى كانت تحمل مصر مشعلها، وكان لابد لها من أن تتحرر من هذا الاستعمار حتى تعاود النهوض بنفسها، فإذا ما تم لها ذلك، أمكن أن تأخذ بيد غيرها من الأقاليم العربية التى تقع تحت سلطان الدولة العثمانية، فالاستعمار البريطانى كان أمراً دخيلاً وجهت بكل العناصر الوطنية هجومها عليه لتخلص بالوطن لأبنائه، فما كان لديها وقت لتشتغل فيه بغير هذه القضية الوطنية، وبريطانيا فى مصر لم تكن تتصور أن تسمح باتصال العناصر الوطنية فيها بالعناصر الوطنية فى الأجزاء الأخرى من العالم العربى. فمنطق الاستعمار «فرق تسد» وهذا المنطق يحول بين إمكان التعاون بين العناصر الوطنية عبر الحدود السياسية المصطنعة.

وكانت العلاقات العربية العثمانية، تسير من سىء إلى أسوأ وخاصة بعد أن تنكرت الدولة العثمانى (تركيا) لمطالب العرب التى أعربوا عنها فى مؤتمر باريس. وما إن اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى حتى زادت من اقتناع العرب بأنه لا محيص عن الانفصال الكلى عن تركيا وتأسيس دولة عربية مستقلة..

(١) نفس المرجع ص ٨٠.

وقد بدأت الثورة العربية من الحجاز تحت زعامة الشريف حسين أمير الحجاز، ولكنها لم تكن ثورة حجازية. كانت عربية ترمى إلى استقلال الولايات العربية بأكملها وتكوين دولة عربية موحدة تنهض بالأمّة نهضة تعيد إليها مجدها السالف. ولذلك فقد اشترك في هذه الثورة رجال من معظم الأقطار العربية، فكان فيها السوري والعراقي والحجازي واللبناني والفلسطيني كما كان بينهم المسلم والمسيحي. وقد ساعد على قيام هذه الثورة في الحجاز موقعها الجغرافي. فالحجاز بعيد عن عاصمة الدولة العثمانية ولا توجد بها قوات تركية كبيرة، كما أنها بعيدة عن طرق المواصلات، ولذا فإن من الصعب على الحكومة المركزية أن تسارع إلى إرسال التجنّات لقمع الثورة هناك. هذا فضلا عن أن الحجاز كانت بها عشائر مسلحة كبيرة^(١).

ولم تقف جيوش الثورة عند حد إعلان العصيان على تركيا في الحجاز نفسها، إذ ما جاء شهر يونية ١٩١٦ حتى بدأت الثورة تتجه إلى الشمال معلنة انحيارها إلى الانجليز (الحلفاء) كانت تركيا قد دخلت الحرب ضدهم مع ألمانيا. ولم يكن ذلك إلا بعد جملة مراسلات بين الشريف حسين ومكماهون الذي كان مندوبا ساميا لبريطانيا في مصر سميت بمراسلات حسين - مكماهون التي استثنت من الحدود المرسومة في «برتوكول دمشق» وهو الذي وضع الزعماء العرب في دمشق ومعهم فيصل ابن الحسين ليكون أساسا للتحالف مع بريطانيا، مقاطعتي مرسين والإسكندرية وأقسام من سوريا تقع إلى الغرب مما سماه متصرفيات دمشق وحمص وحملة وحلب، فهذا التعديل بدون الإضرار بمعاهدات بريطانيا مع الشيوخ العرب، وبدون الإضرار بمصالح فرنسا حليفة بريطانيا، تعهدت الحكومة البريطانية بأن «تعترف باستقلال العرب وتؤيده في جميع المناطق الواقعة ضمن الحدود التي طالب بها شريف مكة...».

على أن الشريف حسين وافق على استثناء مرسين فقط، ورفض الموافقة

(١) نفس المرجع ص ٨٢.

على استثناء شبر واحد من أراضى سوريا التى يقطنها العرب، ولو لم يكن جميع هؤلاء العرب من المسلمين إذ قال إنه «لا فرق بين عربى مسلم وعربى مسيحى فكلاهما أحفاد جد واحد»^(١).

وقد خلد لورانس هذه الثورة العربية فى كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» وكأنه يعبر عن رأى الانجليز: «أن هذه الثورة من صنعهم، ورغم أن معاهدة الانجليز الأدبية والعسكرية شجعت العرب على محاربة العثمانيين إلا أن هذه الثورة كانت عربية لحما ودما.

وقد توجت الثورة بنجاحها فى دخول دمشق فى أكتوبر ١٩١٨ فاهتزت أرجاء العالم العربى لهذا النصر لما لدمشق من أهمية خاصة فى نفوس العرب.

وقوبل فيصل قائد الجيش العربى بالهتاف والأعلام، وأعلنت المدن السورية كلها انضمامها للثورة وإذعانها لأوامر القيادة العربية، واشتركت المدن اللبنانية أيضا فى هذه الحركة حتى قامت الحكومة العربية فى سوريا فى جو حماسى أكد لفكرة الوطنية العربية بالرسوخ^(٢).

أثناء كل ذلك لم تكن بريطانيا مخلصه للعرب حين ساندتهم ضد تركيا، وإنما كانت تعمل لصالحها هى ولصالح الدول الاستعمارية الأخرى. فقد وضعت مؤامرتين لتقسيم البلاد العربية التى انفصلت عن تركيا بغير علمهم.

فعقدت بمدينة بطرسبورج الاتفاقية الأولى فى سرية تامة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس سنة ١٩١٦ وهى تعرف باسم اتفاقية «سايكس بيكو» التى نصت على تقسيم غنائم الحرب من الدولة العثمانية بين الدول الثلاث.

أما روسيا فقد اختصت فى شوق الأناضول بالولايات الأربع المجاورة

(١) نفسه ص ٨٣.

(٢) نفسه ص ٨٤.

للحدود الروسية التركية التى تشكل أرمينية التركية، وكذلك بعض الأقاليم الواقعة بين البحر الأسود وإقليم الموصل – أراميا – ويبين من ذلك أن ما استولت عليه روسيا كان خارج العالم العربى.

واختصت فرنسا بالجزء الغربى من سوريا إلى جانب ولاية الموصل بما فى ذلك لبنان، ثم ولاية أطنة ومرسين، وكذلك منحت فرنسا منطقة نفوذ أخرى بداخل سوريا تشمل الموصل ودمشق وحمص وحماة وحلب^(١).

أما إنجلترا فقد اجتزأت منطقة ما بين النهرين بما فى ذلك البصرة على الخليج العربى، ثم بغداد ثم داخلية العراق.

أما فلسطين فرغم مطالبة فرنسا بها على أساس أنها الجزء الجنوبى لسوريا، فقد قامت إنجلترا بتدويلها مع الاحتفاظ لنفسها بحق الإشراف على مينائى حيفا وعكا على البحر الأبيض المتوسط. . وكذلك تضمن اتفاق سايكس – بيكو النص على إقامة دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى تعترف به بريطانيا وفرنسا وتتعهد بحمايتها.

وهكذا يبين أن بريطانيا لم تراعى فى هذه الاتفاقية الوعود التى سبق أن قطعتها على نفسها فى مراسلات الحسين – مكماهون ولم تعرف أسرار هذا الاتفاق السرى حتى أذاعته الحكومة الروسية البلشفية بعد قيام الثورة الماركسية فى نوفمبر ١٩١٧، وعندئذ فقط عرف العرب بالمؤامرة التى حاكها الانجليز.

أما المؤامرة الأخرى فقد ظهرت فى تصريح بلفور فى ٣ نوفمبر ١٩١٧ وفيه وعدت بريطانيا اليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين العربية. وهذا التصريح جاء فى صورة خطاب مرسل من وزير الخارجية البريطانية لورد بلفور إلى لورد روتشيلد الصهيونى احتوى ما يلى من عبارات:

(١) نفس المرجع ص ٨٥.

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية. على أنه يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»^(١).

وعرف العرب أنهم ضحية تغرير بريطاني فاحتجوا على هذا التصريح أشد الاحتجاج، وطلب الحسين تفسيراً من بريطانيا، فأرسلت إليه رسالة مطمئنة تقول فيها: إنها تضمن حرية السكان العرب السياسية والاقتصادية، وذلك خلافاً لوعدها بلقور الذي لم يضمن لهم سوى الحرية المدنية والدينية.

وصدرت من أمريكا تأكيدات في هذا المعنى: إذ جاء في النقطة الثانية عشرة من النقاط الأربع عشرة التي أعلنها الرئيس الأمريكي ويلسون أمام الكونجرس الأمريكي في ٨ يناير ١٩١٨ «أن القوميات الأخرى التي تخضع الآن للحكم التركي يجب أن تطمئن إلى حياة آمنة لاشك فيها وإلى الفرصة المطلقة في أن تنمو نمواً ذاتياً من غير إكراه» ثم أعلن في خطابه الذي ألقاه في ٤ يوليو من السنة نفسها «أن أساس أية تسوية تلي الحرب يجب أن تكون بموافقة الشعوب التي يعينها الأمر».. ثم عقد مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ وشهده ممثلاً عن العرب الأمير فيصل بن الحسين رئيساً للوفد الحجازي.

وهناك طالب باستقلال البلاد العربية، إلا أنه تكشف له نوايا بريطانيا السياسية وعرف أنها وفرنسا قد اتفقتا على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما^(٢).

وفي أبريل سنة ١٩٢٠ قرر مجلس الحلفاء الأعلى الذي انعقد في سان ريمو إعطاء بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الأردن، وأعطيت فرنسا

(١) نفسه ص ٨٦. (٢) نفس المرجع ص ٨٧.

الانتداب على سوريا ولبنان، فكان هذا الانتداب قناعاً قانونياً وراءه استعمار رهيب، لذلك تعرف سنة ١٩٢٠ بأنها النكبة على العالم العربى.

ويكفى تدليلاً على ما ارتكبه الانجليز من تغيير العرب ما كتبه لورانس فى مؤلفه أعمدة الحكمة السبعة: «إذا ربحتنا الحرب، فإن عهدتنا للعرب أوراق مية، غير أن الاندفاع العربى كان وسيلتنا الرئيسة فى كسب الحرب الشرقية، وعلى ذلك أكدت لهم أن بريطانيا تحافظ على كلمتها نصاً وروحاً فاطمأنوا إلى هذا القول وقاموا بالكثير من الأعمال العظيمة، ولكننى بالطبع بدلاً من أن أكون فخوراً بهذا الذى لعلناه معاً، كنت أشعر دائماً بمرارة الخجل...»^(١). ثم جرت بعد ذلك أحداث كثيرة فى العالم العربى إلى أن أراد الله للنور أن يبرز فقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التى أحدثت تغييراً جذرياً فى الأوضاع التى يقوم عليها مجتمعنا العربى.

(١) نفس المرجع ص ٨٨.

الفصل الثانى

الوحدة والتنوع فى الصحافة الشعبية

وفى تقديرنا أن «أخبار الجبىرتى» فى حضارة التدوين أقرب إلى الصحافة الشعبية؛ من «الوقائع المصرية» الصحيفة الرسمية التى أصدرها محمد على؛ كصحيفة رسمية؛ صدر أول عدد منها فى ١٥ رجب سنة ١٢٤٤هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٨٢٨، وبقيت الصحافة رسمية على هذا النحو طول عهد محمد على، فعباس، فسعيد، فإسماعيل - كما تقدم - وفى عهد الأخير ظهرت الصحافة الشعبية، حين أصدر عبدالله أفندى أبو السعود صحيفة «وادی النيل» ١٨٦٦م، مرتين فى كل أسبوع، و«نزهة الأفكار» ١٨٦٩م لصاحبها إبراهيم المولىحى وعثمان جلال، وكانت جريدة سياسية أسبوعية. وصحيفة «الأهرام» لصاحبها سليم تقي؛ وقد حصل على تصريح بها فى عام ١٨٧٥م. وجريدة «روضة الأخبار» ١٨٧٥، وجريدة «الوطن» ١٨٧٦م. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عناية خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية.

إلى جانب هذه الصحف وجدت: جريدة مصر ١٨٧٦م، وجريدة المحروسة ١٨٨١، وجريدة العصر الجديد ١٨٨٨م.

وقد توالى الأحداث المصرية والعالمية، واصطلحت جميعاً على تقوية الصحافة الشعبية، رغم منعها، أول الأمر، من الخوض فى الموضوعات السياسية، إلى أن قامت الحرب الروسية التركية.

ثم ظهر السيد جمال الدين الأفغانى فجأة فى مصر، وقضى بها ست سنوات من مارس ١٨٧١م - إلى أغسطس ١٨٧٦م، كانت من خير أعوام حياته.

فعندما جاء إلى مصر كانت صحافتها ذات تاريخ تمتد إلى أوائل القرن التاسع عشر عندما صدر جرنال الخديو ١٨٢٧م ثم صحيفة (الوقائع المصرية) في ديسمبر ١٨٢٨م، وهما صحيفتان رسميتان. كما تقدم. ولم يكن إسماعيل ليطلق صحيفة شعبية؛ فعندما حاول إبراهيم المويلحي وعثمان جلال إصدار مجلة (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩م، لم يكن لها مجال يسمح باستمرارها، فقد اعتبرت «مهيجة للخواطر، ومثيرة للفتن» وألغيت بعد صدور العدد الثاني.

وقد شجع الأفغانى تلاميذه على إصدار الصحف وأخذ يغذيهم بروحه ويشجعهم بأفكاره، ومن هؤلاء: محمد عبده، أديب إسحق، المويلحي، سليم النقاش، إبراهيم اللقاني، سعد زغلول، وغيرهم.

وتظهرنا صورة الشيخ «محمد عبده» (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) على الأثر الإيجابي للصحافة في الفكر المصرى الحديث، وهو الذى خطا بالمقال الصحفى خطوة كبيرة مبنى ومعنى، ويقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالصحافة المصرية فى الطور الثالث من تاريخها، ويتبنون اتجاهاته الإسلامية والوطنية. «التأصلة الجذور فى تاريخ بلاده» واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية، حتى لنذهب إلى أن الدور الذى قام به محمد عبده فى الصحافة المصرية يرتبط بنواح ثلاث هى: الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى.

ونعتقد أن هذه النواحي الثلاث، هى مرتكزات الصورة الإيجابية للصحافة الوطنية العربية منذ جهادها ونشأتها فى العالم العربى، إلى اليوم.

إثر عودة محمد عبده من منفاه؛ قال عن أصول منهجه للإصلاح: «إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار. وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن نترك السياسة، وأن نذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، فنعلم ونربى من نختر من التلاميذ على مشربنا، فلا تمضى عشر سنين إلا ويكون

عندنا التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فيتشتر أحسن الانتشار؛ فقال: أنت مثبّط!).

وسنراه رجل قو، وعمل بلغ فى كل منهما الذروة: يلى الوظائف الكبرى ويخوض فيها المعارض الضخمة، ويتعلم الفرنسية. ويفهم بكتاباته أخبار أوروبا وفلاسفتها أمثال هـ نوتو، ويكتب فى الصحف. ويفسر القرآن، ويصب اللعنة على السياسة الإنجليزية وهو فى العاصمة الإنجليزية. وسنراه الشيخ الكبير لمدارس المصلحين والسياسيين المصريين كافة، وفى طليعتهم سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م، وأحمد لطفى السيد «أستاذ الجيل»، والشيخ والعلماء الأحرار فى الأزهر، محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبدالرازق، وعلى سرور الزنكلونى، وعبدالمجيد سليم، ومحمود شلتوت، كما رأس وهو فى (الوقائع الرسمية)، سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوى، ووفى زغلول، وعبدالكريم سليمان، وتعلم فى رياسته رؤساء الوزارات، سعد، وعدلى ورشدى، وثروت، ومحمد محمود، والزعيমান محمد فريد، وطلعت حرب والشيخان المراغى ومصطفى عبدالرازق.

وظل على ما بدأ به حياته فى عهد الطلب متقشفا زاهدا يقاوم الخرافات والجهالات فى كل موقع شغله أو أطلع على عيوبه أو استعان به أصحابه لإصلاحه^(١).

يقول الأستاذ عبدالحليم الجندى:

ولما أصيبت مصر بكارثة الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢م واجتمع عليها الحكم التركى يمثله الولاة من أبناء محمد على والاستعمار البريطانى، كتب عن محمد على - وحفيده الخديو عباس حلمى الثانى على عرش مصر يحتفل بمرور مائة عام على تأسيس دولته - فقال: (ماذا صنع محمد على؟.. لم يستطع أن

(١) عبدالحليم الجندى: الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى، القاهرة، ص ١٩٧.

يحيى ولكن استطاع أن يميت!.. اشرايت نفسه لأن يكون ملكاً غير خاضع
للسلطان العثماني، فجعل من السعة لذلك أن يستعين بالأجانب الأوروبيين
فأوسع لهم في المجاملة!.

وانقلب الوطني غريباً في داره غير مطمئن في قراره. فاجتمع على سكان
البلد ذلآن: ذل ضرته الحكومة الاستبدادية، ومن رأيه أن الإصلاح عن طريق
الدين أيسر من الإصلاح عن طريق مقياس المنفعة الذي اصطنعه الأوروبيون.

وقد أثر الشيخ محمد عبده بعد عودته إلى مصر من بيروت - حيث قضى
ست سنوات في المنفى - أن يبتعد عن العمل السياسي المباشر، مفضلاً العمل
في مجال التربية والتوجيه الديني، فقد كان من حيث مزاجه الشخصي وعقليته
وثقافته مريباً وموجهاً أكثر منه سياسياً، فهو يحتضن الجانب الإسلامي تفكيراً
وتعليماً وإحياء «وليس معنى ذلك بحال من الأحوال أن محمد عبده كان يرى
قصر الإسلام على ضمير الفرد على نحو ما أراد الصحفيون والكتاب الضالعون
مع الاستعمار كما فعل السيد أحمد خان والقادياني في الهند، وكما حاولت
البابية والبهاية أن تفعل في إيران»^(١)

ولم يتعد محمد عبده عن السياسة، إلا بعد تأكده من أن الزعيم مصطفى
كامل كان يقود الحركة الوطنية بنجاح لمقاومة الاستعمار البريطاني، ومعتمداً
على الله ثم خلق الوعى الإسلامى والوطنى، وكان مصطفى كامل يؤمن
بأهمية التوجيه الدينى والتعليم الجامعى، ودور الإعلام والصحافة في تهيئة
الرأى العام لتقبل اليقظة الإسلامية، وربط مصر بالعالم الإسلامى، وقد قامت
كل من (المؤيد) التى أسسها الشيخ على يوسف فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م،
و(اللواء) التى أنشأها مصطفى كامل فى أكتوبر سنة ١٩٠٠م بحمل راية اليقظة
الإسلامية.

(١) د. إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامى ص ١٦٩.

وقد أثمرت الحركة الإسلامية ثمارا طيبة ناجحة، ذلك أن الحركة القومية المصرية برئاسة سعد زغلول قد نشأت فى أحضان الأزهر، واعتمد خطبائها على منابر المساجد، كما اعتمد كتابها على الصحافة الإسلامية، وتأخت فى سبيلها كافة الطوائف على نحو ما تؤكد الحضارة الإسلامية التى تظل كافة الطوائف تحت لوائها وتحميهم فى كنفها^(١).

وكذلك كانت حركات الاستقلال فى الشام والعراق وفلسطين منبثقة من منطلقات إسلامية، حتى أن رمز الاستقلال والزعامة السياسية فى فلسطين كان شخص المفتى أمين الحسينى، كما صدرت المقاومة العربية ضد النفوذ الفرنسى فى سورية من الجامع الأموى فى دمشق، وكان زعماء الثورة الذين عرضوا صدورهم لنيران العدو الفرنسى الغاشم هم كتاب الصحافة الإسلامية.

ويؤكد الشيخ محمد عبده أهمية التوجيه التربوى الإسلامى بقوله (ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم، وتقدر المغارم على المخالفات، هى التى تربي الأمم وتصلح شأنها، فإن القوانين لم توضع فى جميع أنحاء العالم إلا للجرائم والسقطات. وأما القوانين المصلحة فهى نوايس التربية المثالية).

كما يقول أيضا: (والسبب فى فقر البلاد عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية، التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته، إن لم تقل: تجعل الإحساس الأول أقوى من الثانى وتزيد إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره).

ثم يتساءل الشيخ محمد عبده: (ألم يأن لنا أن نرجع إلى المعروف مما كان عليه سلفنا، فنحيا بما كان قد أحياهم، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم؟)^(٢).

(١) نفس المرجع ص ١٦٩.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، ج ٢، ص ٤٩٦. د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٧٠.

وقد ترك كل من جمال الدين الأفغاني - بعد وفاته سنة ١٨٩٧م في الأستانة، والشيخ محمد عبده - بعد وفاته بالقاهرة سنة ١٩٠٥م - ، أجيالا تتلمذت على مبادئهما ومقاومة التقليد ومكافحة الاستعمار الأجنبي، وبناء العالم العربي والإسلامي من خلال التعليم والتوجيه والإعلام والصحافة.

وقد اشتهر تلاميذ من هذه الحركة - في الصحف العربية - علماء أفذاذ وزعماء شرعوا القلم في وجوه الأعداء نذكر منهم: طاهر الجزائري، والقاسمي، والبيطار، وعبدالقادر المغربي، وكرد علي، ورفيق العظم، وشكيب أرسلان، وطنطاوي جوهري، وفريد وجدي، وإبراهيم اللقاني، والبارودي، وعبدالعزیز الشعالبي، والطاهر بن عاشور، وعبدالحاميد بن باديس، ومحمد رشيد رضا.

صحيفة: (المنار)؛

وقد استطاع الشيخ محمد رشيد رضا أن يمضي قدما على الدرب الذي اختطه له أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده، وكانت مجلة (المنار) من أقوى الصحف الإسلامية التي دوى ضيئها في جميع أركان العالم الإسلامي. وقد صدرت (المنار) على هيئة جريدة في ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م ثم تحولت إلى مجلة شهرية ذات شأن عظيم. وعندما توفي صاحبها في ٢ أغسطس سنة ١٩٣٥م كانت (المنار) قد دخلت في عامها الخامس والثلاثين، وخير ما يمثل غاية هذه المجلة وبيّن منهجها ورسالتها ما كتبه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر بمناسبة عودة المجلة إلى الظهور، فقد قال^(١):

(كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الإسلامية الغالية، تحل فيه مشكلات العقائد والفقه، وتحيط بالمسائل الاجتماعية والإسلامية وأخبار العالم الإسلامي، وما فيه من أحداث وأمراض وعلل، وكان صاحبها السيد رشيد

(١) د. إبراهيم إمام: نفس المرجع ص ١٧١

رضا، رحمه الله، علما غيوراً مخلصاً للإسلام، محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه والامم الإسلامية، وكان شجاعاً فى الحق لا يهاب أحداً، ولا يجامل ولا يحابى. ونشأ على هذا واستمر فيه، إلى أن لقي ربه).

وقد اتخذت المنار قول الرسول ﷺ: (إن للإسلام صوى ومناراً كمنار للطريق) شعاراً لها، أما غرض المنار فهو (إعداد الأمة لهذا التجدد، وأول رسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة).

ويكتب الإمام محمد عبده عن المنار والاشتراك فيها فيقول: (الناس فى عماية عن النافع، وانكباب على الضار، فلا تعجب إذا لم يسرعوا بالاشتراك فى المنار، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للآجل، وأعون على الخلاص من شر الغابر، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا، والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سيلا، ولكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل والسلام).

صحيفة (المؤيد):

(والمؤيد) من أهم الصحف المصرية التى ظهرت فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩م، وكان يحررها الشيخ على يوسف، ونالت صيتاً واسعاً وشهرة ذائعة، وكان صدورها لمواجهة صحيفة (المقطم) الضالعة مع الاحتلال البريطانى، والتى كان يصدرها ثلاثة من خريجي معاهد التبشير فى الشام وهم: يعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وفارس نمر.

ومن الكتاب الذين اشتركوا فى تحرير (المؤيد) الشيخ عبد الحميد الزهراوى، والشيخ حامد إبراهيم، ومحب الدين الخطيب الذى أصدر صحيفتى (الفتح)

و(الزهاء)، وعمر منصور، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومحمد مسعود،
والشيخ عبدالقادر المغربى، وحافظ عوض، ومحمد كرد على، ومحمد أبو
شادى، وغيرهم.

عبدالرحمن الكواكبى:

بيد أن من أشهر الكتاب فى (المؤيد) عبدالرحمن الكواكبى، وهو سورى
من حلب، وفد إلى مصر سنة ١٨٩٩م، وكان قد مارس الصحافة فى حلب
فى صحيفة (فرات) الرسمية ثم فى صحيفة (الشهباء)، وصحيفة (الاعتدال)،
ولقى فى مصر لفيماً من أصدقائهم، منهم طاهر الجزائرى، وعبدالحميد
الزهرراوى، وكرد على، وفى مقدمتهم محمد رشيد رضا الذى قدم له
مساعداً كثيرة، وعرفه بالشيخ على يوسف، وأفسحت له (المؤيد) و(المنار)
صفحاتها لنشر مقالاته.

ومن أشهر ما أصدره الكواكبى كتاب (طبائع الاستبداد) الذى صدر على
شكل مقالات متتابعة فى جريدة (المؤيد)، وقد استهدف الكواكبى من هذا
الكتاب أن يكون صيحة مدوية توقظ النفوس وتحبى موات الهمم وتدفع
الزعماء والمصلحين إلى الأخذ بيد الأمة الإسلامية والنهوض بها.

والكواكبى يكنى نفسه بالفراى، ويقول: إن بعض أفاضل العلماء والسراة
والكتاب السياسيين بحثوا الوسائل للنهضة الإسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم
فى ذلك فى الجرائد الهندية والمصرية والسورية والتارية، ويقول: إنه اطلع
على كثير من مقالاتهم فى هذا الموضوع، وقلدهم فى نشر ما عن له، ثم بدا
له أن يعمل على توسيع هذا السعى بعقد جمعية من سرة الإسلام فى مكة مهد
الهداية فعقد العزم على إجراء سياحة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع
الأفكار، وتهيئة الاجتماع فى موسم فريضة الحج.

فخرج من بلدته إحدى مدن الفرات فى أوائل المحرم سنة ١٣١٦هـ ثم سلك الطريق البحرى من إسكندرونة إلى بيروت فدمشق وبافا والقدس والإسكندرية، فمصر والسويس والحديدة فصنعاء وعدن والكويت، وحائل فالمدينة ومكة، ووصل إليها فى أوائل ذى القعدة، فوجد الأفاضل الذين اجتمع بهم فى البلاد قد أجابوا الدعوة عدا الأديب البيروتى، ثم سعى لاختيار اثنى عشر عضواً أضافهم إلى الأعضاء من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجة سرايى وتفليس وتبريز وكابل وكشفر وقازان وبكين ودلهى وكلكتا ولقربول، ثم تخير داراً فى حى متطرف بمكة يعقد فيها الاجتماعات بصورة خفية.

وبلغ عدد المجتمعين - كما تخيلهم الكواكبي - ثلاثة وعشرين عضواً، بما فيهم السيد الفراتى الذى عهدت إليه كتابة محاضر الجلسات، وتولى رئاسة الاجتماعات العضو المكى على أساس أن المؤتمر عقد فى بلده واتخذه المجتمعون شعاراً: (لا نعبد إلا الله).

وتعاهدوا على الجهاد والأمانة.

ومع أن هذه القصة يخيل للقارىء أنها من نسج الخيال؛ إلا أن الكواكبي يقول إن لها أصلاً فى الحقيقة، وقوله هذا يزيد القصة إمتاعاً، ويدعم خيالها ما يدير فيها من حوار، وما يجعل بين يديها من مقدمة.

(وكل سبب من أسباب الأعضاء المتفرقين يعملون به ضعف المسلمين ينتهى إلى أن يكون سبباً من ناحية ونتيجة من ناحية أخرى، وكل عرض من أعراض الجمود يجرى به الدور والتسلسل على هذه الوتيرة، إلى أن تنتهى كلها إلى سبب الأسباب فى عقيدة الكواكبي كما نفهمها فى ديدنه فى التفكير وليس هناك سبب لجميع الأسباب غير الحكومة السيئة أو الاستبداد)^(١).

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٠٤.

وعندما دعا الرئيس، السيد الفراتى (الكواكى) وهو سكرتير المؤتمر لتلخيص المحاضر قال: إن فتور المسلمين يرجع إلى أسباب دينية أهمها: عقيدة الجبر، ونشر ما يدعو إلى التزهيد فى الدنيا، وترك السعى والعمل، وأسباب سياسية أهمها السياسة الخالية من المسئولية، وحرمان الأمة حرية القول والعمل وأسباب خلقية مثل الاستغراق فى الجهل، والارتياح إليه، واستيلاء اليأس على النفوس.

ووصل المؤتمر إلى أن المسلمين فى حالة فتور عام ويجب تدارك هذا الفتور. وأن جرثومة الداء الجهل، والدواء تنوير الأفكار بالتعليم، وإيقاظ الشرق للترقى وخصوصاً فى الناشئة، وتأسيس الجمعيات التى تقوم بهذا العلاج^(١).
عبدالله النديم:

وحين تعود إلى صحافة مصر فى القرن التاسع عشر الميلادى، نتوقف عند السيد عبدالله النديم، خطيب الثورة العرابية. وقد تولى النديم مهمة الإعلام للحركة الوطنية والدعاية لها، وإرشاد «الشعب إلى الطريق الصحيح إليها». وكانت خطبه وصحيفته وسيلته فى كشف الحجب التى أسدلت على عيون المصريين من مئات السنين، فلم يعودوا يعرفون من أمور أنفسهم ووطنهم شيئاً؛ وأخذ يوجه الشعب الوجهة الوطنية الصحيحة فى عهده الجديد.

وكان النديم ملازماً لعرابى، يخطب فى الوفود التى تأتى إليه؛ ويناقش الأعيان والوجهاء الذين يجتمعون كل مساء فى منزل الزعيم؛ ويكتب مقالاً عنوانه: «وصية وطنية» يذكر المصريين بما لا قوه فى الماضى من قتل وصلب، وجلد ونفى وسجن، ويحذرهم من الدول الطامعة فيهم، التى لا تحب لهم التقدم ولا العلم أو العدل، ويشجعهم ويثبت قلوبهم؛ ويدعوهم إلى عدم

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٧٦.

الخوف من المدرعات التي وصلت إلى الإسكندرية لتهديد مصر، ويحدثهم عن الاستبداد الذي أفسد الأخلاق، وعن الممالك التي نالت حريتها بالجهاد والدماء، وعن الصلة بين مصر والخلافة العثمانية، وانتظام مصر في الهيئة الإسلامية الجامعة لكلمة الدين.

ولقد أصبح معروفاً في البلاد أن النديم هو «المتحدث بلسان ثورة الجيش، وأن جريدته تعبر عن سياسة الحركة العرابية؛ ولذلك طلب إليه الزعيم أحمد عرابي أن يطلق على جريدته اسماً جديداً هو (لسان الأمة)؛ بدلاً من (التنكيث والتبكيث)؛ لينطبق مفهومه على الوظيفة الجديدة، وأن يعلن رسمياً أنها جريدة الحركة العرابية، وجرت بينهما مفاوضات في هذا الشأن انتهت بأن أرسل عرابي إلى إدارة المطبوعات المصرية في ١٧ أكتوبر ١٨٨١م الخطاب التالي:

«لدخلونا في عصر جديد وفوت زمن (التنكيث) اقتضى تبديل جريدة (التنكيث والتبكيث) الأدبية التهذيبية، كما استقر عليه الرأي بالممارسة مع حضرة الفاضل عبدالله أفندي نديم محررها ومدير إدارتها باسم (لسان الأمة)، وأن يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للدفاع عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها.

«فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرّب المنيف اعتباراً من عددها التاسع عشر». وكتب النديم معلقاً على كتاب عرابي يقول:

«بحمد الله تعالى تخلصنا من زمن «التنكيث والتبكيث» وأصبحنا في زمن الحرية ومعرفة الحقوق، وهذا الذي قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشرّبها، فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة، بعد أن كنا ندمجها في محاورات ودروس تهذيبية وجعلنا تطالب بحقوق الأمة وتدفع السنة الأعداء عنها».

ويرجع أستاذنا د. الحليدي؛ أن الاسم الجديد الذي اقترحه أحمد عرابي

للمصحيفة لم يرق للنديم، والنديم - كما لقبه الأستاذ عباس العقاد: - ملك العنوانات. فأصدرها باسم (الطائف)، ونحن نذهب مع أحمد تيمور باشا في تعليقه لتسمية النديم للمصحيفة باسم (الطائف) تيمناً بالطائف (في الحجاز) وتفاؤلاً بأنها تطوف البلاد كما جابتها (الجوائب) لأحمد فارس الشدياق^(١).

- على أن اختيار النديم: (الطائف) اسماً لصحيفة الثورة العربية، يشير أيضاً إلى الدلالة التواصلية مع الجهاد في العالم العربي والإسلامي.

وسرعان ما احتلت جريدة (الطائف) المكانة الأولى من الصحف المصرية في ذلك الوقت الذي شهد صدور صحف: الأهرام، المفيد، الفسطاط، السفير، النجاح، المحروسة، العصر الجديد، الوقائع المصرية، البرهان. وقد نالت صحيفة (الطائف) من الرواج والشهرة ما لم تنله صحيفة قبلها من التأثير على الأفكار، وبلغت منزلة فاقت فيها الصحف المعاصرة لها. وبدأت الصحف الوطنية والأجنبية تعتبرها مصدراً موثقاً به، وأخذت تنقل عنها الأخبار وتعيد طبع كثير من تصريحات النديم ومقالاته^(٢).

وكانت جريدة (الطائف) - كما يقول مستر بلنت - التي يحررها رجل حاد نابغ هو عبدالله النديم تحمل حملة شديدة على الحانات والمراقص والمغاني التي هجمت على القاهرة تحت حماية الامتيازات الأجنبية فاستاء منها كل عربي.

هذا جانب من جوانب صورة الجهاد من أجل التوحيد في مصر يتكامل مع ملحمة الجهاد في تاريخ الصحافة العربية في الوطن العربي.

صحيفة الأستاذ:

وحين نصل إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، نلتقي

(١) أحمد تيمور: تراجم الأعيان ص ١٧.

(٢) د. علي الحليدي: عبدالله النديم، ص ١٦٤.

بصحيفة (الأستاذ) التي أصدرها السيد عبدالله النديم، ليصور صوت الضمير الوطني في مواجهة الاحتلال، وصحفه، ومؤيديه.

وصدرت صحيفة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢، وقد سبقتها إلى الصدور صحيفة الأهرام ١٨٧٥م، التي اعتمد عليها الوطنيون المصريون في جهادهم ضد الاحتلال، وصحيفة (المقطم) التي اعتمد عليها الاحتلال البريطاني، فأمدّها اللورد كرومر بالمال والأخبار والإعلان، عام ١٨٨٩م، وهى الصحيفة التي أوعز الإنجليز إلى أصحاب (المقطم) أن ينشئوها صحيفة يومية لتنافس (الأهرام) وتعارضها وتحمى المصالح البريطانية. وفكر الوطنيون فى إنشاء صحيفة وطنية يكون فى مقدورها مقاومة (المقطم) ومحاربة الاحتلال، فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازى، وحسن باشا عاصم، وإبراهيم الهلباوى وغيرهم، واستقر رأيهم على أن يتولى حجازى باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا، تحارب الاحتلال وتعلن أخطائه وتنشئ الأجنال على كراهيته. ولم ير رئيس الحكومة مانعا يحول دون إنشاء (المؤيد) فصدرت فى أول ديسمبر ١٨٨٩م لصاحبها (الشيخ على يوسف) وما لبثت أن أصبحت مجالا للأقلام الوطنية الناشئة، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين. وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية فى مقالات طويلة قد تبلغ الصفحة الأولى جميعاً^(١).

ويجانب (المؤيد) صدرت صحيفة (الأستاذ) فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م للسيد عبدالله النديم، كما تقدم، وما لبثت أن احتجبت لأن الجرائد الإفرنجية فى مصر وإنجلترا - كما يقول النديم - حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين، عدو للأجانب. وقد برم بها اللورد كرومر فأمر بإغلاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر.

(١) جريدة المؤيد فى ٨ مارس ١٨٩٢م.

فى العام نفسه صدرت مجلة (الهلال) ١٨٩٢م، لصاحبها (جرجى زيدان) الذى اكتسب خبرته الأولى فى العمل (بالمقتطف) سنة ١٨٨٥م، وهاجر إلى القاهرة شأن أقرانه، ليؤسس مجلة ثقافية، تحمل اسم (الهلال) علماً عليها، ولكنه فى سبيل مائة الأسرة (العلوية) فى مصر، تجنى على حقائق التاريخ، ففراه فى الجزء الثامن من السنة الأولى (أول إبريل ١٨٩٣م)، يصدر المجلة بصورة لمحمد على باشا (مؤسس العائلة الخديوية) فى باب (أشهر الحوادث وأعظم الرجال)، ونقرأ له هجوماً صريحاً على أنصار الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص ٢٧٩ - ٢٨٨)، ليبرر حملات (مؤسس الأسرة الخديوية) تبريراً يثير مشاعر المسلمين، على النحو الذى جعل السيد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، فى مجلة (المثار) ج ٢، يقول عنه فى سياق تعليقه على كتاب جرجى زيدان: (تاريخ التمدن الإسلامى) .. «ولكن ظهر لنا مما كبه بعد ذلك، ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه، أنه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتعاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم».

وكان «رشيد رضا» من أشد معارضى زيدان، وهو مثله مهاجر من لبنان إلى مصر، وقد نشرت مجلة (المثار) هجوماً حاداً على زيدان كتبه الشيخ الهند شبلى النعمانى، اتهم فيه زيدان بالعداء للعرب والإسلام^(١).

وترتفع نغمة الخصومة والمعرفة بين النديم وبين الصحف غير الوطنية وعلى رأسها (المقطم)، فيكتب النديم تحت عنوان: «إنما يقبل النصيحة من وقف^(٢) فيحذر المواطنين من الصحف التى تدعو إلى بذور بذور الفتن بين الأجناس الشرقية وتصلى وتعبد الأمم الأوربية» وإذا كنت فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق أميرك المؤيد الخديو، ويوهمك أن صالحه موقوف على ذلك قارفض قوله وحذر قومك منه، فإنما هو خادع بل عدو ممين .. وما ضر الشرق وفرق جمعه إلا أمثال هؤلاء، فإنه تاجر يتجر ببيع الأوطان فى سبيل قمة أو ثوب أو مال^(٣).

(١) مصطفى نبيل: مقدمة؛ مصر والعالم سنة صدور الهلال.

(٢) الأستاذ ص ٢١٤.

(٣) الأستاذ ص ٢١٤.

ثم تزداد خطوط المعركة وضوحاً في مقاله: «لَمْ تَخْتَلَفْ كَلِمَتَنَا إِذَا التَّحَدَّثْتَ وَجْهَتَنَا؟»^(١) فيكتب عن الصحف التي ادعت الوطنية وهي في الواقع تخدم الدول الأجنبية، فإذا بحث القراء تلك المواظ وجدوها دخاناً صاعداً من خلال تراب ينذر باشتعال ما تحته من النيران. . هنالك يتبينون أن أفواه الكتاب ما انضمت إلا على نيوب صلّ يتحين غفلة النائم ينهشه نهشة يسرى منها سمه في جميع الأعضاء. . هذه هي حال فريق من الجرائد في الشرق بين عربية وإفرنجية. ترى كل جريدة أنها إنما أنشئت لخدمة الشرق وأهله. . ثم يتبين من خلال عبارات بعضها ما تخدع به الشرقيين وتدعوهم إلى الاستسلام للدخيل^(٢). ثم يضع الحدود الفاصلة بين الجرائد الوطنية الخالصة والصحف التي تدعو للاستعمار^(٣).

وتسوء العلاقات بين الصحفيين المصريين والنازحين من البلاد العربية الذين انضموا إلى الإنجليز يدافعون عن سياستهم، ويسميهم النديم (الأجراء)، وتشتد المعركة بين الصحف الوطنية الخالصة والصحف المناصرة لفرنسا من جهة، والمالية لإنجلترا، وعلى رأسها (المقطم) من جهة أخرى، ثم يعلن الحرب على المأجورين الذين يخدمون الأغراض الأجنبية في ثوب الوطنية. ويكتب عن التزلاء الذين أتوا مضرر لكسب العيش فاستعانوا بالقوة الحاكمة فولوهم المناصب وأقصوا عنها المصريين وأعانواهم على سلب أموال المصريين وتجارتههم^(٤).

لو كنتم مثلنا؛

ويكتب النديم تحت عنوان: «لو كنتم مثلنا لفعلمت فعلنا»^(٥): «أنا أخوك فلم أنكرتني؟ ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء

(٢) الأستاذ ص ٢١٤.

(١) الأستاذ ص ٢٦١.

(٣) د. علي الحديدي: المرجع السابق ص ٣١٥.

(٤) نفس المرجع ص ٣٥٢ - الأستاذ ص ٣٨٥.

(٥) نفس المرجع ص ٣٥٣، الأستاذ ص ٥٠٠٧.

أحدهما، فلمَ تنافَرَ أبناؤهما واتحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وإن ساكنوهم في مصر؟ ألم يكن الأجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها؟ أبرتاب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعيه على إخواننا ليتقم منهم بغير ذنب ويعجنى على غير جان. . ولو اجتمعت كلمتنا، وتوحدت وجهتنا، واثلفت نفوسنا، وصفت بواطتنا، وصرفنا هذه الهمم في وحدة الوطنيين، وإعلاء كلمة الجنس العربى، لحصدنا المعالى ووقفت أوروبا تنظرنا بعين الإعظام والإجلال، ولكن قضت شقوة الشرقيين أن يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم. . وأسفاه على رجال قضى آباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بينهم دخیل ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبى، فجاءوا من بعدهم وخالفوا سيرهم، وحالفوا غيرهم، وخدموا الأجنبى بمساعدته على التداخل في بلادهم، بل على الاستيلاء عليها، لا لعداوة بين الأمتين ولا لحرب جرت بين الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ.

«وإن قيل إن جامعة الدين^(١) اضطرتهم، قلنا إن عز الاستقلال بالوطنية خير من الإذلال، فإن الأجنبى يغر الرجل منا حتى يصل به إلى غرضه، ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء، ولا يعرف له حقاً غير خدمته، ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً في الاستخدام والاستعباد. أنقول هذا وقتاً فتحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا ثبالي، جاء المستقبل على أهلنا وإخواننا بالعز أو بالهوان؟. بش ما يختاره الرجل لنفسه من أن يطعم لقمته مغموسة في دماء جنسه وإخوانه. .»^(٢).

(١) يشير إلى أصحاب المقطم والمستعمرين، د. على الحليدي، المرجع السابق ص ٣٥٣.

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٤.

وتحدت بمقالات النديم في (الأستاذ) المعارضة الصحفية القوية ضد الاحتلال، وأخذت الصحف الوطنية تحذو حذوه وتسير على نهجه وتتبع خطاه (١).

رأى النديم تفكك الرأي العام وجهله نتيجة سياسة الاحتلال فكتب تحت عنوان: «طريقة الوصول إلى تكوين الرأي العام»، يطالب الكبراء والوزراء بأن يستقبلوا الناس ويعقدوا الاجتماعات، ويناقشوا الموضوعات الاجتماعية والسياسية، ومن الحسن أن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد، وقد أضيفت الكلمة إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها (٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (٣).

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (٤).

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٥٥.

(٢) الكشف ٢ / ٩٨ - الحوفي: المرجع السابق. ص ٤٩.

(٣) الأنفال: ٥٦.

(٤) النحل: ١٢٧ - ١٢٨.

الفصل الثالث

المقاومة الصحفية ومفهوم «الوحدة»

كان للإحساس بالمقاومة وقر شديد فى نفوس المصريين يحرك اتجاهاتهم الوطنية والسياسية، مما عرفناه جليا فى سيرة الصحافة المصرية.

ذلك أن الثورة العرابية، التى تمثل فيها رأى العام المصرى الناشئ، جاءت نتيجة لهذا الظلم الذى ناء به المصريون وباعد بينهم وبين الأسرة الحاكمة. أو بعبارة أدق، كان هذا الظلم أهم عامل حرك رأى العام فى ثورة، انتهت إلى المطالبة بحق الأمة فى الدستور والحكم النيابى والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات، تلك المساواة التى «يكفلها الدستور كما يكفل العدالة للجميع أمام القانون»^(١).

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن القول إن الدوافع التى أدت إلى ظهور الرأى العام فى مصر، كانت هى نفسها العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية، وأول هذه العوامل: «التدخل الأجنبى فى مصر، الذى كان من آثاره ظهور المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية. وصندوق الدين. والمراقبة الثنائية. والوزارة الأوربية، وما إلى ذلك من الأحداث الهامة المعروفة فى تاريخنا المصرى الحديث، وهى الأحداث التى أثارت شعور المصريين، وأحفظتهم إلى حد بعيد وثانى هذه الدوافع: استبداد الحكم المصرى منذ أيام محمد على استبدادا قويا كان له أثره فى نفوس الشعب فى ذلك الوقت»^(٢).

والثالث: من هذه الدوافع: تلك الأزمة التى حدثت بين الخديو والباب العالى بسبب جفوة دبت بينهما، وذلك عندما رغب إسماعيل فى الإستقلال عن تركيا. ففى أثناء هذه الأزمة طفق الباب العالى يندد بأعمال إسماعيل ويكيل

(١) نفس المرجع ص ٢١، ٢٢، لطفى السيد فيلسوف أيقظ أمة؛ هيئة الكتاب، السابق.

(٢) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل، القاهرة، هيئة الكتاب.

ضده التهم الخطيرة. وقد استنبطت جريدة البروجريه الفرنسية من ذلك: «أن المصريين بدءوا يهتمون بالسياسة^(١)، فإنهم بدءوا يترقبون الأخبار الواردة من الأستانة، ويعلقون عليها، وأن الرأي العام بدأ يتكون في مصر».

والرابع: من تلك الدوافع: الدستور الذى منحه السلطان عبدالحميد الثانى فى تركيا، فقد شجع ذلك المصريين على المطالبة بمثل هذا الدستور^(٢) على أن الحركة الدستورية فى مصر لم تكن وليدة الظروف التى ساقط إليها، وأولها الأزمة المالية والتدخل الأجنبى، بل أعمق جذوراً من ذلك، إذ ترجع إلى ظهور طبقة جديدة من الأعيان المصريين أتيج لها أن تشارك مشاركة محدودة فى شئون البلاد عن طريق مجلس شورى النواب الذى كونه إسماعيل ليبدو فى نظر الغرب حاكماً دستورياً مستتيراً، كما ترجع إلى حركة فكرية جديدة كان رائدها جمال الدين الأفغانى أسهمت بدورها فى دفع هذا الرأي العام، وغذتها صحافة ناشئة نشطة وشباب مستنير أخذ يلتف حول داعية الشرق العظيم - كما تقدم - وكان لامتداد الموجة الغربية إلى مصر واتصال مصر بأوروبا وظهور طائفة من الشباب تعلم فى الأزهر وفى المدارس الحديثة أثرها البعيد فى ذلك، فقد أخذ هذا الشباب يعنى بشئون بلاده ويبرم بالسياسة العشوائية التى يسير عليها إسماعيل، ولا يجد متنفساً لإعلان سخطه على استبداده وجوره إلا فى مجالسه وندواته الخاصة التى وجد الأفغانى فيها أعظم متلدى لأفكاره وتعاليمه.

وعلى ذلك يمكن القول إن التقاء التيار الأوروبى بالتيار الشرقى إلى جانب هذه العوامل قد هباً الجو لظهور الرأي العام المصرى، وتكوين العقل المصرى الحديث. وهى كما يتضح نفس العوامل التى أدت إلى قيام الثورة العرابية لتعبر عن ذلك كله.

وتخلص من ذلك إلى أن هذه البيئة هى البيئة الفكرية والسياسية

(١) د. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين، القاهرة، هيئة الكتاب.

(٢) د. عبداللطيف حمزة: السابق ٣ ص ١٢ - نقلاً عن كتاب تاريخ العصر الحديث لمحمد صبرى ص ١٤٤ - البروجريه ٢٥ / ١٢ / ١٨٦٩.

والاجتماعية الصالحة لظهور الفن الصحفى بوجه عام، وفن المقال الصحفى بوجه خاص.

ذلك أن أهم مظهر من مظاهر تلك البيئة هو ظهور الصحافة الشعبية الحقيقية، كما تقدم، وقد صدرت جريدة وادى النيل سنة ١٨٦٦ - فى نفس السنة التى أنشأ فيها إسماعيل مجلس شورى النواب - وكانت هذه الصحيفة شعبية من حيث الشكل فقط، ولعل إسماعيل قد أوحى بإصدارها إلى عبدالله أبى السعود لكى يحارب بها التدخل الأجنبى والدولة العثمانية، ولكى يظهر بالمظهر الأوربى الذى كان يرنوا إليه. وأبلغ دليل على ذلك أنه لم يطق جريدة نزهة الأفكار لعثمان جلال وإبراهيم المويلحى فأغلقها بعد صدورها مباشرة سنة ١٨٦٩. وأما جريدة الأهرام الصادرة سنة ١٨٧٥، وجريدة مصر لأديب إسحق الصادرة بوحي من جمال الدين الأفغانى سنة ١٨٧٧، وجريدة التجارة لأديب إسحق وسليم نقاش الصادرة فى سنة ١٨٧٨، وجريدة التنكيت والتبكيت الصادرة سنة ١٨٨١ بقلم الصحفى الثائر عبدالله النديم - فهذه هى الصحف الشعبية الحقيقية التى فتحت صدرها لكتاب المقال الصحفى.

ومن ذلك - وعلى سبيل المثال لا الحصر - أن الدور العظيم الذى قام به محمد عبده فى التمهيد للثورة، كان من خلال مقالاته فى الأهرام. ولعل هذا ما حمل الخديو توفيق، عندما نفى الأفغانى من مصر، على أن يأمر محمد عبده بالإعتزال فى قريته التى لم يغادرها إلى القاهرة حتى ١٨٨٠، حين عينه رئيس الوزراء رياض باشا فى بادىء الأمر محرراً فى «الوقائع المصرية» ثم رئيساً لتحريرها. وخلال ستى الأزمة اللاحقتين، لعب دوراً هاماً فى توجيه رأى العام بسلسلة من المقالات عن النظام الاجتماعى وخاصة عن التربية الوطنية^(١) كما تقدم.

على أن ظهور هذه الصحف الشعبية بلغ بفن التحرير الصحفى شأواً بعيداً من الرقى والتقدم، فقد كانت تكتب باللغة العربية الفصحى، وكتب قليل منها

(١) حورانى: المرجع السابق ص ١٦٦.

باللغة العامية، التي يفهمها الشعب المصرى، وقد عنيت جميعا بترقية اللغة العربية، كما أدى لجوء بعض الصحفيين الوطنيين المطاردين من قبل السلطة فى مصر إلى فرنسا، إلى الكتابة بحرارة «أكثر، وتدفق أعظم، وحرية أوسع، فجاءت كتاباتهم فى خارج مصر أجل وأوقع وأقرب إلى النضج الصحفى والنضج الأدبى من كتاباتهم». وكان من هؤلاء الأستاذ الإمام محمد عبده، الذى اشترك مع أستاذه جمال الدين فى إصدار وتحرير «العروة الوثقى» من باريس، والى «أزعجت الإنجليز»، فحاربوها ومنعوها من دخول الهند. كما اتجهت هذه الصحف الشعبية بالمقال الصحفى إلى أن يعبر بصدق عن «الرأى العام الشعبى» فى مواجهة «الرأى العام الرسمى» الذى عبرت عنه المجالس النيابية والحكومات المصرية.

الأستاذ الإمام والعروة الوثقى ١٨٨٤^(١)؛

وكان لهذه الصحيفة أهداف تنحصر فيما يلى :-

أولاً: إفهام الشرقيين جميع الواجبات التى كان التفريط فيها موجباً لسقوطهم، وبيان الطرق التى يسلكونها لإدراك ما فات.

ثانياً: إفهام الشرقيين كذلك أن الأمل فى النجاح قريب ولا داعى فى بلوغ ذلك إلى قطع دائرة عظيمة، تصورها يوجب الفتور ويحط من العزائم.

ثالثاً: دعوة المسلمين كافة إلى التمسك بالأصول التى كان عليها الآباء والأسلاف. فلا يصلح آخر هذا الأمر (يريد أمر الدين) إلا بما صلح به أوله.

والمثل الأعلى للمسلمين فى نظر العروة الوثقى هو ما كان عليه الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

رابعاً: إبطال الزعم بأن المسلمين لا يتقدمون فى مضمار الحياة ما داموا متمسكين بدينهم لأن دينهم فى نظر من لا يفهمونه من الأوربيين يدعو إلى النواكل.

(١) د. عبداللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٤٧.

خامساً: تقوية الروابط بين الأمم الشرقية وتأييد المصالح المشتركة بينهم.

سادساً: وصل الشرقيين بما يهمهم من الأخبار العامة والأخبار الخاصة. ووصلهم كذلك بسياسة الدول الأجنبية تجاه الشرق.

صرح الرجلان بأهداف الجريدة بهذه الطريقة الصريحة الجريئة، فسرت بين الشرقيين سريان البرق. وتنافسوا جميعاً في اقتنائها وتسابقوا كذلك في اعتناق أفكارها وآرائها. ولجحت الجريدة بالفعل في شفاء المسلمين من مرض (الوهم) الذي تسلط على نفوسهم وخيل إليهم أنهم أصبحوا لا يستحقون نعمة الحرية.

وفي مجال هذه الأفكار والآراء دارت مقالات الشيخ محمد عبده التي نشرها في العروة الوثقى، وحملت هذه المقالات طابع الدرس والشرح لجميع العلل التي أصابته العالم الإسلامي في ذلك الوقت وكان من أخطر هذه العلل في نظر الشيخ سوء فهمهم (لعقيدة القضاء والقدر) - أو على الأصح - سوء فهم الأوروبيين لهذه العقيدة التي يعتنقها جمهور المسلمين، واعتقاد أولئك الأوروبيين أنها سبب في تأخر المسلمين ووقوعهم فريسة للاستعمار الأوروبي الذي زعم أنه يقودهم إلى العلم والحضارة.

قال الشيخ:

«الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شجاعة الجبر تتبعه صفة الجراءة والاقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك التي ترتجف لها قلوب الأسود وتنشق منها مرائر النمرور. هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكار، ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلى الجود والسخاء، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها. بل يحملها على بذل الأرواح والتخلي عن نضرة الحياة، كل هذا في سبيل الحق الذي دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة».

يقول الأستاذ عمر الدسوقي إن جريدة (العروة الوثقى): «دليل آخر على أن عزيمة السيد جمال الدين لا تفتقر، وعلى أن اليأس لم يبلغ في نفسه مبلغاً يشبه عن أداء رسالته، وقد كان من رأى الشيخ محمد عبده أن هذا الجيل من المسلمين، الذن يدعونه للرشاد واليقظة جيل فاسد لا رجاء فيه، وأن الأولى أن تنشأ مدرسة يربى بها عدد محدود من خيار الشباب يقودون الأمة فيما بعد لما فيه خيرها ونفعها، ولكن هذه الفكرة لم ترق للسيد، ورأى فيها تشييطاً للهمم، حتى ليبدو متعجلاً قطف الثمرة لهذه الغراس التي أودعها المتصلين به، وأصر على أن يوجه الدعوة إلى الجيل الحاضر من الناس في صورة جريدة العروة الوثقى، يكون له فيها الفكر المدبر والعقل المسيطر، وللشيخ محمد عبده القلم المحرر واللسان المعبر، ولميرزا محمد باقر الترجمة من الصحف الأوربية، ونقل كل ما يهم الشرق والإسلام^(١): وصدر من الجريدة ثمانية عشر عدداً، كانت شعلة ملتهبة متوهجة من الحماسة والآراء الحرة الجريئة، وكانت حرباً شنها جمال الدين وزميله على الاستعمار الجشع؛ وكان طبعياً أن يحاربها الاستعمار خشية أن تفسد عليه تفرد الغنيمة وقتله الشعوب التي وقعت في قبضته، فمنعها من دخول الهند ومصر^(٢). ولما شعر السيد وزميله أن الأعداد لا تصل إلى أصحابها إلا في النادر، وأنه قد حبل بينهم وبين وصول صورتهم إلى آذان الناس في مصر والشرق عطلوها، وإن لم يمت أثرها حتى اليوم.

سُميَ الجريدة: (العروة الوثقى) لتكون لسان حال الجمعية السرية التي أسسها لتكون أداة من الأدوات القوية في أداء رسالتها. فكانت الصحيفة الأولى في مادتها ولغتها ومعانيها ومراميها وقوة انتشارها، على ما كانت تحاط به من الرقابة الإنجليزية الواعية.

يعرف بالبداية أن هذه الجمعية السرية كانت تمد الجريدة مادياً بما تستطيع،

(١) تاريخ الإمام جـ ٢ ص ٢٢٩، والنار جـ ٨ ص ٢٥٥.

(٢) النار جـ ٢ ص ٤٦٢ ومشاهير الشرق جـ ٢ ص ٥٧. عمر الدسوقي: الأدب الحديث جـ ١ ص ٢٧٠.

كل على قدر طاقته، فصدر منها ثمانية عشر عددا، أولها فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ، وآخرها فى السادس والعشرين من ذى الحجة من العام نفسه.

وعلى هذه الاسس قامت جريدة (العروى الوثقى)، تنظر إلى العالم الإسلامى كله على أنه وحدة. . مع مراعاة جانب الشرقيين عموما. وقد قالت فى ذلك:

«بلغ الأجحاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته. وأدرك المتغلب عليهم نكايته، خصوصا فى المسلمين منهم، فمنهم ملوك أنزلوا عن عروشهم جورا، وذوو حقوق فى الأمرة حرموا حقوقهم ظلما، وأغزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، وأصحاء أصبحوا سقاما، وأسود تحولت أنعاما. .».

ثم تؤكد فى كل مناسبة أنها للشرقيين عامة. ومن ذلك قولها: «... عملها (الجريدة) سكب مياه النصيح على لهيب الضغائن، لتتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد. تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بنهم، ويأخذوا خذرمهم وأسلحتهم لدفع الضواري التى فغرت أفواهها لالتهامهم».

ومن المعروف أن السيد جمال الدين الأفغانى لم يكن يكتب بيده شيئا، وإنما كان يملئ ما يزيد إملأه على من يكتب له. غير أنه فى (العروى الوثقى) كان يدرس فكرة كل مقال مع الشيخ محمد عبده إلى أن تستوى الدراسة وتنضج، ثم يترك للشيخ الكتابة وحده.

وصف الجريدة:

وقد كثر الواصفون للعروى الوثقى فى أيامها. ومن وصفوها حق وصفها الأمير شكيب أرسلان. وصفها فى معانيها، ووصفها فى أسلوبها.

قال فى الوصف الاول:

وممان لو اوحيت لجماد

هزه الشوق نحوها والفراهم

حيرت كل ذى حصاة الى أن

قيل لاشك إنها الهام

وقال فى وصفها الثانى:

كلام إذا ألقيته فى جماعة غدا

منك مثل اللؤلؤ الرطب ينشق

عليه من النور الإلهى مسحة

تكاد على أرجائه تستألق

١- روى السيد رشيد رضا أنه سمع من محمد بك على قوله:

«كنت فى بغداد فى عهد صدور العروة الوثقى، وكانت ترسل إلى الزعيم العربى الأكبر السيد سليمان الكيلانى نقيب السادة الأشراف، وكان يقول كلما جاءه عدد منها: يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة، قبل أن يجرى العدد الذى بعد هذا:

٢- كما روى السيد رشيد أيضا - «سمعت أستاذنا الشيخ (حسن الخجر) - عالم سورىة الوحيد فى الجمع بين العلوم الإسلامية، ومعرفة حالة العصر السياسة والمدنية - يقول:

(ما كان أحد يشك فى أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلابا عظيما فى العالم الإسلامى لو طال عليها الزمن).

٣- ويقول لنا السيد رشيد رضا:

(والذى علمته عن نفسى بالخبرة، ومن غيرى بالخبر، ومن التاريخ، أنه لم

يوجد لكلام عربى فى هذا العصر، ولا فى قرون قبله ما كان لها (الجريدة) من إصابة مواقع الوجدان من القلب، والافتناع من العقل.

٤- ويحدثنا السيد عبدالقادر المغربى عضو مجمع اللغة العربية:

«... فالأفغانى وهبه كانا يريدان أن يكون لهؤلاء الضعفاء المسلمين - دولة قوية مع مراعاة تعاليم الإسلام، هذه الفكرة التى تلتفتها من العروة الوثقى اختمرت فى نفسى، واستولى سلطانها على شعورى وحسى، فأعطيت العروة كل وقتى، دراسة وتفهما».

هذه بعض أقوال المعاصرين للعروة الوثقى - فى تقديرهم لها، وفى أثرها فى نفوسهم، وما تركت فى ذلك أكثر مما ذكرت.

يقول الأستاذ حسن الشیخة:

«وإن تعجب فعجب، أن يثور الإنجليز على جريدة كانت لم تظهر بعد. وكان من أمرهم فى ذلك أن مراسلى صحفهم فى باريس علموا أن جريدة للسيد الأفغانى والشيخ محمد عبده ستظهر فى هذه المدينة، فأخذوا ينقلون هذا الخبر إلى لندن وكأنه من الأخبار الدولية الهامة...! حاثين دولتهم على محاربة هذه النية من الرجلين، ولكن الله قدر للجريدة أن تظهر، وأن تنتشر، فترسل إلى مصر والهند والسودان والعراق وشمال إفريقيا وسورية والملايو، وغيرها، ولكن الإنجليز كانوا يتعقبونها خطوة خطوة - إلى أن حملوا مجلس وزراء مصر على أن يمنع دخولها. وقد جاء فى عددها التاسع (٢٥ رجب سنة ١٣٠١) الخبر الآتى:

«انعقد مجلس الوزراء بالقاهرة، واهتم بالبحث فى شأن (العروة الوثقى)، ثم أصدر قرار منع الجريدة من دخول الاقطار المصرية.

ثم أخذوا يقفلون الابواب الأخرى فى وجهها، فمنعوا دخولها الهند والسودان، وكل بلد لهم نفوذ فيه، فلم يجد الرجلان العظيمان بدا من أن

يقفاها عن الصدور، وبذلك انتهت رسالتها في باريس، ثم افترقا إلى الأبد، ولم يلتقيا.

لغة الجرائد واتجاه التجديد:

على أن هذه المرحلة في تاريخ الصحافة المصرية تشهد مولد اتجاه تجديدى قوى في مواجهة الاتجاه الكلاسى القديم، يخط معالم جديدة للتطور. ويدفع النهضة إلى استلهاج التراث القديم فى عصور الازدهار ويعيد النظر فيه، ويوازن بينه وبين تراث الأمم الأخرى فى سياق المقاومة الوطنية، فحاولت جاهدة أن تتحرر من الأساليب التقليدية الموروثة، وأصبحت المدرسة التجديدية قادرة على استخدام فنون التحرير الصحفى بلغة هى مع ذلك «أصلح لكتابة الأدب أو الكتب منها لكتابة الصحف». وترتبط هذه المدرسة التجديدية فى يثتها العامة، بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى، ونشأة الحزب الوطنى الأول، وروح الثورة التى سبقت الثورة العرابية؛ وكان لهذه البيئة أثرها فى بلوغ المقال الصحفى «رقيا ظاهرا فى الموضوع، ورقيا أشد منه ظهوراً فى الأسلوب». فامتعت دوائر الاهتمام فى موضوع المقال لتشمل إلى جانب الاهتمام الأدبى أو الثقافى جوانب أخرى تتصل بالمجتمع، وبالأخلاق، وبالشورى وبالساسة، وبالفن الداخلى والخارجية. إلخ. كما ارتفع الأسلوب كثيرا عن المستوى الذى انتهت إليه المدرسة التقليدية الأولى، حيث تحللت هذه المدرسة التجديدية من قيود السجع إلى حد بعيد، وأخذت تقترب شيئا فشيئا من لغة الشعب^(١). وذلك بتأثير من الأستاذ محمد عبده وحركته الإصلاحية. الذى استطاع ومعه سعد زغلول وعبدالكريم سلمان «أن يكتبوا فصولا لا تخلو من آثار القديم، فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان، ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب فى أوائل القرن الماضى وفى منتصفه أيضا، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة، وفيها اختيار الحر من اللفظ واجتناب المبتذل، وفيها طموح إلى الجديد لم يكن يألفه الكتاب المصريون من قبل». بحيث كان التقليديون

(١) الدكتور طه حنين: حافظ وشوقى ص ٧٠.

يقع أسلوبهم تحت وطأة التشبيه القديم والمثل الموروث، ولكنهم فى مواجهة التجديدين اتجهوا كلاهما كلاسيا جديدا يرجعون فيه «باللغة إلى ما قبل العصر العباسى، أو إلى عصور الصحة والسلامة والبراءة من الفساد والعجمة، ولكن هؤلاء الكتاب، ومنهم توفيق البكرى، غلبت على فنهم الأدوات الموروثة من عهد بعيد مما حدا بالامتاز العقاد إلى أن يقول: «إن الصنعة أفسدت الطبيعة»^(١) أما السجع فقد بدا يتراجع تحت وطأة الهجوم المستمر لكتاب العصر. ومن الطريف أن تجد كاتباً كالشدياق يهاجم السجع بقوله «السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشى، فينبغى لى ألا أتوكأ عليه لئلا تضيق بى مذاهبه»^(٢). ولكنه يتمسك به فى كثير من مقالاته التى جمعها فى كتابه: «الساق على الساق». ومن الواضح أن الهجوم على السجع كان من جانب كتاب الصحف الذين اضطروا بحكم وسيلتهم إلى أن يتخلصوا منه، خاصة إذا كانت الكتابة تتعلق بالأخبار والأحداث^(٣). وفى مواجهة اتجاه التجديد، شحذ أصحاب المدرسة الكلاسيكية ثقافتهم اللغوية حرصاً على اللغة العربية وحماية لها من الحرية والتساهل والمحافظة على الأصول، والحملة على التجديدين من الكتاب الذين كانوا يضطرون أحياناً إلى استخدام ألفاظ ومصطلحات لم ترد فى متون اللغة. وذلك ما نراه عند إبراهيم اليازجى فى السنة الأولى من مجلته (الضياء) سنة ١٨٩٩، حين ينشر سلسلة مقالات فى لغة الجرائد، ثم فى السنة الثانية منها سلسلة أخرى فى أغلاط المؤلدين. وفى كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريرى فى كتابه «درة الغوآص» فكان يشدد فى نقده حتى ليمنع الصحيح إذا كان أضعف اللغتين. ومن قوله فى لغة الجرائد: «لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت من منقول اللغة فأنزلت فى غير منازلها واستعملت فى غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وزهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك. والعجب أنك كثيراً ما ترى أناساً من متقدمى الكتاب يعتمدون أحياناً

(١) عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم ص ٦١.

(٢) الساق على الساق ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) الدكتور ماهر حسن فهمى: محمد توفيق البكرى - أعلام العرب هى ١٣٦.

التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر أهل الصناعة، حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضى معجماً بحاله. ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة على أيدي أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها، وهو الفساد الذى لا صلاح بعده، رأينا أن نفرّد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولاً وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة^(١). ونحن لا ننكر على الكلاسيين غيرتهم على اللغة ولكننا نأخذ عليهم ما أخذوا الخفاجى على الحريرى من تقيدهم الحرفى أحياناً بظواهر النصوص أو رفضهم القياس والمجاز أو انحرافهم إلى مذهب دون مذهب، من مقتضيات لغة الاتصال بالجماهير. ولذلك يحرص الأستاذ الإمام على معالجة مشكلة الكتابة؛ التى أخذ عليها أن تكون «مغلقة الألفاظ، غامضة المعانى، مختلة التراكيب، لا يقتدر المطالع على حل رموزها، ولا تمكن من فك طلاسماتها إلا بعد أن يجهد نفسه ويمعن الفكر، ويدقق النظر، ومع ذلك لا يخلو الحال من الخطأ فى فهم المقصود مما نواه الكاتب منهم»^(٢) واشترط لصحة الكتابة أن تكون سهلة العبارة واضحة المقصود، وإن كانت بالألفاظ الملحونة، وأن يكون موضوعها واحداً، خالية من التقييد والتطويل مما لا يحتاج إليه الكلام^(٣).

ومن ذلك يبين أن بدايات التجديد فى الصحافة العربية، قد اتشلت لغة الكتابة من وهبتها، وبشت روح الحياة فيها، وإن ظلت الصحافة تكتب بطريقة أدبية عالية، مما جعل «الفاصل بين الصحف الأدبية والصحف الخبرية غير واضح تماماً فى هذا الجيل، لأن معظم المحررين، كانوا يكتبون بلغة أدبية»^(٤)، ولعل صدور الصحف اليومية قد عجل فى وضع هذا الفاصل، ولم يعد هناك متسع للتأق فى العبارة، وكان أسبق الصحف اليومية إلى الظهور «الوقائع

(١) لغة الجرائد. علم الإعلام اللغوى؛ مؤسسة لوغمان ومكتبة أبو الهول - القاهرة.

(٢) الوقائع المصرية: ١٠ ربيع الأول ١٢٩٨هـ.

(٣) نفسه.

(٤) الدكتور محمد فياض: الصحافة الأدبية ص ١٠.

المصرية» وقد تولى الأستاذ الإمام تحريره فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٠ ثم تلاها فى الأهرام فى ٣ يناير ١٨٨١، وهنا نجد أن الأستاذ الإمام قد خطا بالتحريير الصحفى خطوة كبيرة، تجعلنا نتصور خطا فاصلا بين مدرستين أولاهما تقليدية والأخرى تخطو خطوات سريعة نحو التجديد، الأولى تعيش القرن التاسع عشر، والأخرى تستشرف مطلع القرن العشرين، وليس الأمر بالنسبة إلينا كذلك فقط، لأن الأستاذ الإمام يقف موقف الريادة من الجيل الجديد الذى ينهض بالمدرسة التجديدية فى مرحلة الجهاد الوطنى من مراحل الصحافة المصرية، والذى يرتبط بالبيئة الحديثة، التى فى تمثلها التيارين القديم والحديث جميعا، والتى تمثل كذلك اتجاهات الإمام الوطنية والتطورية والمصرية «المتأصلة الجذور فى تقاليد بلاده»^(١) منذ بشر بهذا العنصر القومى فى مقاله الأول بجريدة الأهرام عن الماضى العظيم لمصر^(٢)، والذى تغذيه روابط التاريخ والمصالح المشتركة بين الذين يعيشون فى البلد الواحد رغم اختلاف الأديان، واعتقاده أن الوحدة ضرورية فى الحياة السياسية؛ وأن أقوى نوع من أنواع الوحدة القومية إنما هو وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد، أى ذلك المكان الذى لا يعيشون فيه فحسب، بل يجدون فيه أيضا مجالا لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة وموضوعا لمحبتهم وعزتهم^(٣).

محمد عبده والتحرير الصحفى:

وعلى ذلك فإن الدور الذى قام به الأستاذ الإمام بالنسبة للتحرير الصحفى يرتبط بنواح ثلاث: الإصلاح الدينى، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسى. أما الأمر الأول فهو أمر عظيم كما يصفه فى حياته: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى. . وأما الأمر الثانى فهو إصلاح أسلوب اللغة العربية فى التحرير: «وهناك أمر كنت ممن دعائه والناس جميعا فى بعد عن تعقله: ذلك

(١) ألبرت حوراني: مرجع سبق ص ١٩٢.

(٢) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ج ٢ ص ١٥ - ج ١ ص ٨.

هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب. وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.

«جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيد له أى عبيد».

هذه بعض جوانب الإصلاح التى نهض الأستاذ الإمام للعمل عليها وتحقيقها، من خلال مذهبه الاجتماعى والإصلاحى. إذ النضج السياسى لديه لا يتم إلا بالتعليم وخاصة التعليم الاجتماعى والصحافة التزينة وتربية القادة فى مجلس الشورى وأمثاله^(١). فمذهبه فى الصحافة الوطنية يعتمد على العقل لا العاطفة ومثله فى هذا لا ينجح «فى الدعاية السياسة التى تعتمد على الشعور وإلهاب العواطف»^(٢).

(٢٠١) محمد رشيد رضا: مرجع سابق جـ ١ ص ١١ - ١٢ الدكتور إبراهيم إمام : دواست فى الفن الصحفى ص ١٩٨ .

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال

١٩١٤.١٨٨٩

الفصل الرابع

الصحافة المصرية ومقاومة الاحتلال (١٨٨٩.١٩١٤)

يرى الدارس لحركة المقاومة فى الصحافة المصرية أن العوامل التى طورت التحرير الصحفى عما كان عليه فى صحافة النشأة، وخلصته من المماحكات اللفظية قد اطررد نموه، وتضافرت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التى رأيناها عند التقليديين فى صحافة النشأة الأولى. وخلاصة ما يقال فيها إن حركة التجديد فى الصحافة قد وليت حركة اليقظة فى أوجها عند الأستاذ الإمام، وسارت فى تواز مع مسار الحركة الوطنية. وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة، وهو المقال السياسى. وقد برع الكتاب فى المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقالة وتعددت ألوانها فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية^(١). وليس من شك فى أن الصحافة صاحبة الحظ الوفور فى نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث، ونعنى بالصحافة، ما يذهب إليه طه حسين، من أنها الصحافة كلها يومية وأسبوعية وشهرية. وحسبنا أن نلاحظ مع الدكتور طه حسين أن الصحافة المصرية إن كانت قد بلغت من القوة فى هذه الأيام حظاً موفوراً، فهى بعد لم تستطع أن تتجاوز السياسة، وهى إن أثرت فى الأدب فمن طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة^(٢)، فأما الصحافة الأدبية والعلمية الخالصة، فإنها كما يذهب طه حسين، صحافة ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين «وتجد فى تضييفها إياهم حياة وقوة».

الصحافة الوطنية وسياسة الاحتلال:

ساعد على فعالية المقاومة فى الصحف الوطنية تخطيط سياسة الاحتلال

(١) عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب محمد حسين هيكل ص ١٢.

(٢) الدكتور طه حسين: حافظ وشوقي ٦٨، ٦٩. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفى فى أدب طه

حسين، ص ٦٥.

الذى وضعه اللورد «دوفرين» وطبقه كرومر والذى تضمن: ترك شيء من الحرية النسبية للصحف تنفيساً عما قد يعنّ لحريتها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال - مع إغفال قانون المطبوعات. ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاماً ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف فى شمال إفريقيا أو غرب آسيا^(١).

صحيفة المقطم:

وتحقيقاً لهذه السياسة ذهب كرومر إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمناً وتدافع عن أعماله وترد على معارضيهِ؛ وفى مقدوره أن يؤيدها مادياً وأدبياً، فأوعز إلى أصحاب «المقطم» أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية، تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت الأهرام تعبر عن المصالح الفرنسية. فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة «المقطم»^(٢). كما تقدم.

ومضت صحيفة «المقطم» منذ صدوها تؤيد الاحتلال البريطانى وتشيد بسياسته وتدافع عن صنائعه من المصريين، وتنتهز كل مناسبة للنيل من الباب العالى. وفى ذلك تقول جريدة «الشعب» وهى تؤرخ للمقطم «إنه الإنجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه، وهو يترجم ويطلع تقارير المعتمد»^(٣). وأعلن المستر «بلنت» فى أوربا «أن وزارتي الحرية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغاً من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فيها». ولعل فى ذلك ما يبين موقف هذه الصحيفة من الحركة الوطنية حين عادت إلى الانتعاش بعد سنوات من الاحتلال، وهو موقف يتضح من هجومها على الوطنيين؛ وعلى الخديو عباس الثانى الذى أيد الوطنيين فى بداية حكمه^(٤).

(١) Young: Egypt PP. 150 - 151.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام. دراسات فى الفن الصحفى ص ٢٢.

(٣) الشعب: فى ٨ مايو ١٩١٠ - الدكتور إبراهيم عبده. تطور الصحافة المصرية ص ١٩٤.

(٤) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات فى الفن الصحفى ص ٢٢.

وتتسم هذه المرحلة (١٨٨٩ - ١٩١٤) بـ «الصراع» فى كل نواحي الحياة المصرية، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة، على اعتبار بديهي وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها.

فالاحتلال البريطاني يجثم على قلب مصر: ويصدر صحيفة «المقطم» كما تقدم.

وكانت هذه الصحيفة لسانا إنجليزيا صرفا يقف فى وجه كل دعوة وطنية، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ «الخنونة» وعلى هذا المقياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية فى هذه المرحلة، وطوال المدة التى صدرت فيها. فقد بدأت حياتها بمهاجمة العربيين، وقد مزق موقفها من حادث دنشواى القناع الشفاف عن وجهها، فهى ترى أن فى هذا الحادث التاريخي «عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة وتأبأها نفس كل مصرى وهى ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم»^(١)، ولم تأل المقطم جهدا فى الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والدفاع عن مصالحها فى مصر.

والواقع أن الصلة التى تربط المقطم بسلطات الاحتلال، لم تكن خافية على أحد، ولذلك كانت الجهات الحكومية تؤثرها على غيرها من الصحف، وبلغ الأمر بهذه الصحيفة أنها كانت تنشر أحيانا بعض الأحكام فى القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام.

والصحف التى عاصرت المقطم لم تتجاهل هذه الصلة بين المقطم وسلطات الاحتلال.

جريدة الوطن:

وشارك المقطم فى الدفاع عن الاحتلال جريدة «الوطن» التى استقبلت

(١) المقطم: عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦.

الاحتلال بحماس شديد^(١)، وحملت على قيادة الثورة العربية في شماعة يشوبها شيء غير قليل من التعصب الديني^(٢).

وقد وصفتها جريدة «الشعب» الوطنية كذلك، بأنها «سياسية احتلالية أكثر من المقطم، حتى أن محررها كان يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ورفع الراية عليها - ولا يخلو عدد من أعدادها من الطعن في الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم، وهو أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والأقباط^(٣)».

وكما رحبت بالاحتلال البريطاني وهزيمة العربيين، هللت للحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤، وهى تحمد الله «لأننا خلصنا من تهوسات الفتية الذين كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «الحزب الوطنى» والوطن برىء منهم، أولئك الذين كانوا يدعون فى الظاهر بأنهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة. وفى الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمة باردة. وإذا كان المصريون قد جتوا كل هذه الثمرات الطيبة والإنجليز محتلون احتلالاً مهدداً بالانقضاء فكم يتظرون من آيات السعادة والإنجليز باقون هنا إلى الأبد^(٣)».

صحف التيار الوطنى:

وفى مقاومة تيار الصحف المائلة للاحتلال الأجنبى ممثلاً فى (المقطم) اتجه الوطنيون، إلى إصدار الصحف المقاومة؛ وقد صادف هذا الاتجاه ترحيباً من الخديو عباس حلمى الذى اتجه إلى كسب تأييد الرأى العام، والوقوف فى وجه المعتمد البريطانى، والرد على مقتريات الصحف الأجنبية.

وصدرت فى هذه الفترة صحف كثيرة منها:

(١) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

(٢) راجع: د. أحمد حسين الصاوى: معالم تاريخ الصحافة المصرية - محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣.

(٣) الشعب: عدد ٨ مايو ١٩١٢.

- * صحيفة المؤيد: للسيد على يوسف سنة ١٨٨٩.
- * صحيفة الأستاذ: للسيد عبدالله النديم سنة ١٨٩٢.
- * صحيفة المنار: للسيد رشيد رضا سنة ١٨٩٨.
- * صحيفة اللواء: لمصطفى كامل سنة ١٩٠٠.
- * صحيفة (الجريدة): لمحررها أحمد لطفى السيد سنة ١٩٠٧.
- * صحيفة العلم: وهى لسان الحزب الوطنى سنة ١٩١٠.
- * صحيفة الشعب: وهى لسان الحزب الوطنى كذلك سنة ١٩١٣.

صحيفة المؤيد:

وصاحب هذه الصحيفة كما تقدم هو السيد على يوسف، كان شابا أزهري النشأة، ثم بدا له أن يتقل من الأهرر إلى الحياة العامة. وإذ ذاك اختار لنفسه مهنة الصحافة.

وما لبث الوطنيون إثر صدور المقطم أن أحسوا بأن ثمة فراغا فى الحقل الصحفى يجب أن يُملأ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفى للبلاد وقد عبر بوضوح عن مسطامع الاحتلال البريطانى، ولذلك اتفقوا على إصدار صحيفة تكون لسانا لهم، ومن ثم ظهرت صحيفة «المؤيد» اليومية فى نهاية عام ١٨٨٩.

ويمكن القول إن طرفى الصراع فى هذه الفترة هما الاحتلال البريطانى. بصحفه من جهة، ومن جهة أخرى: الكفاح الوطنى للشعب المصرى، الذى ما لبث أن تمخض عن روافد ثلاثة، تشكل أطراف الحركة الوطنية التى نهضت فى مواجهة الاحتلال البريطانى والنفوذ الأجنبى.

وكانت صحيفة «المؤيد» ممثلة للرافد الأول من هذه الروافد الوطنية الثلاثة، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحلّت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره.

على يوسف وجريدة المؤيد:

يقول أستاذنا د. عبد اللطيف حمزة: (١).

فى الثامن من شهر ربيع الأول عام ١٣٠٧ للهجرة، الموافق لأول ديسمبر عام ١٨٨٩ للميلاد أصدر الشيخ على يوسف جريدته، «المؤيد». من أولى الجرائد اليومية فى الديار المصرية. وهى وإن سبقها إلى الظهور - فيما نعلم - جريدتان يوميتان، هما جريدة (الأهرام) التى صدرت عام ١٨٧٥ ودامت إلى عهد الثورة العرابية، و(جريدة الطائف) لصاحبها السيد عبد الله النديم، لسان حال الثورة، فمن المحقق أن المؤيد هو أديم الجرائد اليومية فى مصر فى القرن الماضى، وأطولها عمراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أثراً، وأرفعها منزلة.

والحق أن صدور جريدة يومية لها هذا الخطر يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ مصر الحديثة يستحق فى الواقع كل التفات واهتمام، وخاصة إذا كان قد أقدم على مثل هذا العمل الخطير شاب أزهرى فقير كعلى يوسف، كان لا يملك من الوسائل المادية أو المعنوية ما يؤهله لتحمل هذه التبعة التى تثقل كواهل العصابة أولى القوة. وقد مر بنا بعض الصعاب التى اعترضته فى طريقه، ولكنه تغلب عليها بواحدة فقط من صفاته؛ هى قوة العزيمة.

ونحن حين نستحضر فى أذهاننا صورة رجل نشيط كان يوماً ما مديراً لسياسة جريدة كبيرة كجريدة المؤيد، وحين نستحضر فى أذهاننا طوائف الرجال العظماء الذين كانوا يختلفون إلى إدارة هذه الجريدة يوماً بعد آخر، وحين نستحضر فى أذهاننا كذلك صورة لشتى الأحاديث القيمة التى كانت تدور فى إدارة الجريدة، وفى حضرة مديروها - نقول: حين نستحضر فى أذهاننا كل ذلك نعرف أى رجل ذلك الذى كان يلتقى فى مكتبه بكل هذه العقول على اختلافها، وتنصب فى جريدته كل هذه الأفكار على تباينها. ثم جاءت جريدته صدى لجميع هذه الأفكار والآراء، وكان على مدير سياستها إذ ذاك عمل هام؛ هو إحداث

(١) أدت المقالة الصحفية ج٤ ص ٧٩ - ٩٠.

الإنسجام التام بين جميع هذه المواد، ثم تقديمها إلى جمهور القراء شراباً سائغاً، وطعاماً شهياً، بل معرضاً جميلاً لآثار العقل المصرى تارة، والعقل الشرقى تارة، والعقل الاوربى تارة، والعقل الأمريكى فى بعض الأحيان.

ولقد عبر الخديو عباس فى مذكراته عن ذلك فقال:

«كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة. وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع، وبلاغته التى لا تغيب، وعاطفته التى كان يطامن من غلوائها - لحسن الحظ - فلسفة إنسانية فائقة قد غدا أستاذاً بفضل اتصاله اليومي بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن. وكان يتحدث إلى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم، لأنها تمس مستقبل البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه»^(١).

وفى الحديث عن الظروف التى نشأ فيها «المؤيد» يجمل بنا أن نلفت النظر أولاً إلى أن الاحتلال البريطانى فى مصر استطاع بنفوذه وجبروته أن ينشئ له جريدة مصرية عربية تتحدث بلسانه، وتعبّر عن آرائه واتجاهاته؛ وهى جريدة المقطم التى تم إنشاؤها عام ١٨٨٨. إذ ذاك عزّ على الوطنيين فى مصر أن يكون للاحتلال البريطانى فيها جريدة، ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة، وانتظر الناس يومئذ فى شوق وتلهف أن تصدر جريدة وطنية تناهض جريدة المقطم وتقف لها بالمرصاد. وحين أبدى الشيخ على يوسف رغبته فى إصدار جريدة «المؤيد» وجد معونة صادقة له من جانب الوطنيين جميعاً. وفهم الشيخ على يوسف منذ أول الأمر ما على «المؤيد» من واجب نحو هذا الوطن المحتل، وأدرك هذا المعنى إدراكاً حسناً وقام على تنفيذه كذلك بضمير يقظ.

وهكذا ظهرت جريدة «المؤيد» فى الوقت الصحيح، واختار لها القدر الرجل الصحيح، واتخذت لنفسها إذ ذاك المنهج الصحيح. وهذه كلها خطوات وفق

(١) راجع جريدة المصرى بتاريخ الأحد ١٣ مايو سنة ١٩٥١.

د. عبد اللطيف حنزة: المرجع نفسه ص ٢٥.

فيها صاحب «المؤيد» توفيقاً عاد بالخير والبركة عليه، كما عاد بالخير والبركة على أمته.

وافتح الشيخ على يوسف أول عدد من أعداد جريدة المؤيد بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أفتتح المقال بحمد من نسأله التأييد في القول والعمل، وأستهل ببراعة الشكر لمن في قوته أن يعصمنا في كل الأحوال من الخطأ والزلل. فله الحمد سبحانه خط قلمه في اللوح ما الكل عليه الآن، وما يكون وما كان، ونثنى بيمينون الصلوات على خير خلقه المبعوث إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، مؤيداً بالحق المبين، ذي القوة المتين، مدبر هذا العالم، ومبدع نظام الأمم في توجيه إرادة العمل إلى إظهار جريدة سياسية يومية تلزم منهج الحق أمام الخلق، وتنادى على منبر الأمة بصوت الذمة، تتاجى القراء بلسان عربى ميين خدمة لأبناء الوطن وقياماً بواجبات بلاد نحن صور هيولاهها، وكنه حقيقة معناها.

أقول لك الأوطان وهى عبارة يفسرها ما قد حوته من الناس. وما لنا ألا نقوم بشعائر تطالبنا بها الاحساسات الطبيعية، والحاجات الوطنية، ودواعى الحياة المدنية والأدبية، وكمال التحقق بحقيقة وحدة الجامعة الجنسية. فنسألك اللهم أن ترشدنا إلى الخير ما أردنا وأحسن ما نريد؛ وأن تؤيدنا بعنايتك الصمدانية. فانك الفعال لما نريد؛ وأن توفقنا في تأدية حقوق الخدم، لتأمين رلة القدم وذلة السند، ويامن إليك إنابة الضعفاء فى السراء والضراء أنت حسبنا ونعم الوكيل.

مقاصد المؤيد

علمنا الدهر بمطالعة الأخبار، ووعظنا بغرائب الآثار، ودرنا بالإنداز والاعتبار، وجلا عن قلوبنا ظلمات الجهل، فأبان لنا أن أعمال السلف مدرسة

الخلف، نتلقى فيها أن خدمة الأوطان من أوجب الواجبات، وألزم الفرائض .
من أضعافها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدى والشقاء الدائم .

فما قصدنا من نشر المؤيد إلا تأدية ذلك الفرض عن طهارة طوية، وإخلاص نية . وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ولكل عامل وجهة يقصدها، عليها يگون الجزاء . وليس فى عمل العاملين، وجد المجدين أبرّ، ولا أفضل من نصيحة مستصح، وإرشاد مسترشد . وما دام الكل فى حاجة إلى التعاون والمشاركة فلا غنى لهم عن تبادل الأفكار، ومعرفة الأخبار، مما يدعو إليه صلاح شأنهم . وقوام معيشتهم .

والناس رجلان: حاكم ومحكوم، وبينهما مطالب متبادلة، وحقوق متكافئة . إن سكنت عنها صريح المقال أبان عنها لسان الحال . ووظيفة الجرائد الصادقة فى البلاد شرح مطالب الفريقين، وترجمة أفكار الهياتين .

والمؤيد جريدة وطنية يقصد أن تكون على هذا المبدأ سفير الخير، ويريد المطالب . وكما أنه سيشرح إحساسات الهيئة المحكومة مجتهداً فى إظهار ما بزواياها من خفايا الحاجات بين يدى الهيئة الحاكمة، وإن كانت هى أوسع علماً، وأصدق خبراً وأطول باعاً، وأدرى بطلائع الأوقات، وأعرف بمواقع الحاجات . فكذلك يبين للأمة ما يحسن فيه الطلب، وينال به الأرب، ويسمع به النداء ويقبل عنده الدعاء، ويكون به استجلاب المنافع، وفيه رفع المضار، غير ناكث عهداً، ولا خافر ذمة . وكيف ونحن بعض من نطالب بحاجاتهم، ونعمل للحصول على مرضاتهم . ومهما جدّ سوانا فى خدمتنا واجتهد، أو هجرت عينه الغمض فلا تقوم النافلة مقام الفرض، وليس من المروءة ألا نشارك من جاد علينا بخدمة الوطن، وندع نواظرننا لفتور الوسن .

فلا يسعنا إلا أن نقوم بهذا الواجب معترفين لمن سبقنا بما له من فضل سبق، وأحقية الشكر على ما أداه من الخدمة الجزيلة فى هذه البلاد .

فإليكم يا بنى مصر جريدة نشأت فى مهد الإخلاص حميدة المبدأ والغاية .

تناجيكيم ولا تُسرّ النجوى لسواكم . وقد أخذت على عهدتها بث الأفكار المفيدة، والأخبار الصادقة، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية، من الإعتبار والتحذير، أو الترويج والتبشير، لأن الميل إلى اقتطاف الأخبار، والرغبة فى استطلاع ما يكون من الأفكار من ودائع الفطرة البشرية، غير تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية . بل من واجباتها البحث فى حقيقة الأسعار، ومبادلة التجار، والأخذ والغطاء، وحركات الأسواق، وهبوطها وصعودها، والنظر فى أسباب الارتفاع والانحطاط . ومن واجباتها نشر كل ما يهم الوطن معرفته من الحوادث معتمدين فى ذلك على البرهان القوى، والسند الثبت، والعقل والنقل، وحكم الظروف واختلاف المقال، ورعاية المصلحة الوطنية، والخدمة الحقيقية، بعد التروى الصادق، والبحث المدقّق، وإرسال النظر خلف كل سانحة . ونسأل الله العالى الأعلى أن يكشف عن بصائرنا حجاب الإلباس فى الأشياء، حتى نرى الحقائق كما هى، كيلا نضل ونشقى . والسلام على من اتبع الهدى .

(إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

ومضى الشيخ يكتب فى جريدته ويفسح المجال معه لكبار المصريين والشرقيين فى وقت معاً، وما لبث المؤيد أن أصبحت فى وقت قصير سجلاً لتاريخ مصر السياسى، وتاريخها الإدارى، وتاريخها العلمى، وتاريخها الاقتصادى .

ولكن عز على أعدائها يومئذ أن يروها تنمو وتزدهر، وتبتر السبيل لكل من يريد العمل فى سبيل هذا الوطن، فوضعوا فى طريقها العقبات؛ وحاكوا لها المؤامرات أملاً فى القضاء عليها قبل أن تستأثر بحب الأمة، وتصبح جزءاً من كيائها، وعنصراً من عناصر وجودها، وعاملاً فى نهوضها من كبوة الاحتلال البريطانى .

ومن الصعاب التى واجهت الشيخ على يوسف فى مستهل حياته الصحفية،

وهى الصعوبة التى نجمت عن اختلافه مع شريكه أحمد ماضى ونريد أن نمضى معه فى ذكر الصعوبات التى تغلبت عليها إرادة الشيخ وهزمتها، وأفسحت الطريق لجريدته فلبثت تعمل فى الميدان الوطنى قرابة ربع قرن.

فالثانية: من تلك الصعاب، أنه اتصل بمسامع الخديو توفيق بعد صدور الجريدة أن «المؤيد» لسان حزب وطنى يعمل سراً على عزله عن العرش، كما عزل إسماعيل من قبل، فأوجس الأمير خيفة من هذه الصحيفة، وفكر فى قتلها وهى فى مهدها. ولكن المنية عاجلته، فمات فى العام الثالث فقط من حياة هذه الصحيفة.

والثالثة: من تلك الصعاب التى واجهت صاحب «المؤيد» أن الحكومة المصرية أصدرت أمراً منعت فيه جميع الدواوين الحكومية أن تمد المؤيد بمعلومات رسمية مهما كان نوعها. وكانت الحكومة المصرية مدفوعة إلى ذلك بوحى من الوكالة البريطانية التى نظرت إلى جريدة المؤيد - بعد اجتيازه مرحلة الطفولة - على أنها جريدة وطنية مناهضة للسياسة البريطانية. فأرادت الوكالة يومئذ أن تفقد المؤيد قيمتها كصحيفة إخبارية، ليكون ذلك سبباً فى زوالها إلى الأبد.

والرابعة: من هذه المصاعب التى نشير إليها نظر الأجانب فى مصر والتزلاء والقنائل بها إلى هذه الجريدة على أنها نذير سوء، وعلى أنها كارثة حلت بالاحتلال الأجنبى فى مصر. وإذ ذاك لم يجد الأجانب ما يدخلون به على هذه الجريدة غير باب واحد؛ وهو باب التعصب الدينى الذى رموها به رماً بغير تبصر أو تعقل. وانبرت جريدة المؤيد تدافع عن نفسها، وعن المصريين معها ضد هذه التهم الخطيرة، حتى أصبحت بعد قليل من الزمن لسان الشعب المصرى.

والخامسة: من الصعاب: «قلم المطبوعات». وكان سيفاً مصلتنا على رقاب الصحف عامة، وصحيفة المؤيد خاصة. وكان يرأس هذا القلم إذا ذاك بعض

الأجانب. فكان هذا الأجنبي يقعد للمؤيد كل مرصد، ويقسو عليها كل قسوة، ويناقشها الحساب لأنفه الأسباب.

وكان صاحب المؤيد قد عارض معارضة قوية فى إصدار قانون المطبوعات الجديد.

والسادسة: من تلك المصاعب خوف الباب العالى شر هذه الجريدة. وقد كان السلطان - يخاف كل شىء، بل يخاف على حد تعبير المتنبي غير شىء. - ومنذ أن علم بأمر هذه الجريدة الوطنية الجديدة فكر فى إعادة التجربة التى جربت أيام سعيد، حين بعث السلطان يومئذ إلى القاهرة برجل يقال له (اسكندر افندى شهلوب) ليقوم فيها بنشر جريدة (السلطنة). وقد بعث السلطان فى هذه المرة (بحسن باشا حسنى) من الآستانة إلى القاهرة ليتولى فيها إصدار جريدة (النيل) لا لشىء إلا لمحاربة المؤيد وصاحبه فى ذلك الحين. ولكن مصير جريدة النيل لم يكن خيراً من مصير جريدة السلطنة. فقد سقطت الجريدة الأخيرة كما سقطت سابقتها فى مجال الصحافة. وهكذا حبط عمل السلطان، وبقيت «المؤيد» وحدها تملأ الميدان؛ والشعب المصرى من ورائها يؤيدها بكل قوته.

والسابعة: من هذه الصعاب: قضية التلغراف. وغيرها من القضايا التى شغلت بال رأى العام، وهى القضايا التى كان يقف فيها الشعب المصرى فى جانب، وتقف السلطات الانجليزية نفسها فى جانب آخر، وكان الظفر فيها غالباً للشعب المصرى على الغاصب الأجنبى. وكانت «المؤيد» مسرحاً لقصة هذا الجهاد الطويل الذى كان على المصريين أن يبدلوه فى سبيل التخلص من عار الاحتلال البريطانى.

يقول د. عبداللطيف حمزة:

«الحق - لقد كانت كل واحدة من هذه الصعاب خليقة بأن ترد الشيخ عن عزمته، أو تهى من قوته، أو تعود بالأذى الحقيقى بل التعطيل الأبدى لجريدته. ولكن شيئاً من ذلك لم يكن. وبقيت «المؤيد» - كما قلنا - مؤيدة من

الله ومن الشعب المصرى الذى أثرها بحبه، وحاطها برعايته. بل بقيت المؤيد معرضاً لأقلام الكثيرين من صفوة المصريين، ومدرسة عالية يتعلمون فيها دروساً فى السخاسة والكتابة. ومن هذه الصفوة - على سبيل المثال - قاسم أمين، وسعد زغلول، وعبد السلام ذهنى، وتوفيق البكرى، وأحمد تيمور، وإبراهيم الهلباوى، والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى، وذلك الشاب الذى كان بعد طالباً فى مدرسة الحقوق؛ وهو مصطفى كامل وغيرهم. كما كان يكتب فيها من غير المصريين الأستاذ كرد على، والمستشرق ا. ميجو والشيخ عبد القادر المغربى والاخير من أصدقاء الشيخ محمد عبده وتلاميذه منذ كان الإمام فى بلاد الشام مدة من الزمان.

ولا ننسى كذلك أنه كان من محررى المؤيد كاتب اشتهر عن طريق هذه الجريدة شهرة كبيرة؛ وهو الشيخ عبد الحميد الزهراوى وكثيرون غيره من كتاب الشام والمغرب وسائر الأقطار الشرقية الإسلامية.

وأخذت (المؤيد) تنمو وتزداد، حتى أصابت من ذلك حظاً لم يحلم به صاحبها. فقد بلغ مجموع النسخ التى طبعت من المؤيد فى السنة الأولى ثمنمائة، وفى الثانية مائتين وألفاً. وفى الثالثة ألفين. وبقيت على ذلك فى السنتين الرابعة والخامسة. ثم فى السادسة بلغت ألفين وثماتمائة. وفى السنة السابعة أربعة آلاف. واستمرت على ذلك حتى شهر أغسطس سنة ١٨٩٦م. ثم ما كادت تظهر القضية التى سنشير إليها - وهى قضية التلغرافات - حتى كان متوسط ما يطبع من المؤيد يومياً ستة آلاف نسخة. أما ما كان يطبع فى أيام المرافعات فكان يتراوح بين عشرة آلاف نسخة وإثنى عشر ألف نسخة، وهو ما لم تصل إليه جريدة ما فى مصر والبلدان العربية إلى ذلك الوقت^(١).

أخذت «المؤيد» على عاتقها منذ بداية الأمر أن تعالج على صفحاتها وأقلام أولئك الكتاب موضوعات شتى:

(١) راجع فى ذلك: إلياس زاخورة فى كتابه (مرآة العصر) السابق الذكر.

د. عبد اللطيف حمزة: السابق، ٢٥.

منها: الموضوعات الوطنية، كموضوع الأمة والحكومة، وموضوع السخرة، وموضوع الاحتلال العام، وموضوع الأمانى القومية وغير ذلك. ومنها الموضوعات الأدبية كموضوعات الترف، والعدل، وقيمة الوقت، والتمدن، وأسباب التقدم، والاصلاح الخلقي، ومنها الموضوعات الادارية كهيئة الحكومة المصرية، وكالتقارير والقوانين والمشروعات والتعديلات التى تصدرها الحكومة ومنها: الموضوعات القضائية وما يتصل بالحاكم المصرية على اختلافها والأحكام التى تصدر عنها، والاقتراحات التى تريد أن تدخلها على القانون لتعديله، مع الاشارة إلى بعض القضايا الشهيرة الخ.

ومنها الموضوعات العلمية والتعليمية كموضوع التربية والتعليم فى مصر، وكالتقارير التى يكتبها رجال التعليم من مثل عبد الله (باشا) فكرى وغيره. مع العناية بأخبار المؤتمرات الهامة، كمؤتمر برلين الطبى ونحو ذلك.

ولقد كانت المؤيد تعنى عناية كبيرة بأخبار الدولة العلية وبإنجلترا، فكتبت فى موضوع الجلاء وكانت تهتم اهتماماً خاصاً بتقارير المعتمد البريطانى.

وكانت المؤيد تقصر بعض جهودها على السودان، فكتبت فى العلاقة بينه وبين مصر، وأخذت تنادى باسترجاع هذا القطر، وتكتب عن رحلات ستانلى فى السودان.

على أن جريدة المؤيد لم تكن تغفل إلى جانب ذلك كله أمر القارة الأفريقية: فكتبت عن الحبشة مع إيطاليا، وعن روسيا وإيطاليا فى الحبشة، وعن المستعمرات الأوروبية فى داخل القارة الأفريقية. وعن زنجبار ومراكش.

أما المقالات السياسية الخالصة فكانت تحتل مكانها الممتاز فى صحيفة المؤيد. إلى جانب السياسة المصرية الانجليزية، وفى مجال السياسة الدولية تكتب (المؤيد) عن (الدول والسلام) وأخرى وعن (منظر أوروبا السياسى) وعن (انكلترا ومستعمراتها) ورابعة وعن (الدول العظيمة فى الشرق) وعن (إمكان

نزع السلاح)، عن (سمارك)، وعن (السياسة الاستعمارية فى أوربا) بوجه عام وهكذا.

وأخيراً لم تخل صحيفة المؤيد من باب هام، هو باب (التراجم) وفيه قدمت الصحيفة للقراء صوراً عن عظماء الرجال فى مصر وبلاد أوروبا. ومن ترجمت لهم هذه الصحيفة فى عامها الأول من رجال مصر: عبد الله (باشا) فكرى، وشفيق (بك) منصور، ومحمد بيرم التونسى^(١).

وعلى هذا النحو سارت (المؤيد) اليومية سبع عشرة سنة كاملة. حتى إذا كان عام ١٩٠٦ وجدنا هذه الصحيفة الوطنية الشهيرة - وقد توطد مركزها فى مصر، وبلغت من الشهرة حداً لم تصبه جريدة وطنية من قبل - تظهر فى ثوب جديد، وتبدأ طوراً جديداً. ويتحدث صاحبها عنها فيقول:

المؤيد فى طوره الجديد،

ظهر المؤيد اليوم لحضرات قرائه فى طور جديد إذ يرويه فى حجم أكبر، وشكل أظهر، ومادة أغزر.

ولما كان الشئ بالشئ يذكر فقد عن لنا أن نرجع بالقارىء إلى ذكرى أطوار المؤيد من يوم نشأ إلى هذا اليوم الذى يخطو فيه للأمام خطوة جديدة.

قبل سبعة عشر عاماً هجرية وبضعة أشهر، وفى أواخر سنة ١٨٨٩ أفرنجية كان صاحب الجريدة يصدر صحيفة أدبية أسبوعية باسم (الآداب). وكان كثيرون من القراء يعجبون بها، ويلتذون من قراءتها. فكانت همته منصرفة يومئذ إلى تحسينها وجعلها أفيد عما هى عليه. ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية:

فقد سنحت لى فرصة بعد ذلك قدمت فيها إلى دولة الوزير الجليل رياض (باشا) وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد المغفور له الخديوى السابق توفيق (باشا) فأشار على بعض المقربين من دولته أن أسترخص منه إصدار

(١) راجع منتخبات المؤيد السنة الأولى سنة ١٨٩٠ للجلد الأول. د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٧٥.

جريدة سياسية يومية. ولكنى ترددت كثيراً فى ذلك لعلنى أن جريدة يومية سياسية. تصدر من مصرى مسلم بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة إذ ذاك على أميال القراء اختياراً أو اضطراراً، جريدة لا تتأثر بدسائس الدسائس ووشايات الواشين من الأوروبيين وغير الأوروبيين - تحتاج إلى رأس مال أكثر من مالى، وإلى حول أكبر من حولى، وإلى معارف جمعة، ووسائل عدة، أنا خلو من كثير منها^(١).

ولكن وجد دافع قوى لى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير أو إشارته. فتقدمت إلى نظارة الداخلية مسترخصاً بهذه الجريدة. وفى اليوم الذى التمت فيه الرخصة نلتها، وظهر العدد الأول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ (أول ديسمبر سنة ١٨٨٩) فى حجم أربع صحف قليلة المواد، كما يرى القراء نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم. وحسبهم فارقا بين ما نشأ عليه وما صار إليه أن يروا العدد الأول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان.

سار المؤيد فى طوره الأول الجديد كالوليد يأخذ كل يوم من الوجود حصته، ومن مكانه بقدر حركته. وبينما هو يحبو حبو الطفل فى مهده إذ عصفت به ريح خبيثة من مكائد مناظريه الذين كانوا يخشون أن تعيش جريدة مصرية لمسلم، فيستحوذ على أميال المصريين وعواطفهم. وقانون التنازع فى هذه الحياة يجعل النصال أشد فى زحزحة الغير عن مكانه من هذا الوجود، سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

جاءت هذه الريح من حيث تعصف الرياح بكل عمل يحتاج إلى التآزر فى أمة لم يفهم فيها تماماً معنى التضامن فى الأعمال من حيث هو، ولم تتم فى نفوس أفرادها ملكة حب الارتفاق كما ينبغي. ودب ديبب الخلف بين مدير المؤيد (وكان المرحوم الشيخ أحمد ماضى) وبين صاحب امتيازته كاتب هذه

(١) المرجع نفسه، ص ٣٥.

السطور، بسبب ما دس أولئك الدساسون. وليس من حق هذا القلم الآن أن يزيد فى التفصيل إكراما لرفات صديق فى عالم آخر غير هذا العالم. ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاج المؤيد عن قرائه وقتئذ من ٣٠ سبتمبر إلى ٢ نوفمبر من سنة ١٨٩١. وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هى يد ذلك الغيور المفضل سعد (بك) زغلول (وكان وقتئذ محامياً) إذ اختاره الشريك المرحوم حكما للفصل فى مواضع النزاع. فانتهى حكمه بترك المؤيد لصاحب امتيازته بعد ما أَرْضَى محكمه بجال من عنده ومن آخرين من فضلاء الشيعة المصرية. ويومئذ خاطبنى سعد (بك) زغلول قائلاً:

لقد صار لك المؤيد بلا منازع، فإن كنت كفراً لعملك فاجعل من همتك وثباتك فيه رأس مالك، وبرهن على ثقة إخوانك بك. وكانت هذه الكلمات أشد تأثيراً على نفسى من كل مشجع ومرغب فى عمل.

ظهر المؤيد بعد ذلك الاحتجاج، وكنت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال. وكانت رئاسة النظار يومئذ فى يد عطو فتلو مصططفى فهمى (باشا). والدسائس ضد المؤيد أقوى منها قبل. وقد هال أعداءه ظهوره ثانياً، فوشوا إلى الحكومة أن هناك جمعية سرية ذات مقاصد خفية أخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد، والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى شرحناه للمؤيد وصاحبه، لولا أن مقرباً من الوكالة الانكليزية، ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات بنفسه، فظهرت له الحقيقة التى شرحناها. وانتهى الأمر بمقابلة حضرة سعد (بك) زغلول لعطوفة رئيس النظار ليذخض بالبراهين القاطعة تلك الدسائس البالغة، وقد كان ذلك، ووثق الرئيس بالحقيقة التى شرحها كل الثقة، وأعجب بفضله وشمائله، وشكره على خالص غيرته.

ومن ذلك اليوم استمرت صلة حضرة البك بعطوفة الباشا إلى أن صارت على أكمل وجوها، كما يعرف القراء.

وجد للمؤيد من ذلك الحين أنصار، كما وجد له حساد وأعداء. وكلما ازداد هؤلاء كثر أولئك. وأنا بين هذه الجواذب والدوافع أعمل جهدى لكى يثبت المؤيد ويعيش، فلا يكون العار على المصرى أن يسجل عليه الغش كلما شرع فى عمل. ثم وجد بعد ذلك اضطهاداً من الحكومة، ظهر بأقبح مظاهره، حتى وصل إلى حد إقفال أبواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه. ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض (باشا) فى يناير سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألغى عمل (قلم المطبوعات) الذى أنشئ لمضايقة المؤيد ليس إلا، يوم كانت وظيفة البارون دى مالورتى مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه فى كل ديوان؛ يحاكم هذا ويطرده ذاك من المستخدمين الذين كانوا يتهمون بإعطائنا الأخبار. فلما تولى الوزارة دولة رياض (باشا) منحه إجازة لم يعد بعدها إلى العمل، وخلص المؤيد من عوامل الاضطهاد الشديدة التى كادت تقضى عليه، واستمر فى طريقه ينمو حتى كانت فى سنة ١٨٩٦ قضية التلغرافات المشهورة التى لم تنته حتى بلغ المؤيد بفضل إقبال الأمة عليه أضعاف ما كان عليه قوة وانتشاراً. ولا يزال بفضل الله عز وجل وبمؤازرة الفضلاء من الكتاب، وإقبال القراء عليه فى المزيد إلى أن بلغ هذا الطور الجديد.

فالقراء يعلمون من مجمل هذا التاريخ أن اليد الأولى فى ظروف إصدار جريدة المؤيد كانت لدولة الوزير الجليل رياض (باشا). وأن اليد الثانية فى خلاصة من الورطة التى سقط فيها سنة ١٨٩١ كانت لحضرة المفضل سعد (بك) زغلول، والذين اشتركوا فى تلك المبرة معه. وأن اليد الثالثة التى تجلّى بها فى مظهرها الفخيم سنة ١٨٩٦ كانت للأمة. وهو لا يزال فى ظلها الظليل.

أما صاحب هذه الجريدة فلا يعتبر نفسه إلا عاملاً بسيطاً لظهور الجريدة كبقية

العمال الذين يشتغلون لصنوعها من محرر وصاف حروف وطابع. وكفاه فخراً أن بقية العمال يتغيرون، وهو عامل مستمر إلى ما شاء الله أن يكون كذلك.

وتبع هذا النمو في الانتشار والترقي على الاستمرار اختلاف الآلات التي يطبع بها المؤيد. فيوم كان عدد مشتركيه لا يتجاوزون ستمائة نسخة، وعدد ما يباع منه لا يتجاوز الستين في القاهرة كانت الآلة التي يطبع بها صغيرة تدار باليد الواحدة، وتطبع بالكبس، ولا يزيد ما يطبع في الساعة على مائة نسخة. وكان هذا شأنه في الستين الأوليين. ثم ازداد عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان في آخر سنته الرابعة ألفاً وأربعمائة نسخة، فاضطررنا إلى شراء آلة من معمل (الوزيه) وهي التي تدار باليدين معاً، وتطبع بكابس اسطوانتي إلى ستمائة نسخة في الساعة الواحدة. وكان هذا من ١٦ يناير سنة ١٨٩٤ حيث ظهر المؤيد في أربع صحائف كما كان، ولكن في كل صحيفة ستة أعمدة.

ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف، وكثرت المواد والاعلانات عليه حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بكابسين اسطوانتين، وتدار بالبخار. فظهر المؤيد في ثمان صحائف من ١٦ يوليو سنة ١٨٩٩.

وقد ذكرنا في ذلك العدد ما يأتي بحروفه:

أصدرنا الجريدة منذ اليوم في ثمان صفحات طبقاً لرغبات جمهور القراء. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا دائماً لخدمة الأمة، ويمدنا بمعونته لنزيد في مواد وصفحات الجريدة كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ونحن اليوم نشكر الله عز وجل على أن تضاعف انتشار الجريدة، وأن وفقنا بطبعها على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة (ماريتوني) الفرنسي المشهور باختراعاته المطبعية. ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر، وجلبت إليها، وثبت عليها منذ اليوم، فقد دعونا

الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع في الطبع . وهذا نص الدعوة التي وزعناها لذلك :

«بمشيئة الله تعالى سبتديء من يوم الثلاثاء ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ في طبع جريدتنا المؤيد على غمط جديد، وفي حيجم أكبر بواسطة آلة الطبع الكهربائية (روتاتيف) التي تطبع بواسطة صناعة جديدة غير الحروف المعتادة، وتنجز في الساعة الواحدة طبع اثني عشر ألف نسخة من الجريدة ذات الثمان صحف، مقطوعة، ملصوقة. مطوية، معدودة. فندعو... لتشرفوا إدارة الجريدة في الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم المذكور لتشهدوا إدارة هذه الآلة البديعة لأول مرة في مصر، ولكم جزيل الشكر، تحريراً في ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤.

على يوسف

منبذ ذلك الوقت اتخذت «المؤيد» شكلاً جديداً، وأخذت تظهر للقراء (جريدة يومية سياسية تجارية) في ثمان صفحات. وكان مقر مطبعتها بشارع محمد على بالقاهرة، وكانت تحتوى دائماً على عشر مواد، وربما زادت أحياناً إلى اثنتي عشرة. وكانت خمس - على الأقل - من هذه المواد تتجدد بتجدد الأفكار التي تهتم صاحب الجريدة، وأما الباقي من هذه المواد فمرتبة في أبواب تعادها الجريدة كل يوم.

خذ لذلك مثلاً - العدد رقم ٥٠٠٤ وقد صدر بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ فانه يتبدى هكذا:

فهرس:

رأى جريدة الغازيت في كفاءة المصريين.

ما هي الحكومة النيابية؟

أطوار المسألة الشرقية.

استئناف النيابة.

التمثيل العربى .

أخبار بريد أوروبا .

مكاتبات .

الحوادث .

التلغرافات .

إعلانات قضائية وتجارية .

فال مواد الخمس الأولى مواد متجددة . وال مواد الخمس الأخيرة يجدها القارىء عادة فى كل عدد، وربما أضيفت إليها مادة بعنوان (الإسكندرية) يؤتى فيها بأخبار هذه المدينة وأحوالها وأحياناً تضاف إليها كذلك مادة أخرى بعنوان (انتقاد) تشمل عرضاً سريعاً لبعض المؤلفات الحديثة والترجمات والمجلات، وتشمل نقداً لها :

والقارىء إذ يلقى نظرة عجلية إلى الأعداد اليومية التى صدرت فى أثناء هذه السنة - ونعنى بها سنة ١٩٠٦ - يستطيع أن يفرق بين موضوعات صحفية يطرقها الكاتب ثم لا يعود إليها مرة ثانية، وأخرى يطرقها الكاتب مراراً ويعالجها معالجة دقيقة قوية مفصلة .

ولا شك أن (المقالة الافتتاحية) فى المؤيد كانت أهم مادة فيه . وكثيراً ما كان يكتبها السيد هلى يوسف بنفسه . وكثيراً ما يتركها لكاتب غيره، وربما كان هذا الكاتب أحد محررى المؤيد . وربما كان موضوع المقال فى هذه الحالة الأخيرة صفحة من تاريخ رجل عظيم كنبليون، أو اقتراحاً هاماً فى إصلاح الأزهر، أو التعليم بالمدارس الحديثة، أو كلمة مترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية لكاتب أجنبى له شهرة فى عالم الفكر أو السياسة، أو تقريراً صحفياً لبعض المصريين ممن زاروا لندن وغيرها من العواصم الأوروبية، واشتغلوا هناك بدرس المسألة

المصرية، وأحبوا أن يتقلوا للقراء صورة من فهم الأوروبيين في بلادهم لهذه المسألة^(١).

منذ فكر السيد على يوسف في إنشاء «المؤيد» وهو يصادف طائفة من المصاعب كانت كل واحدة منها كفيلة بإسقاطه لولا صفات خاصة في الرجل - هي تلك الصفات التي أشاد بها الأستاذ «تشارلز آدمز». ومن تلك الصعوبات صعوبة آتته من «قلم المطبوعات»، وكان على رأسه إذ ذاك موظف إنجليزي، ومن ثم كانت للمؤيد قضايا مشهورة في تاريخ الصحافة من أهمها^(٢):
قضية التلغرافات^(٣)

في شهر مايو سنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحرية أمرا بعدم إعطاء المؤيد أية معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة، فوقع السيد على يوسف في حيرة شديدة: أ يضرب صفحا عن أبناء هذه الحملة مع أن أبناءها تهم الشعب، وجنود الحملة هم أبناء هذا الشعب؟ أم يفعل هذا الرجل كل ما يستطيع حتى يصل إلى ما يريد؟

وفي ٢٦ من شهر يولية سنة ١٨٩٦ - والساعة الثانية بعد الظهر - أخذ موظفو مكتب تلغراف الأريكية يتلقون إشارة برقية من السردار بالسودان إلى ناظر الحرية بالقاهرة انتهوا منها في العاشرة والنصف مساء وفي التلغراف يعتذر السردار عن تأخيرته في الاتصال بالقاهرة بسبب الكوليرا التي تفشت في الجيش، وكان لها إصابات كثيرة.

ثم في يوم ٢٨ من يوليو فوجيء ناظر الحرية بنشر هذا التلغراف برمته في صحيفة المؤيد، فهاج لذلك وهاجت معه السلطات الإنجليزية!

وتوالت على مكتب التلغراف بالأريكية برقيات من هذا النوع ينشرها المؤيد كاملة في اليوم التالي. إذ ذاك فكر اللورد كرومر في حيلة يسوق بها السيد

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٩٥.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ٧٨.

(٣) نفس المرجع ص ٧٩.

على يوسف إلى المحاكمة، وذكر كرومر أن القانون العام يعاقب الموظف الذى يعمل على إفشاء أسرار الحكومة، وعلى هذا ففى وسع كرومر أن يقدم الموظف المسئول فى مكتب التلغراف بالأزبكية إلى المحاكمة بهذه التهمة، وفى وسعه كذلك أن يقدم معه السيد على يوسف بتهمة الاشتراك فى هذه الجريمة.

وسئل السيد على يوسف فى المحكمة عن المصدر الذى اعتمد عليه فى هذه البرقيات؟ فأجاب بأن سر المهنة يحول دون تصريحه بشئ من ذلك؛ لذلك عجزت النيابة عن أن تلفق له تهمة يعاقب عليها.

ثم فى يوم النطق بالحكم احتشدت الجماهير فى ساحة المحكمة حتى لم يكن فيها موضع لقدم واحدة، وتوافد الناس من الأقاليم ليشهدوا بأنفسهم ذلك اليوم، حتى لقد ضاقت بهم فنادق القاهرة.

ثم فى يوم ١٨ من شهر نوفمبر صدر الحكم ببراءة السيد على يوسف فهتفت له الجموع، وشفقت له وهلت. وأقبل بعضهم يهنيء بعضا بهذا الحكم، ثم انشالوا على صاحب المؤيد فحملوه على الأعناق وخرجوا به من ساحة المحكمة، وكان يوماً مشهوداً فى تاريخ الشعب المصرى، انتصر فيه انتصاراً باهراً على اللورد كرومر..

صحيفة اللواء؛ مصطفى كامل؛

لهذه الصحيفة فى الحقيقة من اسمها نصيب كبير، فهى التى حملت لواء الحركة الوطنية، وبقيت تحمل هذا اللواء حتى بعد وفاة صاحبها الزعيم الشاب مصطفى كامل، ولقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة يوم الثلاثاء ١٩٠٠، وقد رسمت الصحيفة لنفسها إذ ذاك برنامجاً يتألف مما يلى:

ويتحدث الزعيم مصطفى كامل عن الأسباب فى تسمية صحيفته باللواء؛ حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب وتجتمع أصدق الآمال.

وتمثل «اللواء» الراشد الثانى من روافد الحركة الوطنية، وقد قامت بدورها

فى نشر الوعى الوطنى ومحاربة الاحتلال والدعوة إلى حياة دستورية سليمة، وقد كتب مصطفى كامل فى افتتاحية العدد الأول محددا اتجاه اللواء، فيبين أن هدفها هو: «خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى. والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة».

هذا التيار الوطنى، اقترنت وطنيته بعاطفة إسلامية، فوقف إلى جانب الخلافة العثمانية، وأيد ارتباط مصر بها روحيا. وقد أكد مصطفى كامل هذا الاتجاه عندما قال: «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكام السياسات وأرشدتها».

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد حسين الصاوى رحمه الله، أن هذا الاتجاه من «اللواء» والحركة السياسية التى تعبر عنها راجع إلى أن مفهوم البوطنة المصرية فى ذلك الوقت كأن يحتاج إلى تأييد الباب العالى فى كفاحه ضد الاستعمار البريطانى وهو ما افستقرت إليه الثورة العرابية.. وعلى أى حال فقد عبرت كتابات مصطفى كامل الوطنية فى اللواء قبيل وفاته عن اتجاهات مصرية خالصة تستهدف تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية معا، ويثل توقيع الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة فى اتجاهات الصحافة.. فقد توطد مركز الانجليز فى البلاد، واشتد ضغطهم على الحريات، ومن ثم ازدادت لهجة «المؤيد» هدوءا ولينا وفترت حماسة غيرها من الصحف الوطنية بينما هللت «المقطم» والتزمت «الأهرام» الصمت.. أما اللواء فسرعان ما أفاقت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا عن نفسها وأعلن فيها مصطفى كامل أن الدول الأوربية كلها سواء؛ وأن المصريين يجب أن يعتمدوا على أنفسهم فى الكفاح الوطنى.. وتأكد هذا الاتجاه من «اللواء» بتطور العلاقة بينها وبين الخديوى بعد أن تخاذل أمام الضغط البريطانى وبذلك ازدادت اللواء قوة وشعبية وأصبحت أولى الصحف الوطنية المكافحة، غير أن «اللواء» مع تخلصها من فكرة التماس تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العرش ظلت

متمسكة بفكرة الخلافة الإسلامية وارتباط مصر بها، حتى قبيل وفاة مصطفى كامل . . ثم بدا من كتاباته الأخيرة تخليه إلى حد كبير عن هذه الفكرة واتجاه دعوته نحو تخليص البلاد من الاحتلال البريطاني والسيادة العثمانية معا .

ويذهب د. إبراهيم عبده في تاريخه للصحافة المصرية؛ إلى أن إنشاء (اللواء) يعتبر مفترقا للطرق في صحافة مصر الوطنية إذ ذاك؛ فقد حمل علم الجهاد في إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته؛ وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب في حياة مصر دوراً كبيراً (هو الحزب الوطني). وهي الصحيفة الوطنية التي كانت نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث التحرير والإدارة؛ وهي الصحيفة الثانية التي استخدمت الآلة الكهربائية في طبعتها، ومن أولى الصحف التي عنت بمادتها وفسحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها في صفحات ثمان؛ وهي أول الصحف المصرية التي نشرت أخبار مصر وخطب المسؤولين فيها، ووصفت الحفلات الكبيرة بالبرق، ومحررها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث في أوروبا عادة^(١).

وتشير اتجاهات المضمون في صفحات (اللواء) إلى اهتمام بقضايا: التعليم والتعليم الشعبي الذي يجب أن يقوم على أكتاف الشعب، وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذه القضية الوطنية قضية عامة يجتمع عليها الوطنيون جميعاً فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون في جامعة مصرية تنشئها الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا أبى الجلاء^(٢).

الصحافة الوطنية والاتفاق الودي

وبينما تجاهد (اللواء) ومحررها بكل ما تملك من قوة؛ إذ بانجلترا وفرنسا يعلنان عن الاتفاق الودي بينهما في ٨ إبريل عام ١٩٠٤؛ وكان صدمة للمصريين؛ لأن مادته الأولى نصّت على أن إنجلترا «ليس في نيتها تغيير الحالة

(١) د. إبراهيم عبده: تاريخ الصحافة المصرية ص ١٥٨.

(٢) نفسه، ص ١٥٩.

السياسية لمصر وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل إنجلترا في هذه البلاد؛ فبدأت بذلك صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية. حيث فترت نغمة الحماسة في معظم الصحف؛ واستمرت (اللواء) على على حماسيتها؛ ومواصلة جهادها؛ واستكمال عناصر الوطنية وتوحيدها في نفوس المصريين، واتجه مصطفى كامل في اللواء اتجاهاً جديداً يؤكد أن الأمم الأوربية جميعاً، سواء في استعمارها؛ وهذه - كما يقول - حقيقة يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم، وبولندا وإيرلندا أحسن مثيلين لهم في الكفاح والحرص عليه^(١).

وتشن اللواء حملة صحفية كبرى على (اللورد كرومر)؛ عقب محاكمة دنشواي؛ كان من آثارها حملة صحفية في الخارة لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التي يتتبعها المعتمد البريطاني في مصر مما ترتب عليه عزل كرومر في إبريل سنة ١٩٠٧. ويذهب المؤرخون إلى أن عزل كرومر قد فتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية، كب معظمها (اللواء) وصحفه، وهي مدرسة في صحافتها جديدة.

وقد أسس مصطفى كامل شركة مساهمة لإصدار جريدتين بلغتين أوربيتين في مصر بعد حادث دنشواي في نوفمبر سنة ١٩٠٦ ويذهب د. إبراهيم عبله؛ إلى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعاني التي كان يعزّ عرضها على الأجانب في مصر، ثم إنه استطاع أن يحصل على موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن الجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات (بيروتى) عن على أن يكون نشرها في الجريدتين في يوم واحد، وهو عمل صحفى نادر المثال في ذلك الوقت، كما أنه رأى أن يعدّ للصحيفة بيئة صالحة فأوفد أحد محررى (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً في مدارسها وصحفها الكبرى^(٢).

(١) نفسه، ص ١٦٢؛ اللواء في ١٨ إبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤.

(٢) عبد الرحمن الرافعى: مصطفى كامل ص ٤١٨.

الفصل الخامس

الصحف الوطنية ونشأة الأحزاب السياسية

بلغت الصحافة الوطنية ذروة تأثيرها فى رأى العام فى هذه المرحلة المبكرة من مراحل مقاومة الاحتلال؛ وفى العام الأخير من عهد (كرومر) يسجل المؤرخون ظاهرة فريدة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى ظاهرة نشأة الأحزاب السياسية داخل الصحف الوطنية. والمعروف فى «تاريخ الدول» دائماً أن الصحف الوطنية هى التى تنشأ فى أحضان الأحزاب السياسية، ولكن الذى حدث فى مصر هو أن الأحزاب هى التى نشأت فى أحضان الصحف الوطنية^(١). وقد تم تأليف هذه الأحزاب بين أكتوبر ١٩٠٦ وسبتمبر ١٩٠٧ بالترتيب التالى:

أولاً - حزب الأمة، وقد نشأ فى داخل صحيفة (الجريدة) لمحررها أحمد لطفى السيد.

ثانياً - حزب الإصلاح على المبادئ بالدستورية وقد نشأ فى داخل صحيفة (المؤيد) للسيد على يوسف.

ثالثاً: الحزب الوطنى: وقد نشأ فى داخل صحيفة (اللواء) لمصطفى كامل. وتفسير ذلك أن الآراء التى نادت بها كل صحيفة من هذه الصحف الثلاث كانت قد تبلورت فى مبادئ تصلح لأن تكون أساساً لبرنامج الحزب الذى يبلور هذه المبادئ فى سياسة معينة رعتها.

مصطفى كامل والحزب الوطنى:

ويتبع أستاذنا د. حمزة فكرة الحزب الوطنى منذ نشأتها إلى أن أخرجها مصطفى كامل إلى حيز الوجود فيقول^(٢):

(١) د. عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية ص ١٠٩.

(٢) راجع أدب المقالة الصحفية فى مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة جزء ١ ص ١٦ - ١٧.

«إن فكرة الحزب قديمة فى مصر. بل ربما كانت سابقة لحياة مصطفى كامل نفسه بعشرات السنين.

فلقد سمع الناس كلمة (الحزب الوطنى) لأول مرة فى مصر، وذلك فى النصف الثانى من القرن الماضى. وربما كان ذلك بالضبط قبل الثورة العربية بقليل. فى سنة ١٨٧٨ أى فى وزارة رياض باشا. ففى تلك السنة تم تأليف هيئة شعبية باسم الجمعية الوطنية أو (الحزب الوطنى) وكان من أعضاء هذه الهيئة يومئذ شريف باشا، وشاهين باشا، وعمر لطفى باشا، وراغب باشا، وسلطان باشا. وكانت هذه الهيئة فى حقيقة الأمر صدى لظهور المعارضة فى مجلس النواب المصرى.

كتب أديب إسحاق فى جريدة مصر القاهرة التى أنشأها فى باريس سنة ١٨٧٩ مقالا بعنوان (الحزب الوطنى فى مصر) يقول فيه:

«نعم إن الأمة المصرية فريقان، يعرف أحدهما بالوطنى، والآخر بما لا نجد لتعريفه حداً. فانه ليس بالغريب فيوصف بالأجنبى، ولا بالفاتح الدخيل فيعرف بذلك. وإنما هو مصرى وليس بمصرى، ووطنى وليس بوطنى. بل القول فيه ما جاء (بمصر الفتاة) على حين صدورها مفوضاً تحرير جانبها العربى إلى هذا العاجز (يريد نفسه) وهو تعريف الحزب الوطنى بالاستقلايين، والآخر بالتدخليين. فالتدخليون هم الأفراد المتهاككون على تدخل الأجنبى فى أمور بلادهم، يتوسلون بذلك للرياسة والولاية، ويسترضون الدخيل بما يغضب الحق والوطن، ويبيعون ديارهم بما يطمعون فيه من باطل المقام وزائل الحكام. وهم الآن أصحاب الأمر، لهم الملك وللأجنبى الحكم، ولهم القشور وللدخيل إلباب... والاستقلاليون هم الفئة المجتمعة، والجمع الكثير. يرومون حفظ الحقوق الوطنية، وكف يد الأجنبى عن استقلالهم... وبعبارة إجمالية يريدون أن تكون مصر للمصريين. وهم الآن حلفاء الصبر، يُبعد نبهاؤهم، ويعنت وجهائهم، وقيمتهم اللؤماء هدفاً لسهام الانتقام. وقد عنى التدخليون بتشويه محاسن الفرق الوطنية (يريد الحزب الوطنى) بما ينشرون فى صحفهم، وما

يستكتبون فى صحف الأجنبى من الكلام المفترى، متلونين تلون الحرياء. فتارة يسمونهم بحزب الترك القدماء، وطوراً بحزب التعصب الدينى، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح. ومرة يتهمونهم بعداوة الأجنبى عن دينهم على أى مشرب كان. وقد آن أن نضع لهذه الأراجيف حداً، وأن نرد كيد اللؤماء فى نحورهم. فالحزب الوطنى غير متعصب إلا فى وطنيته، والحزب الوطنى غير معادٍ إلا للخائنين».

قد يفهم من هذا الحديث أن كلمة «الحزب الوطنى» إنما كانت تطلق على الأحرار الذين كانوا يهدفون إلى استقلال مصر، ويحاولون الظفر بحريتها. وقد كان هؤلاء الأحرار يجتمعون حيناً بدار سلطان باشا، وحيناً آخر بدار لطيف باشا سليم، وحيناً ثالثاً بدار الأميرة نازلى فاضل، وحيناً رابعاً بدار السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف، وحيناً خامساً بدار راغب بإشاد وهكذا.

والذى لا ريب فيه أن مصطفى كامل كان يختلف فى حياته كما قلنا إلى بعض هذه الدور، وأنه التقط فيما التقط منها فكرة الحزب الوطنى. وبقيت هذه الفكرة تسكن عقله حتى جاءت سنة ١٩٠٠ ففكر فى إخراج فكرته إلى حيز الوجود. وكتب فى ذلك مقالا بجريدة اللواء فى ٢ يولييه سنة ١٩٠٠ عنوانه (حزب وطنى حر فى مصر) وكان يومئذ فى بودابست عاصمة المجر - جاء فيه:

«إن تاريخ هذا الوطنى المجرى هو أكبر مدرسة لرجل مثلى وهب حياته لخدمة وطنه وإعلاء شأنه إلى أن قال:

«هل يسمح لى الزمان بأن أرى فى مصر هذا الحزب الوطنى الحر الشريف المبادئ، المتحد الأعضاء، الناهض بالأمة إلى مرامى النجاح. إني أعرف أن اليائسين سيقولون إن تأسيس حزبٍ محالٍ ولكنى إذا كنت لا أياس من خلاص بلادى فمحال على أن أياس من تحقيق هذا الأمر الجليل».

غير أن فكرة الحزب الوطنى بقيت حلماً من الأحلام لم يتحقق لمصطفى

كامل إلا فى عام ١٩٠٧ . بعد حادثة دنشواى واستعداد الأمة إستعداداً كاملاً لتقبل هذه الفكرة التى توج بها الزعيم الشاب جهاده فى سبيل وطنه . وفى الثانى والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى الزعيم الشاب أطول خطبة سياسية له ، وكان ذلك فى مسرح زيزينيا بالأسكندرية . واجتمع لسماعه عدد من الأهالى لا يقل عن سبعة آلاف وكانت هذه الخطبة بمنزلة إعلان لانشاء الحزب الوطنى الذى عرف يومئذ (بحزب الجلاء) . وقد اجتمع أعضاؤه لأول مرة فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٠٧ . وخطب مصطفى كامل فى هذا الاجتماع خطبة أخرى أعلن فيها مبادئ الحزب الوطنى وتتلخص فيما يلى : -

أولاً: الاستقلال التام لمصر مع سودانها وملحقاتها غير مشوب بأى احتلال أو حماية أو شبه سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال .

ثانياً: إيجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسؤولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا .

ثالثاً: إحترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون .

رابعاً: إنتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها وإرشاد الحكومة إلى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها .

خامساً: العمل لنشر التعليم فى أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ، ونشر المبادئ ، الدينية السليمة الداعية للرقى ، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات فى البلاد وإرسال الارساليات لأوروبا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال .

سادسا: ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى.

سابعا: إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة إلى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ودعوتهم للاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط وتنبههم إلى واجباتهم نحو بلادهم.

ثامنا: مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها.

تاسعا: تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وإزالة سوء التفاهم بينهم إذا وجد.

عاشرا: إنماء علائق المحبة والثقة بين مصر ودول أوروبا، ونفى كل تهمة عن مصر، والعمل لا ييجاد أنصار لها فى كل أنحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية سامية تساعد على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمل ضدها ويراد بها إخفاء الحقيقة^(١). وإلى جانب الحزب الوطنى نشأ حزبان آخران أولهما: حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية عن صحيفة المؤيد، والثانى هو: حزب الأمة: كان أنصار هذا الحزب قد ورثوا عن الحركة الوطنية التى سبقت الاحتلال البريطانى جفاءها للجالس على العرش ونزعتهما الإصلاحية التى افتتن بها عدد لا بأس به من الملاك الزراعيين من ناحية، وبعض المفكرين المجددين من ناحية ثانية. كما كان أعضاء هذا الحزب يهدفون إلى إصلاح المشاكل الاجتماعية فى البلاد. وهو إصلاح كان يؤمن به المحتلون، ويرون أنه ينبغى أن يكون جزءا من سياستهم فى مصر. وتوالت الأيام، وتغيرت معها الظروف والأحوال، فأصبح أعضاء حزب الأمة يميلون إلى انتقاد السلطة المحتلة. واستحال حزب الأمة مع الزمن أيضاً إلى حزبى الوفد والأحرار الدستوريين بعد ثورة ١٩١٩ وزعيم الوفد هو سعد زغلول. وزعيم الأحرار الدستوريين هو عدلى يكن.

(١) خطاب بطل الوطنية المرحوم مصطفى كامل باشا ٧٥٦٧ دار الكتب.

صحيفة (الجريدة) وحزب الأمة:

كان (حزب الأمة) هو أول الأحزاب المصرية في نشأته؛ حيث نشأ في دار صحيفة (الجريدة) عام ١٩٠٧؛ وقد قيل عن سبب إنشاء (الجريدة) أن حادثاً وقع يومئذ وكان له تأثير في نفوس المصريين، وهو حادث (العقبة)، وخلاصته أن الحكومتين التركية والمصرية اختلفتا على (العقبة) كل منهما تراها لنفسها دون الأخرى؛ وتدخلت المجلّتا بينهما، فانتصرت لمصر على تركيا. ولكن عقلاء الأمة المصرية انتبهوا لهذا الوضع ولم تجز عليهم خديعة الاحتلال البريطاني؛ فنصروا الأتراك على الإنجليز في هذه المشكلة، فذهل الاحتلالون لهذا الموقف، وعادا الوطنيون في مصر يفكرون في الأمر، فكان من رأى لطفي السيد أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص لتركيا أو إلى إحدى السلطتين الشرعية أو الفعلية في البلاد (يريد بالسلطة الشرعية الخديو عباس وبالسلطة الفعلية لورد كرومر)، ورأى أحمد لطفي السيد أن تكون الجريدة ملكاً لشركة من أعيان البلاد أو أصحاب المصالح الحقيقية فيها وهم الذين ظن اللورد كرومر أنهم راضون عن الاحتلال، متوهمين أن حركة المعارضة لهذا الاحتلال لا يقوم بها إلا من ليس لهم مصالح حقيقية في البلاد، وهم طبقة الأفندية من جانب وياشوات الأتراك من جانب آخر. أما الأهداف التي سعت إليها (الجريدة) فتتلخص فيما يلي:

أولاً: نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصرية ودحض الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا وتركيا، مع أنه لا سبيل في الواقع إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين.

ثانياً: السعي لإزالة الفروق في الرأي بين المصريين وإحلال التشابه في العقيدة محل الخلاف فيها - وبعبارة أخرى - تكوين ما يسمى بالرأي العام المصري من جديد، وبذلك يتحد المصريون في أهدافهم مهما كانت آراؤهم.

ثالثاً: إغناء الشخصية المصرية بقدر المستطاع، والنظر في الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن غيرها من الدول ومنها الدولة العثمانية نفسها.

رابعاً: توجيه النقد إلى السلطتين الشرعية والفعلية في البلاد، والنظر في هذا النقد إلى مصلحة المصريين وحدهم، من غير تحيز لأحد الجانبين المذكورين في حال اختلافهما، أو في حال اتفاقهما، أو في الحال التي يكونان عليها بين بين.

خامساً: المطالبة بالدستور، والدأب على هذه المطالبة بعد إذ تبين للمصريين أنه يستحيل عليهم التقدم خطوة إلى الإمام إلا بمشاركة الأمة للحكومة في الأعمال العامة، ولن يكون ذلك إلا بحصول الأمة على الدستور ولو بالتدريج، وذلك عن طريق الدفاع عن مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين، وتوسيع اختصاصهما تمهيداً للوصول إلى حياة نيابية أقرب للكمال.

سادساً: الرد على مزاعم الإنجليز، وبخاصة ما جاء منها مخالفاً تقارير اللورد كرومر والدن غورست، حتى يثبت للعالم الحر أن مصر خليفة بالكمال الذي تنشده، وأن الإنجليز ظالمون في نظرتهم للدين الإسلامي من جهة، وظالمون في تقديرهم للموظف المصرى والكفاية المصرية من جهة أخرى.

سابعاً: الدعوة لمذهب الحريين؛ ليكون أساساً لتربية الأمة المصرية، ولحرية التعليم ولحرية القضاء، ولحرية الكلام والكتابة، ولحرية الاجتماع، وسائر أنواع الحريات الأخرى، مع العناية التامة ببرامج التعليم حتى يصبح ملائماً لأغراض الأمة والجيل الجديد.

ثامناً: النهوض بالحركتين العقلية والأدبية، وإفساح المجال للشبيبة المصرية لكي تظهر مواهبها المختلفة.

تاسعاً: العمل على تشجيع الصناعة والتجارة والزراعة حتى تبلغ كل منها الحد الذي يتفق وآمال البلاد.

عاشراً: العمل على تقوية الوحدة القومية مع اليقظة التامة لتوحيد عنصرى الأمة المصرية - وهما عنصر المسلمين وعنصر الأقباط - حتى لا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها إلى تحطيم الوحدة أو النيل من الحركة الوطنية.

وباختصار كانت (الجريدة) ومحررها أحمد لطفى السيد، تشترك مع اللواء ومحرره مصطفى كامل فى الأهداف الوطنية. ولكنهما يختلفان اختلافا كبيرا فى الوسائل: فبينما مصطفى كامل يرى الاعتماد على الدولة العلية، إذ بلطفى السيد لا يرى الاعتماد على هذه الدولة أو غيرها، بل على المصريين وحدهم دون غيرهم. وبينما دعا مصطفى فى (اللواء) إلى ما يسمى (بالجامعة الإسلامية أو الجامعة العثمانية)، إذا بلطفى السيد فى (الجريدة) يدعو إلى (الجامعة المصرية) أو (الجامعة القومية). وقال فى ذلك:

«إن علينا نحن المصريين أن نترك فرنسا والمجتررة والدولة العلية، وعلينا ألا نغير سياسة الخلاف، أو سياسة الوفاق أية أهمية، وعلينا أن نعتد على أنفسنا فقط فى الحصول على حقنا فى الدستور، وحقنا فى الحرية. لا بد لنا من ذلك، ومن عزة تريا بنا أن نطلب من غيرنا أن يأتى لتحرير أنفسنا من الرق وقلوبنا من عبادة القوى، كأنا - كما ظنوا خطأ بنا - ينبغي أن يأتينا الاستقلال ونحن نيام»^(١).

هكذا تعلن الحركة الوطنية عن تيارها الثالث، وهو التيار الداعى لأن تكون «مصر للمصريين» والذى تزعمه أحمد لطفى السيد، ومثلته جريدة «الجريدة» التى صدرت عام ١٩٠٧.

وقد اختطت الجريدة لنفسها تيارا متميزا مختلفا تمام الاختلاف عن التيارين الأولين، فكانت دعوتها للقومية المصرية الخالصة باعتبارها هدف الاستقلال الصحيح، دعوة جديدة تتميز بطابع فكرى.

والى جانب ذلك أخذت الجريدة بالمذهب «الليبرالى» الذى يدعو إلى زيادة نصيب الأفراد من الحرية وتحديد تدخل الحكومة فى مختلف القطاعات حتى تعتمد الأمة على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة فى كل أمورها. ومن هنا نادى بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضاء وما إلى ذلك.

(١) د. عبد اللطيف حمزة: السابق ص ٨٨.

وتنفرد «الجريدة» بدعوتها الوطنية لأن تكون «مصر للمصريين» ومعارضتها الفكرة التي تنادى بربط مصر بتركيا، وهى الفكرة التي كانت تؤمن «المؤيد» بها واختلطت النزعة العثمانية بوطنية «اللواء» إلى حد ما . . وبذلك كانت الجريدة تمثل تيارا جديدا يمكن أن نطلق عليه «التيار المصرى» الخالص .

ونصل من هذا الحديث إلى أن الصحافة قد مثلت التيارات المتصارعة تمثيلا صادقا فرأينا كيف أن الرافد المعادى للانجليز مثلته «اللواء» وبرز على قمته مصطفى كامل ، والرافد المؤيد للخديو مثلته «المؤيد» وصاحبها السيد على يوسف ، والرافد الداعى إلى أن «تكون مصر للمصريين» مثلته «الجريدة» ومحررها لطفى السيد . وكلها روافد تنبع من التيار الوطنى .

الفصل السادس

الصحافة المصرية والاتجاهات الجديدة

تمثل الفترة بين ثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢ ؛ مرحلة من المراحل الحاسمة فى ملحمة الجهاد الوطنى ؛ نسجل فيها للصحافة المصرية وأعلامها أداء دور الحارس الأمين على أمانى الثورة الحقيقية .

وننظر إلى المقال الذى نشره العقاد فى عام ١٩٣٥ فى روز اليوسف اليومية على أنه تبشير بوجوب تحول نضال الشعب ضد الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات الصحافة الوطنية تتفق مع ما أثبتته التاريخ من بعد يقول :

«الواجب فى الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرشح نفسه لوزارة ولا نيابة، وأن يكون «قائدا» لاسياسيا ولا حاكما من حكام الإدارة، وخير لمصر أن يكون شابا فى الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الأقدمين .

«وعمل هذا الزعيم أن يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب . وقد أصبح الوصول إلى الاستقلال عن طريق الوزارات أمراً غير معقول ولا منظور بعد أن تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول . .

«فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على رأى العام الذى يتصل بزعيمه صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب، ولكنها تقوم على الشعور التزيه الصادق الذى لا ينظر إلى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر إليهما المصريون فى أوائل النهضة القومية» .

صحيفة (السياسة الأسبوعية)؛

صدر العدد الأول من (السياسة الأسبوعية) في مارس ١٩٢٦. وقد أشار رئيس تحريرها د. هيكل في افتتاحية هذا العدد إلى أنه لا يريد، أن يتلو «على الناس برنامجا طويلا عريضا نسرده فيه ما يجول بخاطرنا من الآمال التي نود أن نراها محققة في أنهر هذه الجريدة. بل نريد أن يرى الناس هذا البرنامج بأنفسهم ولنا ندعى لهذا العدد تمثيل كل ما يجول بخاطرنا. لكن لنا من الرجاء في المستقبل ما يجعلنا أقرب إلى الفن باستطاعتنا أداء ما نرجو التوفيق لأدائه. على أن ذلك لا يعفينا من أن نذكر إن أردنا بهذه (السياسة الأسبوعية) أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية من غير أن تقصر أكبر عنايتها في شئون السياسة على ما يفهمه الاكثرون. بل سيكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية قدر المستطاع. ونعتقد أننا بهذا نؤدي خدمة يرى كثيرون ضرورة أدائها للبلاد في الظروف الحاضرة. وهذا الرأي يطمعنا في مؤازرة هؤلاء الكثيرين لنا وتأييدهم إيانا ومعاونتهم لنا ونحن أول من يقدر قيمة هذه المعاونة القيمة التي مكنت السياسة اليومية من بلوغ المكانة التي بلغتها والتي أطمعنا في إمكان القيام بالمجهود الذي يقتضى إصدار مثل هذه (السياسة الأسبوعية) القيام به»^(١).

وبعد سنة كاملة من عمر السياسة الأسبوعية، يقول هيكل في مقال بعنوان: السياسة الأسبوعية في عامها الثاني^(٢): «ورجأؤنا أن توفر السياسة الأسبوعية ما يجب توافره في هذه الصحافة من تنويع المواضيع تنوعا يجد معه كل قارئ ما يعنيه أن يقف عليه. وهذا هو ما دعانا ويدعونا إلى أن نجعل منها ميدانا لمختلف الموضوعات العلمية والأدبية والسياسية، وأن نلجأ جهد الطاقة إلى

(١) السياسة الأسبوعية في ١٣ مارس ١٩٢٦. عبدالعزيز شرف: فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل ص ٥٠.

(٢) السياسة الأسبوعية في ١٩ مارس ١٩٢٧.

ذوى الرأى والتخصص فى هذه الموضوعات المختلفة لإيقاف القراء على آخر ما أبدع فيها».

ومن ذلك يبين أن الرؤيا كانت واضحة أمام د. هيكل للملاحق والطبعات الأسبوعية، فهو يرد أن يحتذى حذو الطبعات الأسبوعية الأعم فى المفهوم من الملاحق الأدبية لأنه يريد بها أن تكون وسطا بين الجريدة السياسية والمجلة السياسية». وذلك بهدف القيام بنهضة ثقافية جديدة تهدف إلى إزالة الجمود الفكرى الذى كشفت عنه قضيتا «الإسلام وأصول الحكم» و«فى الشعر الجاهلى»، ذلك لأن الكتاب المجددين فى هذه الفترة بعد أن استنفدت الصحافة السياسية معظم جهودهم كان لابد لهم أن يفتشوا عن سند جديد يحمى ظهورهم ويسد خطاهم ويضىء لهم الطريق ويحميهم من لهيب المعارك السياسية التى كانت محتدمة متأججة الأوار، كما رأينا صورة العصر السياسية عند الحديث عن (السياسة اليومية)، فبدأت فكرة، التعاون الأدبى تظهر فى الأفق، فظهرت «السياسة الأسبوعية»، «الأول عهدها بالحياة أثناء ائتلاف الأحزاب المصرية فى سنة ١٩٢٦ وطوع ذلك لها أن تكون مستقلة فى خطتها ومنهجها، غير متأثرة بهد حزبى أيا كان لونه»^(١).

وراح د. هيكل ييث فكرة التأزر الأدبى المرتبطة بدعوته للوحدة القومية لتقيم مصر حياتها الداخلية على أسس جديدة ترجو أن يتضافر أبنائها على ابتكارها وعلى تثبيت قواعدها وتوطيد أركانها. . فهذا الميدان ما يزال^(٢) بكرا فى الحياة المصرية وما يزال بحاجة إلى تفاهم أولى الرأى على أصلح المبادئ وأكفلها بخير المصريين وطمأنيتهم ورضائهم، فهم اليوم أصحاب الرأى فى أمرهم وفى مصيرهم؛ وهم المطالبون لذلك بأن يضعوا نظام الحياة للجماعة المصرية وأن يقرروا المبادئ التى يقوم هذا النظام عليها. ووطنهم أشد إلحاحا فى مطالبتهم اليوم بوضع هذا النظام بعد أن أثبتت الحوادث أن سياسة الاحتلال

(١)، (٢) السياسة الأسبوعية فى ١٢ يناير ١٩٢٩.

البريطاني في الماضي قد أهملت الجانب المعنوي في الحياة المصرية . وقد جعلت كل همها إلى ثبات المالية المصرية حتى لا تتداخل في شئون مصر دولة غير بريطانية باسم كفالة ما لأرياب الاسهم في دين مصر العام من حقوق المصالح . لذلك يذهب د. هيكل في دعوته إلى أن السبيل الحق لابتكار أصلح المبادئ وأكفلها بالخير لمصر وطمأنيتها؛ إنما هو البحث الحر لا يقيد قيد ولا يقف في سبيله عائق .

وتحقيقاً لهذه الغاية رسم محرر السياسة الأسبوعية لصحيفته منهاجاً تلتزم به ، ليستسنى لها النجاح ، وأن تكون ملتقى الأقلام والأفكار كما يريد . ويقوم هذا «المنهج» على البحث الحر ، الذي لا يتأتى له أن يؤتى ثماره - كما يقول (١) - إلا إذا سما صاحبه فوق الأهواء الذاتية وفوق الشهوات والأحقاد والتمس بمعونة كل قادر على المعونة لبلوغ الغاية من بحثه ، وهذا ما ترجو السياسة الأسبوعية أن تجده عند أولى الرأي من المصريين جميعاً ، وإن اختلفت ميولهم وأهواؤهم ونزعاتهم وأحزابهم . «فمصر أمناً جميعاً في أحضانها نشأنا وإلى ترابها نعود وما نستمتع من الحياة فيها يلقي على عاتقنا جميعاً عبء العمل لخيرها والتضافر على هذا العمل إن فرقت بيننا النزعات وباعدت بين أهوائنا أمرجتنا . ومن نافل الزأني النكوص عن القيام للوطن بواجبه ظناً بمعونة رجل الحكم لأن هوانا يختلف مع هوى هذا الرجل ومزاجنا لا يلتئم مع مزاجه . وليس بين النكوص عن أداء واجب الوطن وبين خيانة الوطن بون كبير» (٢) .

ويصف د. هيكل هذا «المنهج» فيقول: (٣) إن «الحقيقة بنت البحث، والخلاف في الرأي التماسا للحق وطلباً لمصلحة عامة هو أكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة . وستعاون هذه الجريدة قراءها جهد ما تستطيع في البحث عن الحق وفي التماس أوجه الرأي بأن تعرض عليهم كل ما تستطيع

(١) السياسة الأسبوعية في ١٢ يناير ١٩٢٩ .

(٢، ٣) السياسة الأسبوعية في ١٢ يناير ١٩٢٩ .

عرضه من الآراء والمعلومات التي تقع عليها فى مختلف أنحاء العالم، مستعينة فى ذلك بأحدث ما ينشر من الكتب والنشرات الدورية والصحف وأسباب النشر والإذاعة جميعا، وهى تقدر أن الفكاهة قد تنطوى من الحقيقة على ما لا ينطوى عليه جِدَّ المنطق، وأن الأقصوصة الضاحكة قد تنطوى من العبارة والحكمة أضعاف ما تنطوى عليه مذاهب الفلسفة. وهى لذلك ستأخذ من هذا وذاك بنصيب، ملتزمة فى الصورة وفى الكاريكاتور ما لا يصل إليه الأدب أو العلم، بجاعلة كل همها أداء رسالة الفكر الحر والثقافة العلمية المثمرة.

وتحقيقاً لهذا المنهج أخذت السياسة الأسبوعية نفسها أن تقوم بجهود «التوطيد روابط العلاقة العقلية والروحية بين الشعوب التى تتكلم العربية، ولتنشر الثقافة العامة فى مختلف أنحاء الشرق العربى بإذاعة ما تستطيع إذاعته من تفكير الشرق والغرب جميعاً»^(١)، وعلى نفس «المنهج» الذى جعله د. هيكىل يقوم على «أقوم بمبادئ حرية الرأى التى تحمل من نفوسنا محل القداسة والإجلال»^(٢).

ويذكرنا د. هيكىل أن السياسة الأسبوعية^(٣)، «يشجعها على المضى فى رسالتها ومتابعة مجهودها ما يتولاها به قراؤها من تشجيع وما يؤازرها به أصدقاؤها من معونة صادقة فى تحريرها. فليس عدد من أعدادها إلا يحتوى بحوثاً وأفكاراً ممتعة من ثمرات أقلام هؤلاء الأصدقاء الذين وجدوا فيها المجال للتعاون على إنهاء هذا الشرق العربى نهضة فكرية هو الآن فى أشد الحاجة إليها. وليس يقف أمر هذه البحوث والتفكيرات على ما يرسله بنو مصر، وفلسطين وسوريا والعراق. هذا إلى جانب ما يوقفنا عليه مراسلوننا فى مختلف الأقطار من سير النهضات فى الشرق ومن أسباب التطور فى الغرب. وكذلك ترانا نشعر فى كل عدد من أعداد هذه الجريدة بوسط قوى صالح من

(١، ٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٣) المرجع نفسه.

الأنصار والمؤيدين يعززنا ويقوى هممتنا ويبعثنا على المزيد من الجهد فى سبيل أداء الغرض الذى أخذنا به أنفسنا منذ أصدرنا العدد الأول من السياسة الأسبوعية»^(١).

«هذا الغرض هو الذى يجعلنا نتوخى جهد الطاقة الأتميل بهذه الجريدة إلى ناخية حزبية سواء فى مصر أو فى أية أمة من الأمم التى تقرأها. ذلك أننا لا نريد بها مناصرة فريق على فريق ولا طائفة على طائفة، ولا نبتغى بها أن تكون فى صف زيد أو عمرو، وإنما نبتغى بها مناصرة فكرة لا تتزعزع فى نفوسنا ولا تتصل بحزب من الأحزاب أو بطائفة من الطوائف، تلك الفكرة هى ما قدمنا من تأييد حرية الرأى والعمل على نشر الثقافة وتمكين الواسر القربى العقلية والروحية فى نفوس أهل الشرق جميعا. لذلك لا يمنعنا مانع من أن نشر رأيين مختلفين. ولا رأيا يخالف رأينا ما قام الرأى على أساس من سلامة التفكير والتتزه عن الأغراض الذاتية. وإذا كنا قد جعلنا هذا رأينا فى الاجتماعيات والعمليات فهو كذلك رأينا فى الشئون السياسية. فليس يحول دون نشر رأى من الآراء أنه يخالف رأينا ما بدا هذا الرأى متزها عن الغرض، سليم التفكير فى مقدماته ونتائجه. وهذه الحرية التامة التى نبتغيها هى التى أتاحت لنا أن نشر الرأيين المتناقضين وأن نترك لصاحب كل واحد منهما أن يؤيد رأيه بما يرى تأييده به من حجة ودليل قائمين على الأساس السابق ذكره»^(٢).

ويشهد د. هيكى أن هذا الاحترام التام لحرية الرأى قد جنى على السياسة الأسبوعية فى بعض الأحيان: «وبلغت جنايته أن ضاع بعض أصدقائها ممن كان لأقلامهم أثر فيها. لكننا لم نأسف يوما من الأيام على ما حدث من ذلك. فنحن أكبر تقديرا لحرية الرأى منا للذين يتقمون هذه الحرية، ولو أدى ذلك إلى

(١) السياسة الأسبوعية: فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

(٢) السياسة الأسبوعية فى ٢٣ مارس ١٩٢٩.

ضياح ما بينهم وبين هذه الجريدة من صداقة وصلة، ولو أدى ذلك إلى إعلانهم عليها حربا لن تنال منها، لأنها بتزعيتها السامية أبعد منالا من أن تسيء إليها الشهوات الخاصة أو تزعزع من عقيدتها في مبدئها وغايتها الأغراض والمآرب الذاتية^(١).

ويعاهد هيكل قراه في مفتح السنة الرابعة من حياة السياسة الأسبوعية على أن «تكون دائما عند حسن ظنهم بها». فلن نألو جهدا في سبيل تحقيق غاياتنا ولن نجعل لاعتبار فوق حرية الرأي قيمة، ولن نتغير عما كنا نعاصد البحث والتفكير ونعمل على نشر ما يصل إليه العلم من نتائج. وإننا لنعاهدكم كذلك على أن نكون في المستقبل كما كنا في الماضي، أنصار النزاهة المطلقة في التفكير والقول والكتابة. وعاهدكم أيضا على أن نتعاون وإياهم على بعث حضارة الشرق من جديد بعثا نراه قريبا وإن رآه بعضهم بعيدا، ونراه يقينا وإن رآه بعضهم حلما من الأحلام، ونراه هادى الإنسانية ومرشدها إلى السلام وإن خيل لبعضهم أن الإنسانية لن تزال في ضلال ولن يُروى ظمؤها للخراب والدمار. وإذا كان ما نعاهد قراء السياسة الأسبوعية عليه أمرا شاقا عزيز المنال، فإنه لذلك جدير بالجهود والسعى المتواصل. ولقد طالما حسب المترددون الذين إذا ذكر الحق تزعزعت عزائمهم أمرا من الأمور محالا، فإذا هذا المحال أدنى لأن تحققه العزيمة الصادقة مما يظنون. وهذا إيماننا وهو الذى يجعلنا على ثقة من أننا بالغون في المستقبل القريب كل هذه الغايات التى نصبو إليها ونتجه إلى تحقيقها^(٢).

ويزيد هذا الإيمان في نفوسنا قوة على قوته ما بلغته السياسة الأسبوعية من قوة في السنوات الثلاث التى انقضت منذ نشر أول عدد منها. فثلاث سنوات من حياة أى مجهود من المجهودات ليست شيئا مذكورا. وكم مضت أمثال هذه

(١) نفس المرجع.

(٢) السياسة الأسبوعية في ٢٣ مارس ١٩٢٩.

السنوات الثلاث وأضعافها على عمل فى جسامة السياسة الأسبوعية ثم إذا به ما يزال يضطرب بين الاستقرار والهزيمة. فأما هذه الجريدة فقد قوبلت من الجمهور فى مصر والشرق العربى وفى البلاد الغربية النائية التى تضم طائفة من قراء العربية بتعظيم جعلنا نعتقد أن الحاجة كانت ماسة إليها، وأن الأغراض الماثلة فى نفوسنا ماثلة فى نفوس الألوف والملايين من أهلنا وجيراننا وإنها ما كادت لذلك ترى هذا المجهود يشرق فجره حتى تعاونت لتزيده ضياء على ضيائه.

إذن فالغايات التى نريد بلوغها ليست غايتنا وحدنا ولكنها غايات عامة تمبش بها نفس الشرق كله والشرقيين جميعا. وإذن فالمجهود الذى نقوم به يلقي جوابه فى نفوس الملايين من أهلنا وبني عمومنا. وإذن فهذا البعث الذى نطمح فيه كثمرة لحرية البحث العلمى والرأى النافع نرجو أن يبعث من روح الشرق الخالدة إلى حضارة الغرب فى كثير من أنحائها ضياء الحق وأن يحقق للإنسانية ما تبصو اليوم إليه فى قوة ولهف من هداية وسلام - هذا البعث هو كذلك موضع إيمان الكثيرين وموضع رجائنا أجمعين فليكن عهدنا الذى عاهدنا عليه قراءنا هو إذن مفتاح كلمتنا لهذه السنة الرابعة^(١).

من هذا ومن كثير أمثاله من فواتح القول نتعرف على هذه الخطوط الكبيرة فى «السياسة الأسبوعية» وأهدافها. إنها بوجه عام، اتجاء جديد فى الصحافة العربية على غرار ما تفعله الصحف الأوربية، يهدف من ورائه الأدباء والكتاب المصريون إلى الخروج من دائرة الحزبية، وإلى مواصلة رسالة التجديد التى بدأوها فى الصحف اليومية على عجل، ولأنهم يريدون أن يسلكوا بالنهضة الفكرية، كما وضح من قول د. هيكل فيما سبق، طريقا جديدا غير مسبوق، ولأن هذه الفترة، كما نعلم كانت تختلط فيها التيارات الأدبية بالتيارات الحزبية،

(١) نفس المرجع.

وتتأثر الأحكام النقدية بهذه التيارات، والأمر الذى كشفت اللثام عنه بعض القضايا الفكرية التى شهدتها الصحف اليومية^(١).

على أن صدور السياسة الأسبوعية على هذه الصورة التى نتحدث عنها لم يكن بداية مولد تيار التجديد، فقد رأينا فيما سبق أن هذا التيار قد نشأ فى ظروف الحياة المصرية وصراعاها الحزبى، فقد كان هذا التيار يتطور ابتداء من الصفحة الأدبية فى السياسة اليومية، ثم ملحق السياسة، وهكذا تطور التيار أو وصل إلى ذروته عندما صدر العدد الأول من الطبعة الأسبوعية للسياسة فى مارس ١٩٢٦.

وإذا كنا لا نجمع على أن مولد هذه الصحيفة يمثل ميلاد تيار التجديد، فإننا نعترف بأن هذا التيار قد وصل إلى ذروته من ذلك الحين، وساعدت الظروف والأحداث على أن يأخذ طابعه الفكرى المجدد، ولذلك كان لابد أن نقف عند هذه النشأة وكيف تطورت وما صادفها من عقبات.

ونحن نلمح فى فواتح القول التى أوردناها من السياسة الأسبوعية والتى سجلها محررها: الاستقلال فى الشخصية الأدبية، فى الوقت الذى تصدر فيه السياسة الأسبوعية ممثلة لكل الاتجاهات والمذاهب الفنية، لا ينسى هيكى أن يشير صراحة إلى أن السياسة الأسبوعية لا تنقيد بالآراء الحزبية ولا بتوجيهات الحزب إلا فى الحدود الخاصة: «وسيكون دأبنا هناك وهنا أن ننصر المبادئ أو نحاربها لذاتها دون نظر إلى الأشخاص الذين يؤيدونها، أو يناضلونها وفى نصرة المبادئ وفى محاربتها لا نداجن ولا نخاف فى الحق لومة لائم. لذلك قد ننصر رأيا لشخص بذاته ونحارب رأيا آخر لهذا الشخص بذاته. إذا لم يتفق هذا الرأيان فى منطق المذاهب العملية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفنية أو

(١) راجع كتاب: طه حيسن وزوال المجمع التقليدى؛ القاهرة هيئة الكتاب القمل الخاص بالقضايا الفكرية وقضية الشعر الجاهلى.

الأدبية . ولن يغير تأييدنا للرأى أو المبدأ أو محاربتنا إياه من صلاتنا لمؤيدى المبدأ ولا لخصومه»^(١).

وقد أرسى بذلك مبدأ من أهم المبادئ التى كانت الحياة الأدبية والصحفية فى أمس الحاجة إليها حيثئذ، ونعنى (محاربة التعصب) الذى نجم عن تغلغل الحزبية فى الرأى . وفى ذلك قال د. هيكل: «فإن حرص الأشخاص مع ذلك على خصومنا فإنا لن نقف منه موقف التعصب ولن نحارب ما نراه صالحا من رأيه . فليس التعصب وليس ضيق الأفق فى طبيعنا، والتعصب وضيق الأفق هما اللذان يحيلان الخلاف فى الرأى خصومة ذاتية ويسرعان بصاحبهما إلى اتهام من يخالفه وينسيانه أن الحقيقة بنت البحث وأن الخلاف فى الرأى التماسا للحق أو طلبا لمصلحة عامة هو أكد الوسائل إلى تبين وتحقيق المصلحة العامة»^(٢).

ومن ذلك أيضا تأصيل «حرية الرأى» وتوكيدها وبث روح الديمقراطية فى الأدب الصحفى حتى يشق الشباب بقدرته وكرامته الشخصية، ولذلك رأينا د. هيكل يسجل حرص السياسة الأسبوعية «على حرية الرأى والبحث لتكون ميدانا حقيقيا لأصوب الآراء فى أشد الشئون مساسا بحياتنا الروحية والعملية والمادية»^(٣).

هكذا جاءت «السياسة الأسبوعية» كأول طبعة أسبوعية تعنى بالشئون الثقافية البحتة فى مصر وفى العالم العربى فيما نعلم، بحيث لا يسع مؤرخ الصحافة إلا أن ينظر إلى صحيفة السياسة - كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة^(٤) على أنها تعتبر بحق «رائدة» الطُّور الرابع من أطوار الصحافة المصرية . ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور كثيرة منها:

(١)، (٢)، (٣) السياسة الأسبوعية فى ١٤ يناير ١٩٣٩.

(٤) الصحافة المصرية فى مائة عام ص ١١٠.

أن جريدة السياسة كانت من أكثر الصحف المعاصرة لها استخداما لكبار الكتاب والمفكرين، وإفساحا لهم في مجال الكتابة فيها على اعتبارهم «مصحفين لا «صحفيين محترفين».

استطاع كتابها أن يخلقوا ثورة في الصحافة المصرية من الناحيتين الأدبية والفكرية وذلك بما نشروا في صحيفة السياسة الأسبوعية - بنوع خاص من المقالات الثورية فى عالم الأدب والاجتماع والتاريخ والفلسفة. وحسب القارئ أن نذكره هنا بمقالات على عبدالرازق التى جمعت فيما بعد فى كتاب: «الإسلام وأصول الحكم». وحسب القارئ أن يذكر كذلك أن صحيفة السياسة هى التى حمت الدكتور طه حسين من بطش الحكومة بعد نشره كتاب: «فى الشعر الجاهلى». بل حسب القارئ كذلك أن نذكره بمقالات إبراهيم عبدالقادر المازنى وهى عبارة عن قصص فى إطار مقالات كانت نوعا جديدا فى فن المقال من حيث هو. ثم حسب القارئ أخيرا أن نذكره بالمقالات النقدية الاجتماعية التى كتبها عبدالعزيز البشرى، وجمعت بعد ذلك، فى كتاب عنوانه: «فى المرأة» وفيه صور كاريكاتورية إقليمية لكثير من الشخصيات البارزة فى الأمة المصرية كانت هى الأخرى لونا جديدا من ألوان المقال^(١).

وإذا كان الفن اختيارا، فإن اختيار اسم «السياسة الأسبوعية» يدل على نزعة محررها إلى التجديد، لأنه يجنح بالصحافة المصرية إلى إحراز تقدم ثقافى ذهبت إليه صحافة الغرب، فهو يريد «بالسياسة الأسبوعية» أن تكون «وسطا بين المجلة السياسية والجريدة السياسية، ويكون للأدب والاجتماع والاقتصاد والفن نصيب من العناية فيها قدر المستطاع»^(٢). وفى ذلك ما يبين أثر «النموذج الغربى الذى كان أمام محرر السياسة الأسبوعية، ونرجح أن يكون هذا النموذج هو

(١) الصحافة المصرية فى مائة عام ص ١١٢.

(٢) السياسة الأسبوعية ١٣ مارس ١٩٢٦.

الطبعة الأسبوعية لصحيفة «التيمس»^(١). ولعل ذلك يرجع إلى أن كلا من الصحفيين رسما لنفسيهما سياسة ومنهجاً منذ صدور كليهما وبقيتا عند تلك السياسة والمنهج لا يغير فيه أبداً.

فإذا كانت السياسة الأسبوعية قد صدرت وأمامها هذا النموذج الغربى . فإننا نذهب إلى للطفى السيد أثراً فى تسمية «السياسة الأم» ، ونعنى الصحيفة اليومية . التى اتخذت الأسبوعية اسمها ، نرجعه إلى أرسطو الذى ترجمه أستاذ الجيل فالسياسة عند أرسطو هى أشرف العلوم ، لأنه يعرفها بأنها تدبير المدنية ليكون سكانها فضلاء . ومن هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم كما قال أرسطو تأسيساً على أن السياسة تبين ما هى العلوم الضرورية لحياة فضلاء ، وفى هذا التعريف ترجع إلى السياسة سائر العلوم ، أى حد ينبغى أن يعلموها^(٢) فهل أرادت «السياسة الأسبوعية» أن تكون مرجعاً لسائر العلوم؟ وهل تكون بعد صدورها على النموذج الغربى قد حققت ما نرجّحه من آراء أستاذ الجيل؟

وأيا كان الأمر ، فقد حاولت السياسة الأسبوعية فعلاً أن تقوم برسالة الثقافة الشاملة «لسائر العلوم» فحشدت كل كبار الكتاب فى ذلك الوقت فكان إلى جانب محررها : د. هيكل ، طه حسين ، ومحمود عزمى ، ومصطفى عبدالرازق ، وعلى عبدالرازق ، وإبراهيم المازنى وعبدالعزیز البشرى ، وتوفيق دياب ، ومحمد عبدالله عنان .

وقد حدثنى شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود رحمه الله أن الصفحة الاقتصادية فيها كان يحورها المرحوم كامل عبدالرحيم وكيل وزارة الخارجية ، وكان يحزر الصفحة العلمية فيها الدكتور محمد والى الذى صار عميداً لكلية

(١) يحدثنى الأستاذ حافظ محمود أن السياسة الأسبوعية فعلاً كانت تهدف أن تحقق ما تحققه الطبعة الأسبوعية The Times: Weekly Review بل إنها - اتخذت لنفسها شكل هذه الطبعة .

(٢) لطفى السيد: فيلسوف أيقظ زمة! للمؤلف، ص ١٦٩ .

العلوم فيما بعد . وكانت تحرر الصفحة النسائية فيها الآنسة «مى» إلى جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تتلمذوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل : الدكتور عبد الحميد يونس وحافظ محمود . . وغيرهما .

وقال الأستاذ حافظ محمود أيضا ، إن السياسة الأسبوعية كانت منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية الشرقية انتشارا فى العالم ، فبلغ متوسط توزيعها أربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كانت أعلى نسبة توزيع للصحف إذ ذاك لا تتجاوز عشرين ألف وكان نصف هذا العدد بالضبط يوزع فى البلاد العربية خارج مصر ، ولذلك كان لها فضل الربط الفكرى بين القاهرة والعواصم العربية الأخرى .

ولا شك أن الفضل فى هذا النجاح يرجع إلى رغبة محرريها المستمرة فى تطوير المقالة الصحفية بجميع فنونها وأشكالها تطورا يتصل بالشكل والمضمون^(١) ، ويبين إدراك د. هيكل لمسئوليته القيادية فى إيجاد صحافة ممتازة ، تواكب تقدم الصحافة العالمية ، لتقدم للأمة العربية حينذاك ما كان يطمح إليه من مثل فكرية .

وهكذا نشأت السياسة الأسبوعية لتحضن النهضة الأدبية والأفكار التقدمية وتدافع عنهما بحرارة عظيمة ، وحماسة صادقة^(٢) .

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن أن نقول إن السياسة الأسبوعية قد خرجت بمباحثها ودراساتها أشبه ما تكون بـ «جامعة تضم مختلف الكليات فيها لكل طالب زاد - على حد تعبير المرحوم محمود تيمور^(٣) . ولعلها كانت وليدة الضرورات والملايسات الاجتماعية فى تلك الحقبة من الزمن ، إذ كانت الجامعة

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى المصرى ص ١٦٠ .

(٢) حمزة: مستقبل الصحافة ص ٢٠٨ .

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى / السابق ص ١٦٢ .

الحكومية ما تزال فى مهدها، طلابها نفر قليلون، على حين يتطلع شباب العصر إلى المعرفة والتأرب، فكان على السياسة الأسبوعية أن تروى ظمأ الجمهور الراغب فى التثقيف والتتوير.

ونخلص من ذلك إلى أن الصحيفة يتسق مع رسالتها لأنها تسير فى المفهوم الأرسطى «للسياسة» الذى ترجع إليه «سائر العلوم».

واحترمت السياسة الأسبوعية الفكرة الأساسية فى إنشائها، وهى فكرة الأدب فتجنبت - ما أمكن - الخوض فى أية موضوعات تمس السياسة الداخلية إلا اضطرارا. وأعلنت فى تقديم عددها الأول هذه الخططة فكانت سببا من أسباب إقبال القراء عليها حتى لقد كانت أول أمرها أكبر وأكثر الصحف العربية توزيعاً.

صدرت السياسة الأسبوعية عن شركة جريدة السياسة اليومية، وقد رأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة اليومية كما تقدم، ومع ذلك كله ظلت محافظة إلى مدى بعيد على استقلالها الذاتى بعيدا عن السياسة الحزبية، لتظل وثيقة الصلة بالنهضة الأدبية الجديدة. . فظلت الصلة بينها وبين شركة السياسة مجرد صلة إدارية ومالية دون خلط بين سياسة الجريدتين إلا بعد سنين طويلة.

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا تاما فى المفاهيم بين الجريدة اليومية والأسبوعية. . ولكن معناه أن السياسة الأسبوعية كانت تتعرض للسياسة من الزوايا العامة التى تكاد تكون ذات طابع دولى. . وهذا ما كان يظهر فقط فى افتتاحياتها التى كان يكتبها أول الأمر رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل.

وقفنا على كثير من النظرات الجديدة فى الأدب والفكر ونحن ندرس الآثار الأدبية فى صحيفة السياسة الأسبوعية، وآراءها فى التجديد. ولقد فصلنا الحديث فى هذه الأمور، ولكننا نريد بعد ذلك أن نشير إلى اتجاهات التجديد

فى السىاسة الأسبوعية من خلال الاتجاهات التى دار فيها مقال هيكل بصورة مركززة تقفنا فى وضوح على الإضافات الجديدة التى أغنت بها السىاسة الأسبوعية صحافتنا الحديثة^(١).

ونود أن نشير بصفة عامة إلى أن د.هيكل محرر السىاسة الأسبوعية، وصحبه من كتابها ومحرريها كانوا يمثلون ثورة حقيقية فى صحافتنا العربية الحديثة، فلقد جاءوا إليها بثقافتهم وفكرهم الجديد، وطاقتهم الصحفية والأدبية المتفتحة، فملأوا حياتنا الفكرية بالأفكار الجديدة فى الأدب والصحافة، وحاربوا الجمود والتقليد ودعوا إلى التجديد فى نواحي الحياة، وأفسحوا المجال للمواهب الجديدة.

والواقع أن السىاسة الأسبوعية قد ورثت عن شقيقتها اليومية تلك الإمكانيات الفنية التى جعلتها رائدة للصحف المعاصرة، فجاءت صحيفة البلاغ بعدها فى ٢٨ يناير ١٩٢٣^(٢). فوجدت أمامها نموذجا من الصحافة الحديثة يتفوق فنا على الصحف الأخرى وكان عليها «أن تظهر للقراء بصورة لا تقل عن الصورة التى ظهرت بها السىاسة بحال من الأحوال»^(٣).

من هنا جاءت السىاسة الأسبوعية لتمثل ذروة تيار التجديد الذى بدا فى السىاسة اليومية، كما سبق القول، وقد جددت «فى الأسلوب والمضمون، فخرجت من تلك الدائرة الضيقة التى كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية فى الداخل والخارج. وأفردت صحائف للأدب والفن والزراعة والسيدات»^(٤). وكان ذلك كما يقول هيكل: «خطوة سعيدة، فإن الصحف الأخرى جاهدت لتحذو حذو السىاسة، والتنافس فى ذاته دافع إلى التقدم»^(٥).

(١) محمد حسين هيكل والفكر القومى / السابق ص ١٩١.

(٢) صدرت السىاسة اليومية ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

(٣) محمد حسين هيكل والفكر القومى / السابق ص ١٧٠.

(٤، ٥) السىاسة: فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٤.

ذلك أن الخصومة السياسية، كما يقول طه حسين^(١) قد دفعت «صحف الأحزاب المتخاصمة إلى التنافس فافتتت فيما جعلت تنشر من الفصول، وإذا الأدباء يستعرضون الآداب الأوربية الحديثة يذيعونها ناقلين ومحللين ومترجمين، وإذا هم بعد هذا كله يرقون إلى إنشاء الدراسات التي تطول حتى تصبح كتباً تستقل بنفسها، وتقتصر حتى تصبح فصولاً تنشر في الصحف والمجلات ثم يجمع بعضها إلى بعض فإذا هي أسفار قيمة يجد فيها القارئ نفعاً ولذة ومقاماً. فهذا نوع جديد من الأدب عرفه الأوربيون منذ زمن بعيد ولم نعرفه نحن إلا في العصر الحديث».

ومن جهة أخرى فقد جاء اشتغال الأدباء بالشئون السياسية في الصحافة عاملاً من عوامل هذه النهضة، بعد ثورة ١٩١٩. وهؤلاء - كما يقول العقاد^(٢) - كان لهم «الأثر المحسوس في نشر الأدب بين قراء الصحف السياسية ونشر السياسة بين القراء المتأدين الذين كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب إلا ما كان أدياً محضاً أو بحثاً في موضوعات الشعر والنقد والبلاغة.. فمنذ اشتغل أفراد هذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعود قراؤهم السياسيون أن يتقبلوا معهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كما تعود قراؤهم الأدبيون أن يتقبلوا معهم إلى السياسة ومناقشتها حيثما خاضوا فيها وناضلوا عنها. فأتسع نطاق الأدب كما اتسع نطاق السياسة، واستفادت الأساليب العربية كما استفادت النهضة الوطنية من جودة التعبير وحسن التوجيه وارتقاء مذاهب القول والتفكير، ونشأت في مصر والشرق نهضة أدبية أو أدب سياسي تتقارب فيه درجات القراء ممن كانوا يألّفون الأدب دون السياسة إلى ما كانوا يألّفون السياسة دون الأدب، ثم اجتمعوا على مائدة واحدة لكل منهم نصيب فيها».

(١) فن المقال الصحفي في أدب طه حسين ص ٢٨.

(٢) فن المقال الصحفي في أدب العقاد ٢٢٨.

وتأسيسا على ذلك نستطيع أن نفهم الدور الذى أسهمت فيه السياسة الأسبوعية من توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الخوارج النفسية فى قلوب القراء ومن يقتدى بهم من قريب.

التجديد فى التحرير الصحفى:

والمقصود بالتحرير هنا هو الموضوع والأسلوب. وإذا كان هناك اعتراض قوى بأن الصحيفة التى يسهم فيها عدد كبير من الكتّاب لا يمكن أن يتظمهم أسلوب واحد ولغة واحدة^(١). وهو اعتراض حق، حين ننظر فى التفاصيل والأجزاء، ونقف عندها. أما حين نتناول الصحيفة ككل فإن الاعتراض يهين ويضعف. إذ من الواضح أننا إذا كنا نجد الصعوبة فى الحكم على أسلوب السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى بسبب من كثرة الكتّاب فيهما، فإن من اليسير أن نلاحظ أن الأقسام المختلفة الأساليب تتلاقى بعد ذلك وتتقارب وأن مسافة الخلف بينها تضيق وتنكمش، ويبقى لها بعد ذلك خط واحد كبير يمكن أن يفسر لغتها ويبين عن أسلوبها. ونحن فى السياسة الأسبوعية - مثلا - نوشك أن نكون أمام أسلوب واحد يتظمها فى التفكير والتعبير إلى حد كبير.

أما الموضوع فقد سبق أن رأينا أن السياسة الأسبوعية منذ صدورها على الناس بصفحات جديدة منها، الصفحة الأدبية - الصفحة الفنية الصفحة العلمية - الصفحة القانونية - صفحة المرأة - الصفحة الاقتصادية إلخ. ولم تقتصر الصحيفة على ذلك حتى حرصت بدون انقطاع تشجيع الفنون الأدبية الجديدة، فشجعت حركة القصة فى الأدب العربى ترجمة وتقويما، إلى جانب عنايتها بالنهضة الفنية الأخرى فى المسرح والموسيقى والسينما.

(١) فى المقال الصحفى فى أدب محمد حنين هيكى، ص ٢٩٠.

بهذه الطرق وأمثالها استطاعت السياسة الأسبوعية أن تدخل على الصحافة العربية الجديدة، وأن تشارك في النهضة الأدبية والفكرية التي بلغت أوجها بصدر الدستور في سنة ١٩٢٣. ونرجح أن يكون الوازع لهذه النهضة إلى اعتقاد محرر السياسة الأسبوعية بأن «الكاتب الذي يؤمن برسالته يخلق قراءه ولا يخلقونه»^(١).

فابتدعت السياسة الأسبوعية طرقاً فنية للمشاركة في النهضة ؟ ومنها طريقة «المرايا» التي برع فيها عبدالعزيز البشري وقد استهلت المرايا عددها الأول في مارس ١٩٢٦ بمقالة عن «زيور باشا» وإلى جانب المقال صورة كاريكاتورية ضاحكة. وقد فتحت السياسة الأسبوعية بهذا الباب فتحة جديدة في الصحافة العربية يتجه إلى استخدام الأسلوب الكاريكاتوري. كما كتب بعض المرايا في السياسة الأسبوعية فكرى أباظة وحسن درويش وتوفيق فرغلي وعبد الحميد حمدي^(٢).

وكنا قد قلنا في كتابنا عن د. هيكل إنه عاد إلى كتابة صورة جديدة تحت هذا العنوان بعد ذلك بعشر سنوات حين لم تعد تصدر غير السياسة الأسبوعية ولم يكن يوقعها باسمه. وقد كان مرجعنا في ذلك الدكتور حسين فوزي النجار^(٣). وقد رجعنا إلى هذه الصور فلم نجد فيها أثراً لروح هيكل، مما جعلنا نرجع إلى محرريها في هذه الفترة وهو أستاذنا حافظ محمود رحمه الله، الذي أوضح لنا أن هذه المرايا كانت تكتب بتوجيه من هيكل فقط، ولكن محرريها هو حافظ محمود نفسه.

وأيا كان الأمر فقد فتحت السياسة الأسبوعية باباً جديداً في الصحافة

(١) الهلال: ٥ أغسطس ١٩٣٤.

(٢) فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل ص ٢٢٧.

(٣) نفسه، ص ٢٣٠.

المصرية يستخدم الكاريكاتور عن طريق المقالات الأدبية أو الصحفية. بل كانت تقرون بين السخرية الكاريكاتورية والسخرية القلمية فى موضع واحد فتوسعت الصحافة من بعد استخدام الكاريكاتور إلى الحد الذى أحدث أزمة أخلاقية حادة خاض الكتاب فى بيانها، وانقسموا يومئذٍ إلى رأيين، الأول ينكر هذا الاتجاه كل الإنكار، وكان يتزعمه ويعبر عنه الدكتور هيكل^(٢) والرأى الثانى لا يجد بأساً من استخدام هذا الفن وكان من دعائه الدكتور طه حسين^(٣).

البلاغ الأسبوعى:

وسار على هذا الدرب (البلاغ) فأصدر صاحبه: (البلاغ الأسبوعى) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦، وهو تقليد (للسياسة الأسبوعية) وكان من أهم محرريه عباس العقاد ومحمد السباعى وصبرى أبو علم ومحمود سليمان غنام فى حجم اصغر من (السيساة) وإن صدر أحياناً فى ثمان وعشرين صفحة ولكنه تميز بصوره الكاريكاتورية.

مجلة الكشكول:

ثم صدرت فى مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت أبا نظارة هى (الكشكول) المصور لسليمان فوزى وكانت «جريدة مصورة اجتماعية انتقادية» عرفها المصريون فى ٢٤ مايو ١٩٢١ وكانت مثلاً طيباً للصحافة الهزلية وعاصرت التطور السياسى فى مصر إلى أن قضى صاحبها، وعن مدرسته صدرت (روز اليوسف) و(آخر ساعة) وما إليها من المجلات المماثلة^(٣).

(١) من كلمته بكتاب الدكتور محمد حسين هيكل ص ٣١.

(٢) حق السياسة: فى ٣٠ مايو ١٩٣٣

(٣) د. إبراهيم عبده: السابق ص ٢١٥.

مجلة الرسالة والزيات:

أصدر أحمد حسن الزيات مجلة (الرسالة) فى ١٥ يناير ١٩٣٣ بالاشتراك مع طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر وكانت خطتها «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب». ويصور الزيات مولد «الرسالة» واللقاء الذى تم بينه وبين طه حسين بشأن إصدارها فى وقت كانت المجلات الهزلية تطفئ على الصحف الثقافية بعد تحول السياسة الأسبوعية إلى الاتجاه الحزبي، يقول: «فى ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى طه حسين فى داره بالزمالك. وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد أن أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد. وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد. فقلت له بعد حديث شهي من أحاديث الذكرى والأمل: ما رأيك فى أن تصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع؟ فضحك ضحكته التى تبتدئ بابتسامة عريضة، ثم تنتهى بقهقهة طويلة، وقال: وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيع قراء فى مجتمع، ثقافة خاصته أوربية، وعقلية عامته أمية، والمذنبون بين ذلك لا يقرأون إذا قرءوا - إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة؟»

فقلت له: لعل من بين هؤلاء طبقة وسطى تطلب الجدد فلا تجده، وتستهيى النفع فلا تناله. فقال وهو يهز رأسه: حتى هذه الطبقة، إن كانت، ستقبل على الجدد النافع أول الأمر لأنه تغير وتنوع، فإذا ما ألح عليها، لا تلبث أن تسأمه وتزهده فيه. . والمثل أمامك فى السياسة الأسبوعية.

«فقلت له: ربما كان لإقبال القراء على السياسة الأسبوعية، ولإدبارهم عنها سببان «آخران غير التغير والسأم. . كانت هذه المجلة أول ما صدرت قوية عفية خصبة فأصبحت حاجة، ثم اعترأها ما يعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضيلة.

«فقال طه بعد نقاش طويل، أنت وشأنك.. أما شأني فهو المقال الذي أكتبه، والرأي الذي أراه.. وكان يظهرني على تفاؤلي أصدقائي الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر، فكانوا بهذه الظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد»^(١).

وحيث عين طه حسين رئيساً لتحرير جريدة «كوكب الشرق» خوطب في شأن الزيات فقبل نيابة عنه، ولكن الزيات هاله الأمر إشفافاً على المجلة الوليدة التي أحاطت بمولدها الأماني، فيعرض المسألة على أعضاء لجنة التأليف الذي أيدوا الزيات فترك طه حسين الرسالة مغضباً، واضطلع بها الزيات يعاونه رجال الفكر^(٢) من أعضاء لجنة التأليف. ثم أخذ طه حسين ينازل توفيق الحكيم في جريدة (الوادي) تحت عنوان (أخلاق الأدباء) نزالاً هدد بقطع الصلة بينهما، ولما كانت (الرسالة) قد شهدت مولد الحكيم الأدبي ونشرت تقديم طه حسين له، فقد نشر الزيات فيها مقال «أخلاق الأدباء» ليعرف قراء الرسالة النهاية بعد أن عرفوا البداية على صفحاتها. فأحتق ذلك طه حسين وهاجم الزيات أيضاً في «الوادي» تحت نفس العنوان «أخلاق بعض الأدباء». فرد عليه الزيات تحت عنوان «بين أسلوبيين» في سنة ١٩٣٤. وكانت هذه المقالات من المساجلات الأدبية التي كان لها دوى في ذلك الحين شغلت الرأي الأدبي العام. كما شهد «الرسالة» المقالات النقدية والقومية لطله حسين بين سنتي ١٩٣٦، ١٩٣٩،

(١) أحمد حسن الزيات: وحى الرسالة ج ٤ ص ٧٢، ٧٣. ومما يذكر في صدد صدور الرسالة أن الخطاط الذي عهد إليه أن يعلن مولدها على الجدران نظر في الإعلان الذي كلف بكتابته فإذا به مسطور على هذا النحو: (مجلة الرسالة يحرقها الزيات وطه حسين، وعرت الخطاط هزة أمام الأسمين الكبارين. ورأى من سوء الأدب أن يكتبهما بلا القاب عرفها الناس لهما. فتطوع بإضافة الاستاذية وكتب مجوداً: مجلة الرسالة يحرقها الأستاذين الزيات وطه حسن - وكانت (قفشة) تلقضتها مجامع العاصمة واحتشدت له قدرتنا على التفكه والدعابة، فكان ذلك خير إعلان عن المجلة الجديدة مكن لها من الرواج - الدكتور نعمة فؤاد: قم أدبية ص ١٨١.

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣.

وشهدت معركة مع العقاد موضوعها: «لاتينيون وسكسونيون» وفصول «على هاشم السيرة» قبل نشرها في كتاب.

على أن احتجاب مجلة «الرسالة» من الأمور التي أسف لها طه حسين أسفا عميقا، في مقال بعنوان «لابأس»^(١) يقول: «رأيت مصرع صحيفتين أدبيتين في شهر واحد أو في أقل من شهر فضاق صدرى ومن حقه أن يضيق... ثارت نفسى ومن الواجب عليها أن تثور، ولم أكتب في هذه الصحيفة أو تلك منذ عهد بعيد جدا، فلم أغضب لعلمى إن كان لى علم ولا لفنى إن كان لى فن، إنما غضبت لعقلي، وأحسب أن لى عقلا، فقد كان يجد فى هاتين الصحيفتين عزاء ومتاعا، وغضبت لعقول فريق من المصريين والشرقيين كانوا يجلدون فيهما مثل ما كنا نجد من الغذاء والمتاع»^(٢). إلى أن يقول: «كنت أذكر كيف قهر الأدب فى بعض الأوقات السياسية والأحزاب وكيف انتصر عليها، وكيف كان الناس يشترون بعض الصحف سرا يختلسون شراءها اختلاسات ويدسونها حتى لا يراها الناس لأن الزعماء كانوا قد حذروا من قراءة تلك الصحف. لكن الأدب كان أقوى من الزعماء، فكان الناس يخالسون بشراء الصحف، ويفرغون نقرائها حين يخلون إلى أنفسهم وحين يأمنون عيون الرقباء»^(٣). ويعقب العقاد على هذا المقال بعنوان: «وأى بأس»^(٤) يتحدث فيه عن أثر احتجاب المجلتين: الرسالة والثقافة، على الحياة الثقافية التى شارك فيها هذا الجيل من المثاليين.

مجلة (الثقافة):

وكانت مجلة «الثقافة» قد توقفت قبل توقف «الرسالة»، بعد ست عشرة سنة من صدورها، وهى من الانجازات الثقافية فى صحافة هذه الفترة، وقد

(١) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٢) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٣) الأهرام فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣.

(٤) مجلة الثقافة ٣ يناير ١٩٣٩.

انفردت بها لجنة التأليف بعد انفصالها عن «الرسالة» فصدرت في ٣ يناير ١٩٣٩ لصاحب امتيازها أحمد أمين «تتقدم للعالم الشرقى مؤمنة بقدرتها بنفسها وبأصدقائها شاعرة بتبعتها مقدرة لواجبها وثقتها بقرائها». وكان طه حسين قد أعيد للجاجة وترك العمل في الصحف السياسية اليومية، واستمر في عمادة كلية الآداب حتى مايو ١٩٣٩، وكان اشتراكه في تحرير «الثقافة» هو العمل الصحفى المنتظم بعد تركه العمل في جريدة «الوادي» اليومية، ليواصل رسالته مع لجنة التأليف الغنية «بأعضائها وتخصصها»، ففيها العالم من كل صنف، وفيها الأديب من كل نوع، وفيها الفنان في كل فن، حصلوا كثيرا من العلم والأدب فأروا من واجبه أن يشركوا في علمهم وأدبهم أكبر عدد ممكن في مختلف الأقطار»^(١).

وفي مجلة «الثقافة» تتحدد الوظيفة النقدية في المقال العربى التى نرى استجابة من رأى العام الأدبي، كما يبين من الأصدقاء المتمثلة في رسائل القراء.

طه حسين ومجلة الكاتب المصرى^(٢)

صدرت مجلة «الكاتب المصرى» في أكتوبر ١٩٤٥ عن دار الكاتب المصرى للطباعة والنشر التى استمرت لمدة ثلاث سنوات حددت خلالها مفهوم الصحافة الأدبية عند رئيس تحريرها: طه حسين في محورين يستقطبان كل أبحاثها هما: العرض والنقد، عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم، ومن خلال هذا الاحتكاك بين العرض والنقد يرسم طه حسين مفهومه للصحيفة الأدبية أو الفكرية العامة، لا غناء الفكر المصرى وتأصيله من خلال التعريف والتصحيح والتقويم في النطاق الفكرى أو، الخلقى على السواء.

(١) مجلة الثقافة ٧ فبراير ١٩٣٩.

(٢) صدرت المجموعة الكاملة لمجلة (الكاتب المصرى) في سلسلة (صحافتنا الأدبية) عن هيئة الكتاب بالقاهرة.

وفى «الكاتب المصرى» بين الأثر الفرنسى فى ثقافة طه حسين والنموذج الذى تمثله للصحافة الفرنسية، والذى ظهرت آثاره من قبل فى صفحات الأدب فى السياسة اليومية والأسبوعية وكوكب الشرق والوادي، ومن نماذج المجلات الفكرية العامة: «المجلة الفرنسية الجديدة» التى كانت تتيح لكتابها معالجة موضوعات أخرى غير الأدب تظهر فيها مقدرتهم التحريرية وتضمنت فنونا أخرى من النقد الموسيقى والفنى^(١)، عنى بها طه حسين فى مجلته، التى كانت على اتصال وثيق كذلك بمجلة «الأزمة الحديثة»^(٢) التى يديرها سارتر، والتى ناقش طه حسين دعوتها إلى الالتزام والمذهب الوجودى فى الأدب والفكر، من خلال الريبورتاج والوثيقة ومقال التحليل الاجتماعى. وقد نشرت «الكاتب المصرى» مقالات لسارتر كان يخصها بها، وكان بعضها ينشر فيها وفى «الأزمة الحديثة» فى وقت واحد^(٣).

وعنى رئيس تحرير «الكاتب المصرى» بالشهریات التى تصل القارئ العربى بالعالم مثل: شهرية السياسة الدولية - من وراء البحار - ظهر حديثا - فى مجلات الشرق - شهرية المسرح والسينما - فى مجلات الغرب - إلى جانب المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية لطه حسين فى هذه المجلة.

من هذه المجلة بين العنصر النفسى للكيان الصحفى فيها، من تسميتها باسم «الكاتب المصرى» لأن هذه المجلة - كما يقول طه حسين - تستمد «برنامجها وخطتها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث، وعن المهمة التى نهضت بها مصر منذ شاركت فى الحضارة الإنسانية العامة»^(٤) ولذلك يتوسل طه حسين بهذه المجلة الفكرية فى تحقيق «صلة ثقافية بأدق معانى هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانيا»^(٥).

(١، ٢) Gactan picon: Panorama de la Nouvelle Litterature Francaise, P. 280.

(٣) الكاتب المصرى اعداد: نوفمبر، أكتوبر، يونيو ١٩٤٧.

(٥، ٤) الكاتب المصرى أكتوبر ١٩٤٥.

فهذه المجلة الفكرية تحدد مفهوم طه حسين للثبات والاستقرار، والنمو والتطور والارتقاء، فى تأصيل الشخصية المصرية وهو المفهوم الذى ذهب بمجلته إلى أن تحررنا أشد الحرص على العناية بهذين المقومين للأدب العربى فتعنى بتقديم هذا لأدب وتدرس تاريخه وتكشف أسرارته وتحبى آثاره. وتعنى بالأدب الحديث الذى يستجبه الممتازون من كتاب الشرق العربى تذييعه وتدرسه وتنقله وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم، وتهينه لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة. ولذلك عنيت «الكاتب المصرى» بالأدب الأجنبية تستغلها إلى القراء بالدرس والنقد والتحليل، واتفقت مع «طائفة من كبار الكتاب العالمين بأن يوافوها بمقالاتهم ودراساتهم بحيث تكتب خصيصا لها، وتشر فى اللغة الغربية قبل نشرها بأى لغة أخرى. وكذلك حاولت «الكاتب المصرى» أن «ترفع الأدب عن هذه الخصومات التى تثيرها منافع الحياة العاجلة بين الناس».

ومن ذلك يبين أن طه حسين فى بيئة المقال الصحفى فى مصر، على الرغم من عمله فى الجامعة لم يقتصر على المشاركة الصحفية أثناء فترات الابتعاد عنها ولكنه ظل يساهم فى البيئة الصحفية عن قرب فى أحيان كثيرة، وعن بعد فى أحيان قليلة، فكتب فى «البلاغ» و«الجهاد» و«المصرى» فى الفترات التى لم يكن يشغل بالصحافة، فلم ينقطع عن الكتابة الصحفية إلا حين أعجزه المرض قبل وفاته بفترة. فهو كما يقول «لا يعفى نفسه من بعض الالتزام إلا ليفرض عليها التزاما آخر. ولا يفرغ من عمل إلا ليدخل فى عمل آخر»^(١).

(١) سامى الكيالى: مرجع سابق ص ١١٦، ١١٧.

القسم الثاني : الملاحق التاريخ الصحفى العربى

المصادر:

١. دائرة المعارف الإسلامية .
٢. د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر .
٣. د. خليل صابات : وسائل الاتصال نشأتها وتطورها .
٤. د. إحسان عسكر : الصحافة العربية فى الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان .

[١]

الصحافة العربية في السودان

بدأ ظهور الصحف الدورية السودانية في النصف الثاني منذ القرن التاسع عشر، وقد صدرت أول جريدة رسمية في السودان باسم: (الغازية السودانية) سنة ١٨٩٩

وصدرت أول جريدة غير رسمية هي (السودان) أصدرها أصحاب «المقطم» في الخرطوم سنة ١٩٠٣ - وكانت تحرر بالعربية والانجليزية وأصبحت بعد ذلك جريدة شبه رسمية، وصدر قبيل الحرب العالمية الأولى صحيفتان أخريان وظهر بعد الحرب عدد قليل من الصحف منها (حضارة السودان) التي ظهر عددها الأول وفي ٢٨ فبراير ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٨ وهي أول صحيفة سودانية شعبية تعبر عن أماني الشعب في الاستقلال والتحرر، ورأس تحريرها حسين شريف.

وفي الثلاثينات نادى الصحف التي تعبر عن الآراء السياسية الوطنية وظهرت مجلات أدبية جديدة، ففي عام ١٩٣١ أصدر عباس أبو الريش مجلة (النهضة السودانية) أدبية، أخلاقية تاريخية، وفي عام ١٩٣٤ صدرت مجلة (الفجر) لصاحبها ورئيس تحريرها عرفات محمد عبدالله وكانت أدبية، فكرية، سياسية، نصف شهرية.

وكتبت في افتتاحية العدد الأول منها أنها تهدف إلى خدمة الآداب والفنون والثقافة العامة ونصرة الأدب العربي وإزالة أسباب التعصب، ولكنها ابتداء من عامها الثاني اهتمت بالأمور السياسية ممثلة للفتنة المستنيرة للمجتمع السوداني، وإلى جانب جزئها العربي كانت تنشر بالانجليزية الأخبار الحكومية وأخبار الأجانب المقيمين في السودان(١).

(١) د. خليل صبايات: نشأة وسائل الإعلام ص ٢٢٧.

وفى سنة ١٩٣٥ صدرت جريدة (النيل اليومية) لتعبر عن سياسة عبدالرحمن المهدي (١٨٨٤ - ١٩٥٩) زعيم حزب الأمة، وفى عام ١٩٤٠ صدرت صحيفة (صوت السودان) وهى ثانى جريدة يومية سودانية: لسان حال اتباع محمد عثمان الميرغنى.

وفى عام ١٩٤٢ أصدر أحمد يوسف هاشم: جريدة (السودان الجديد) يومية سياسية مستقلة.

وفى السودان تصدر صحيفة إقليمية خارج الخرطوم فى أول نوفمبر ١٩٤٥ هى صحيفة (كردفان) فى الأبيض عاصمة إقليم كردفان لصاحبها السيد الفاتح النور^(١)، نصف شهرية ثم تحولت إلى أسبوعية إلى أن تم تأميمها فى أغسطس ١٩٧٠.^(٢)

وصدرت فى الخرطوم مجلة (اللواء) الأسبوعية فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨، صاحب امتيازها حماد توفيق رئيس حزب الاتحاديين.

وفى أول يناير ١٩٥٠ صدر العدد الأول من جريدة (الصرافة) وصدر العدد الأول من جريدة (الجزيرة) فى ٦ مايو ١٩٥٠ تولى رئيس تحريرها سليمان نجيب.

وفى ٦ مايو ١٩٥٢ صدر العدد الأول من جريدة (الطلیعة)، وفى ١٥ يونيو ١٩٥٣ صدر العدد الأول من جريدة (الاتحاد) لتعبر عن الحزب الوطنى الاتحادى^(٣).

وصدر العدد الأول لصحيفة (الأيام) فى ٣ أكتوبر ١٩٥٣ وبعدها بستين تكونت شركة لنشر الصحف والمجلات باسم شركة الأيام للصحافة ليتمد ألت

(١) النور دفع الله لمحمد، دور الصحافة الإقليمية كأحد متطلبات الحكم الإقليمى فى السودان - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٢ ص ٩. د. خليل صابات: المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ص ٨١.

إليها ملكية صحيفة (الأيام). وفي ٢٩ مايو ١٩٥٥ يصدر العدد الأول من جريدة (الاستقلال) لسان حال حزب الاستقلال الجمهورى.

ويعلن الشعب السودانى فى أول يناير ١٩٥٦ السودان جمهورية مستقلة، إلا أن انقلابا عسكريا وقع فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بقيادة ابراهيم عبود فتصدر قرارات بحل الأحزاب السياسية وتعطيل صحفها^(١).

وفى ١٣ يوليو ١٩٦١ تصدر جريدة (الصحافة)، وفى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ تقوم الحركة المعروفة بحركة ٢١ أكتوبر لتعيد الأحزاب وصحفها بعد إسقاط الحكم العسكرى. وبلغ عدد الصحف فى السودان حتى مايو ١٩٦٩ أكثر من عشرين صحيفة بين جريدة ومجلة^(٢).

وفى أغسطس ١٩٧٠ صدر قرار بتأميم الصحافة ووكالات الأنباء^(٣) وكان عدد الصحف اليومية قبل التأميم ٢٢ صحيفة بلغ مجموع توزيعها ١٢٧٠٠٠ نسخة وفى خلال ذلك العام صدرت الصحيفة الإقليمية الثالثة وهى صحيفة Nile Mirror بالإقليم الجنوبى تابعة لوزارة الثقافة والإعلام الإقليمية^(٤)، ولكن تم تحريرها وطبعها فى الخرطوم حتى عام ١٩٧٤ ثم انتقل تحريرها وطبعها إلى جوبا عاصمة الإقليم الجنوبى.

وفى ١٨ أبريل ١٩٧٥ صدر العدد الأول من صحيفة (كردفان) بعد توقفها فى أغسطس ١٩٧٠ بموجب قرار تأميم الصحف السودانى، ولكنها صدرت هذه المرة فى الخرطوم بالحجم النصفى، أسبوعية عن دار الصحافة.

وفى أول فبراير ١٩٨٢ صدرت صحيفة (كردفان) للمرة الثالثة بعد توقفها فى ١٩٧٩، عن دار (الصحافة) بالخرطوم، صحيفة شهرية بحجم الجريدة العادى.

(١) د. خليل صابات: المرجع السابق ٢٩.

(٢) نفسه ص ٢٢٨. (٣) نفسه ص ٢٢٩.

(٤) نفسه ص ٢٣٠.

[٢]

الصحافة في سوريا؛

كانت بلاد الشام في العهد العثماني تكون وحدة سياسية وجغرافية تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى صحراء سينا في الجنوب، ومن البحر المتوسط في الغرب إلى نهر الفرات في الغرب، ولم تلبث أن تفتت هذه الوحدة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بقيام نظام الانتداب (١٩٢٠) فانقسمت بلاد الشام إلى أربعة وحدات سياسية: سوريا، ولبنان، وشرقي الأردن، وفلسطين.

وكانت قد تألفت في سوريا حكومة عربية مستقلة برئاسة الأمير فيصل بن الحسين على أثر دخول كتائب الثورة العربية بقيادته دمشق، كجزء من «الحملة المصرية» بقيادة ألبني الزاحفة على فلسطين وسوريا.

ولكن هذه الدولة (أو الحكومة) العربية لم يكتب لها البقاء طويلاً. ذلك أن هذه الدولة كانت تشمل المناطق الداخلية المعطاة لفرنسا طبقاً لاتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦)، ولما كانت فرنسا مصممة على تنفيذ هذه الاتفاقية فقد فشل فيصل في الحصول على موافقة مؤتمر الصلح في فرساي (فبراير سنة ١٩١٩) على إنشاء الاتحاد أو الحلف العربي الذي جاء ذكره في مراسلات الحسين - مكماهون^(١).

وفي أبريل سنة ١٩٢٠ عقد مؤتمر سان ريمو، وقرر وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، فزحفت القوات الفرنسية - بناء على أوامر الجنرال «غورو» Gouraud الذي عين منذ أكتوبر سنة ١٩١٩ قائداً عاماً للقوات الفرنسية ومندوباً سامياً لسوريا ولبنان - على دمشق ولكن الشعب العربي في سوريا تصدى لقتالهم بقيادة وزير الدفاع يوسف العظمة: وحدثت «معركة

(١) د. محمد أنيس، ود. السيد رجب حراز (المجتمع العربي) ص ١١٣.

ميسلون، بالقرب من دمشق في ٢٤ يوليو، وفي هذه المعركة خسر يوسف العظمة صريعاً، ودخلت القوات الفرنسية دمشق في اليوم التالي (٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠)، أما فيصل فغادر دمشق في ٢٨ يوليو، ليتولى فيما بعد عرش العراق، كما سبق أن ذكرنا.

وبدخول الفرنسيين دمشق انتهى عهد حكومة فيصل العربية في سوريا وبدأ عهد الانتداب والاحتلال، ولم تمض ستة أسابيع على مغادرة فيصل دمشق، حتى بدأ الفرنسيون تنفيذ خطة استعمارية تستهدف تقسيم البلاد السورية وتجزئتها، فأصدر «غورو» في أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ قراراً بتجزئة منطقة الانتداب الفرنسي إلى أربعة دويلات منفصلة:

(١) لبنان الكبير، بعد أن وسعت مساحة لبنان الأصيل فأضيفت إليه بيروت وطرابلس وصور وصيدا، والأراضي الممتدة إلى الحدود الفلسطينية.

(٢) ودولة دمشق بما فيها جبل الدروز.

(٣) دولة حلب ويدخل فيها لواء الإسكندرون.

(٤) ثم دولة (مقاطعة) العلويين وتشمل لواء اللاذقية وجدير بالذكر أن هذا التقسيم لم يظل نهائياً، بل أدخلت عليه تغييرات متعددة^(١).

كان لسياسة التقسيم والتجزئة هذه، واتباع الفرنسيين لسياسة «فرق تسد» بين أبناء الشعب العربي في سوريا، وهي السياسة التي درجوا على اتباعها منذ أن خلص لهم الانتداب على سوريا. كان لهذه السياسة أكبر الأثر في إثارة الوطنيين السوريين واللبنانيين على الحكم الفرنسي، فأخذوا بتقذونه انتقاداً مرا ويطالبون باستقلال بلادهم ووحدةها.

وفي سنة ١٩٢٥ ثارت سوريا على الحكم الفرنسي ثورتها الباسلة التي استمرت سنتين، وهدمت فيها قرى كثيرة، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين، أولاهما كانت في مايو سنة ١٩٢٥ والثانية في أكتوبر ١٩٢٦، حينما

(١) نفس المرجع ص ١١٤.

حدث ذلك التهمت مشاعر العرب، ومجد شعراؤهم بطولات المجاهدين، وبكوا دمشق، ورثوا شهداءها.

وتسجل الصحافة المصرية أن المصريين قد نظموا مؤتمرا استنكروا فيه عدوان فرنسا ووحشيتها، وألقيت فيه قصيدة لشوقي^(١)، نشرت في الصحف، حيا فيها دمشق، وجزع مما أصابها، ومجد ماضيها وحاضرها، وحزن لما أحدثه الفرنسيون بآثارها الخالدة، واستنكر وحشيتهم، وحمل عليهم، وندد بهم، لأنهم تنكروا لأصول ثورتهم التي زعموا أنها كانت أول هتاف بالحرية والإخاء والمساواة، وندد بطيش القائد الفرنسي، لأنه قائد غاشم، كان حربا على فرنسا بما جنى، وبما جر عليها من سبة وسوء سمعة، وأنذر فرنسا بأن السوريين لا بد أن ينالوا حربتهم، وبأن وحشيتها غذاء لحماستهم، لأن شهداء الجهاد خالدون، وذكرهم تورث النضال.

وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد، ونصحهم أن يحذروا خداع فرنسا، لأنها تحاول أن تصرفهم عن الاستقلال بأوهام خداعة، كالدولة السورية، ولبنان الكبير ودولة جبل الدروز، وحكومة العلوين، وبالألقاب توهم بالملك والسيادة وهي في حقيقتها ذل واستعباد^(٢)، وصور لهم الحرية حصنا لا يقرع بابه إلا المجاهدون المصبوغة أيديهم بدماء الجهاد.

ولقد استفزت القصيدة فرنسا، فمنعت شوقي أن يزور بلاد المغرب التي كانت خاضعة لها حيثئذ:

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| سلامٌ من صبا بردى أرقُ | ودمعٌ لا يكفكفُ يا دمشقُ |
| ومعذرة اليراعة والقوافي | جلال الرزء عن وصف يدقُ |
| وذكرى عن خواطرها لقلبي | إليك تلفت أبدا وخفق |

(١) د. أحمد الحوفي: القومية العربية في الشعر الحديث ص ١٧١.

(٢) عمدت فرنسا إلى الجزء الداخلي قسمته في سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ إلى أربع دول منفصلة هي: دولة دمشق ودولة حلب ودولة جبل العلوين ودولة جبل الدروز، فلما اعترضت عصبة الأمم على إيجاد دولتين اسمهما جبل الدروز وجبل العلوين جعلهما الفرنسيون حكومتين مستقلتين داخليا ضمن الدولة السورية. د. أحمد الحوفي/ السابق ص ١٧٢.

وبى مما رمتك به الليالى
لحاهها الله أنباء توالى
تكاد لروعة الأحداث فيها
وقيل معالم التاريخ هددت
ألست دمشق للإسلام ظمرا
صلاح الدين تاجك لم يجمّل
وكل حضارة فى الأرض طالت
بنيت الدولة الكبرى وملكها
له بالشام أعلام وعرس
سكبي من راع غيدك بعد وهن
وللمستعمرين وإن ألانوا
رماك بطيشه ورمى فرنسا
إذا جاءه طلاب حق
دم الشوار تعرفه فرنسا
وحررت الشعوب على قناها
بنى سورية أطرحوا الأمانى
فمن خدع السياسة أن تغرّوا
وقفتهم بين موت أو حياة
وللاوطان فى دم كل خير
ولا يبنى الممالك كالضحايا
ففى القتل لآجيال حياة

جراحات لها فى القلب عمق
على سمع الولي بما يشق
تخال من الخرافة وهى صدق
وقيل أصابها تلف وحرّق
ومرضعة الأبوّة لا تُعقّ
ولم يؤسم بأزبن منه فرق
لها من سرحك العلوى عرق^(١)
غبار حضارتيه لا يشق
بشائره بأندلس تدقّ
أبين فؤاده والصخر فرق^(٢)
قلوب كالخجارة لا ترقّ
أخو حرب به صلف وحمق^(٣)
يقول: عصابة خرجوا وشقوا^(٤)
وتعلم أنه نور وحق
فكيف على قناها تُسرق؟
والقوا عنكم الأحلام ألقوا
بالقصاب الإمارة وهى رق
فإن رمت نعيم الدهر فاشقوا
يد سلفت ودين مستحق
ولا يُدنى الحقوق ولا يحق
وفى الأسرى فدى لهم وعق

(١) السرح: جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة.

(٢) لوهم: نصف الليل، وقد استمر ضرب دمشق ستا وخمسين ساعة متوالية.

(٣) الصلف: الكبر، المراد بأخى الحرب الجنرال سرائى

(٤) شقوا: كان السوريون يذهبون إلى القائد يطلبون منه أن يكف عن ضرب دمشق بالمدافع فيقول إنه

يضرب العصاة الخارجين على طاعته.

وفيها قول شوقي:

وللحرية الحمراء بابٌ بكلِّ يدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
ولما ضربها الفرنسيون ثانية في مايو سنة ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية،
بكاهها الشعراء، مثل قول علي الجندى^(١) في السخرية بمؤتمر السلام حيثئذ،
والدعوة إلى التسلح وحماية الحق بالقوة^(٢):

| | |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| تجمعتُم من كلِّ جنس وأمة | ولون لحفظ السَّلم، هل حُفَظ السَّلم؟ |
| وهل رفع الحق الذليل جبينه | وهل نحن بتنا لا يُروِّعنا الظلم؟ |
| وإلا فما بال الشَّام دماؤه | تسيلُ وأنتم عن مناحته صُمُّ |
| ويطلب ديجولُ تراثَ أُمِّيَّة | وكيس له في الشَّام خالٌ ولا عمُّ |
| سمعنا كلاماً لذَّ في السَّمع وقَعه | ورُبَّ لذيذ شاب لذته السُّم |
| إذا ساءت النِّيَّاتُ كانت عهودكم | قُصاصاتِ أوراقٍ للغالب الحُكم |
| هى الحال ما زالت على ما عهدته | فويلٌ لأقوامٍ يَغُرُّهم الوهم |
| ألا كلُّ شعب ضائع حقُّه سُدَى | إذا لم يُؤَيِّد حَقَّه المدفع الضخم |

والواقع أن الأحوال العامة في سوريا ظلت في اضطراب وقلق حتى قيام الحرب العالمية الثانية، ولما انهارت فرنسا وتولت حكومة فيشى الحكم، وهى الحكومة التى وقعت الهدنة مع الألمان ثم مع الطليان، كادت سوريا ولبنان تخضعان للسيطرة الألمانية، لأن المفوض السامى لفرنسا فى سوريا ولبنان (الجنرال دنتر) أعلن ولاءه لحكومة فيشى. غير أن قوات بريطانية وأخرى فرنسية (من قوات فرنسا الحرة التى كانت برياسة ديجول ومركزها شمال إفريقيا) استطاعت فى صيف سنة ١٩٤١ دخول سوريا واحتلالها إحتلالاً

(١) من مصر.

(٢) د. أحمد الحوفى: السابق.

مشاركاً، وفى ٨ يونيو، أعلن الجنرال كاترو ممثل فرنسا، باسم حكومة فرنسا الحرة، إنهاء الانتداب واستقلال سوريا ولبنان، وفى سبتمبر من نفس العام، أعلن كاترو قيام الجمهورية السورية المستقلة^(١).

وبالرغم من قيام حكومتين وطنيتين فى كل من سوريا ولبنان، فقد تلكأ الفرنسيون فى تسليمهما السلطات الفعلية، وكل ما من شأنه أن يجعل سيادتهما حقيقية، وصار الفرنسيون يسعون لفرض معاهدة على سوريا ولبنان تربطهما بالنفوذ الفرنسى ربطاً أبدياً، بل حاولوا حمل الشعب السورى بالقوة على قبول هذه المعاهدة، ولكن الشعب فى سوريا رفضها رفضاً باتاً، فأطلقت القوات مدافعها على المدن السورية الرئيسية (دمشق وحمص وحماء) وقذفتها بقنابل طائراتها، كما قصفت أيضاً ببيروت مدافعها دار المجلس النيابى فى دمشق، غير أن القوات البريطانية ما لبثت أن تدخلت (بناء على تعليمات تشرشل رئيس الوزارة البريطانية) ووضعت حداً لحماقات الفرنسيين.

ومع ذلك، فقد ظل الاحتلال الفرنسى جاثماً فوق صدر سوريا ولبنان، ولذلك رأت الحكومتان الوطنيتان السورية واللبنانية أن تعوضاً قضية بلادهما على هيئة الأمم المتحدة بجلاء القوات الأجنبية عن أرضيهما جلاء تاماً. ودافعت الدولتان فى يناير سنة ١٩٤٦ أمام الأمم المتحدة عن حقوقهما دفاعاً قوياً، مما اضطر بريطانيا أن تعلن استعدادها لسحب قواتها، واقتدت فرنسا بها، فتم جلاء القوات الانجليزية والفرنسية عن سوريا فى أبريل سنة ١٩٤٦، وعن لبنان فى ديسمبر من نفس هذا العام (١٩٤٦).

وعندما نشبت حرب فلسطين بين الدول العربية؛ وإسرائيل، فى مايو سنة ١٩٤٨، خاض غمارها الجيشان السورى واللبنانى مع بقية الجيوش العربية ضد اليهود. وقد كان الاخفاق فى هذه الحرب من الأسباب المباشرة لحدوث انقلاب فى سوريا فى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٩ على يدى حسنى الزعيم رئيس أركان

(١) نفس المرجع ص ١١٥.

حرب الجيش، غير أن حكم حسنى الزعيم لم يطل أمده، وأخذت الانقلابات العسكرية تتوالى فى سوريا، مما عرض البلاد لهزات عنيفة، وانتاب الشعب العربى فى سوريا شعور بالقلق والخوف على بلاده وسط جو مشبع بالأطماع والأخطار الخارجية، ولم يطمئن هذا الشعب على مستقبله وحرية إلا باتحاد مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨) (١).

نشأة الصحافة وتطورها فى سوريا

فى سنة ١٨٦٥ كانت قد صدرت فى دمشق صحيفة (سورية) رسمية باللغتين العربية والتركية.

وفى حلب صدرت صحيفة (تحرير الفرات) رسمية — كما تقدم بالعربية والتركية، وكان إنشاء هاتين الصحيفتين مقترنا بإعادة تنظيم الإدارة التركية، ومن الأمثلة الأخرى التى يصح ذكرها جريدة «دمشق» التى أنشأتها الحكومة التركية سنة ١٨٧٩، و«مرآة الأخلاق» التى صدرت سنة ١٨٨٦، وظهرت صحيفة «الشام» الأسبوعية السياسية المستقلة فى دمشق سنة ١٨٩٦، على حين نشرت فى حلب جريدة «الشهباء» وهى صحيفة أسبوعية، اعتباراً من سنة ١٨٩٣، و«الاتحاد» من سنة ١٨٧٩، وفى طرابلس ظهرت جريدة «طرابلس الشام»، وهى صحيفة أسبوعية، اعتباراً من سنة ١٨٩٢ (٢).

وتعتبر «الشهباء» أول صحيفة سورية شعبية أنشأها المفكر العربى عبدالرحمن الكواكبي.

على أن الصحافة فى سوريا، شأنها شأن الصحافة فى لبنان، كانت تحيا حياة خطيرة، ويرجع ذلك إلى أن الحكومة كانت تعالج أى نقد مستقل لتصرفاتها بقسوة بالغة، ومن ثم نجد أن كثيراً من الصحفيين السوريين واللبنانيين لجأوا إلى مصر (٣)، وبعد قيام الانتداب الفرنسى نمت صحافة دمشق نمواً واسع النطاق جداً، وظهر عدد كبير من الصحف، ولكن أرقام التوزيع كانت فى معظم الحالات فى مستوى منخفض، وفى سنة ١٩٣٩ وحدها ظهرت ٩ صحف عربية

(١) نفس المرجع ص ١١٦.. (٢) دار المعارف الإسلامية ص ٨٧..

(٣) نفس المرجع ص ٨٧.

يومية، وصحيفتان فرنسيتان يوميتان، إلى جانب عدد متفاوت من المجلات الدورية، ومن الواضح أن هذا العدد أكثر مما يجب، لأن عددا بهذا الحجم لم تكن تبرره بحال؛ الظروف نفسها التي كانت تسود بيروت، ومع ذلك فقد زاد هذا العدد فعلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد سجل فى سنة ١٩٤٦ وجود ١٩ صحيفة يومية فى دمشق و٧ فى حلب وصحيفة واحدة فى حماه، وكذلك ثلاث مجلات دورية فى دمشق Cahiers de l'Orient Contemporain، ومن عهد الانتداب لم يبق من هذه الصحف سنة ١٩٥٦ إلا صحيفتا «ألف باء» (سنة ١٩٢٠) و«الأيام» (سنة ١٩٣١) وكلتاها معتدلتان، و«القبس» (سنة ١٩٢٨) و«الأخبار» (١٩٢٨) و«الإنشاء» (سنة ١٩٣٦).

وكانت صحيفة «المقتبس» لمحمد كرد علي قد صدرت فى دمشق عام ١٩٠٨، وصدرت فى حلب فى تلك السنة (حلب الشهباء) لمنشئها محمد نافع طلس، و(صدى الشهباء) لحكمت ناظم وكامل الغزى و(التقدم) لشكرى كنيذر، وفى سنة ١٩٠٩ صدرت فى دمشق صحيفة (العصر الجديد) جريدة سياسية تجارية علمية صاحبها ناصيف أبوزيد، و(الشرق) التى أصدرها عارف النكدي وحبيب برهوم. أما فى حلب فصدر عام ١٩٠٩ (الخطيب) للشيخ إبراهيم المؤذن و(الشعب) لليون حمصى وفتح الله قسطون. أما فى حلب فقد صدرت عام ١٩١٠ صحيفة (كشكول) لفتاح عمرى، و(الأهالى) لمانوئيل وعاصم، و(لسان الأهالى) لأرداشيس بوغيكيان، و(الإعلان) لفتح الله قسطون^(١). وفى عام ١٩١١ صدر فى حلب تسع صحف، ومن الصحف التى صدرت فى دمشق عام ١٩١٢ جريدة (الاشتراكية) لحلمى فتىاني^(٢)، و(الوفاق) جريدة سياسية أدبية أصدرها بدمشق حبيب إلياس زحلاوى.

(١) رياض عبدالله حلاق، الصحافة فى حلب من عام ١٨٦٧ إلى عام ١٩٨٧، مجلة (دنيا العرب) العدد ٥٧.

د. خليل صابات: السابق ص ٢٥٨.

(٢) سامى عزيز، الصحافة العربية والحركة الوطنية، مجلة الدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير، العدد ١٧، يناير - مارس ١٩٧٩، ص ٦٠

وفي يناير ١٩١٩ صدرت في دمشق مجلة (العلم العربي) وفي السنة نفسها صدرت جريدة (المفيد) سياسية وجريدة (العقاب) ومجلة (المجلة) وجريدة (الفجر) وجريدة (العلم)، وفي يناير ١٩٢٠ صدر بدمشق أيضا مجلة «نور الفصحاء» مجلة نسائية شهرية صاحبها نازك العابد، كما أصدر محمد الأنسي جريدة (الحق) في مارس ١٩٢٠^(١).

وأصدرت الحكومة صحيفة (حلب) الرسمية في ديسمبر ١٩١٨، أما في سنة ١٩١٩ فقد صدر في حلب ست صحف تذكر منها (حقوق البشر) لعبد الحميد الجابري و(المصباح) لعبد الحميد وعبدود الكيالي و(البريد السوري) لفاضل شكرى أسود.

وفي فترة ما بين الحربين صدر في سوريا صحف: (الأمة) سنة ١٩٢٠ و(الامال) سنة ١٩٢١ في حلب وجريدة (العمران) وجريدة (الأنوار) بدمشق عام ١٩٢٢.

وفي سنة ١٩٢٣ صدرت في حلب جريدة (الترقى السوري)، وفي سنة ١٩٢٤ صدرت في دمشق جريدة (بريد الشرق) وفي حلب صحيفة (الكلمة) وفي عام ١٩٢٥ صدرت مجلة (النور) في اللاذقية وصحيفتا (الوقت) و(الميثاق) في حلب، وفي عام ١٩٢٦ صدرت في حلب (الميثاق) و(الموسع) و(الاتحاد)، وفي عام ١٩٢٧ صدرت جريدة (الشعب) في دمشق و(على كيفك) بحلب، وفي عام ١٩٢٨ صدرت مجلة (المضحك المبكى) كاريكاتورية ساخرة في دمشق، و(التاج) و(السلام) و(الأهالي) في حلب. وفي عام ١٩٣١ صدرت جريدة (الأيام) في دمشق^(٢).

وفي عام ١٩٤٧ صدرت صحيفة (البعث) لسان حال حزب البعث العربي الاشتراكي، وشعارها «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة».

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٥٩.

(٢) نفسه ص ٢٦٠.

[٣]

الصحافة في لبنان؛

صدرت صحيفة «حديقة الأخبار» في بيروت أول يناير ١٨٥٨، لصاحبها خليل الخوري، وبعد سنتين من صدورها جاء إلى سوريا «فؤاد باشا» مندوبا عن السلطان لتسوية أمورها، فاقترح على خليل الخوري أن يجعل جريدته شبه رسمية، في مقابل راتب شهري تدفعه له الحكومة العثمانية، وبقيت «حديقة الأخبار» تؤدي هذه المهمة، حتى ظهرت في الوجود صحيفة رسمية باسم «سورية»، وبقيت «حديقة الأخبار» صحيفة رسمية خاصة بلبنان، واستمرت على ذلك حتى عام ١٩٠٧.

وفي بيروت صدرت جريدة «نفير سورية»، للمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٠، ولم تخرج هذه الصحيفة الأخيرة عن نشرات أدبية، بث فيها البستاني روح الوطنية، وذلك على أثر الفتن الأهلية التي قامت في تلك السنة.

ثم في عام ١٨٦٣ أصدر الدكتور فاندليك ما سماه «بالنشرة الشهرية»، ثم في سنة ١٨٧٠ ظهرت عدة جرائد عربية منها:

«الزهرة» ليوسف الشلفون.

و«البشير» للآباء اليسوعيين.

و«الجنة» لبطرس البستاني.

و«كوكب الصبح المنير» للمرسلين الأمريكيين.

و«النجاح» للويس الصابونجي ويوسف الشلفون

ثم في سنة ١٨٧٤ صدرت جريدة هامة، كان يكتب فيها الصحفي المعروف أديب إسحاق وهي جريدة «التقدم» وظهرت جريدة «ثمرات الفنون»، وهي

أول جريدة إسلامية فى بيروت، ولدت عام ١٨٧٥، وكان يكتب فيها الشيخ محمد عبده فى مرحلة من مراحل حياته الصحفية.

وفى أول مايو ١٨٧٦ أصدر يعقوب صروف وفارس نمر فى بيروت العدد الأول من مجلة (المقتطف) شهرية علمية أدبية.

وأصدر خليل سركيس فى سنة ١٨٧٧ جريدة (لسان الحال).

ومن المجلات التى صدرت فى بيروت كذلك:

مجلة «الجنان» للمعلم بطرس البستاني سنة ١٨٧٠، ثم مجلة «النحلة» أصدرها لويس الصابونجي سنة ١٨٧٠.

ويتضح مفهوم «الوحدة» بقوة فى الصحافة العربية من موقف الكتاب والشعراء من أحداث الحرب فى طرابلس بين العرب والإيطاليين حين ضرب الأسطول الإيطالى بيروت سنة ١٩١٢، فضج العرب، وثار الشعراء، وقال شوقى قصيدة^(١)، بكى فيها بيروت، وحمل على إيطاليا، وصور العرب الذين قتلهم القنابل أسوداً ماتوا غدرأ فى غير معركة، فليس لإيطاليا أن تباهى بقتلهم، لأن صيد الليث الطليق صيد عسير مرهوب.

وحزن شوقى على دماء الأبطال التى سفكها الأعداء، وصور لإثارة العرب هذه الدماء تسيل حول المساجد معابد المسلمين، وحول الكنائس معابد النصارى، وحول المدارس دور العلم لهؤلاء وهؤلاء، ولكن القافية اضطرتة إلى تصويرها تسيل أيضاً حول البنوك.

وتمنى لو أن العمر امتد بأصحابها ليزودوا عن حماهم، ويثاروا من عدوهم، ثم صور أسى المصريين مما نزل بإخوتهم ممثلاً فى الدمع السخين الذى لو استطاعوا أن يغسلوا به جراح لبنان لفعلوا:

(١) د. أحمد الحوفى / السابق ص ١٧.

بيروت مات الأسدُ حَتَفَ أنوفهم لم يَشْهَرُوا سيفاً ولم يحموك
سبعون ليثاً أحرِقُوا أو أغرقوا يا ليتهم قُتِلوا على (طبروك)
وعند صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨ زاد عدد الصحف اللبنانية، من
بينها (البرق) التي أنشأها بشارة الخوري في بيروت.

وتوقفت أغلب الصحف في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى بسبب
الأحكام العرفية، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى احتل الفرنسيون البلاد
تحت ستار الانتداب^(١).

وفي سنة ١٩٢٦ أعلن لبنان جمهورية وصدر في فترة ما بين الحربين عدد
من الصحف منها صحيفة (النهار) اليومية السياسية التي أسسها عام ١٩٣٣
جبران تويني. وأصدر ميشيل شيمام عام ١٩٣٤ صحيفة (لوچور) Le Jour
اليومية السياسية باللغة الفرنسية ورأس تحريرها لفترة شارل حلو الذي أصبح
فيما بعد رئيساً للجمهورية اللبنانية.

وفي عام ١٩٣٩ أصدرت الكتائب اللبنانية صحيفة (العمل) يومية –
سياسية وأعلن استقلال لبنان عام ١٩٤٣.

وصدرت جريدة (الديار) عام ١٩٤٥^(٢)، وجريدة (الحياة) اليومية، أسسها
الشيخ فؤاد حبش وانتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى كامل مروة.

وأصدر عبدالله المشنوق صحيفة (بيروت المساء) في سنة ١٩٤٦ سياسية –
أسبوعية في أول الأمر ثم يومية^(٣).

ومن المجلات التي صدرت في لبنان مجلة: (الحوادث) الأسبوعية السياسية

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٤٠.

(٢) أديب مروة، مهنة للتاعب، منشورات عويدات، بيروت ١٩٧٠، ص ١٨.

(٣) أديب مروة، الصحافة العربية، نشأتها وتطورها، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٦٦،

المصورة حيث اشترى سليم اللوزي امتيازها من أصحابها الذين كانوا يصدرونها في طرابلس، ونقلها إلى بيروت سنة ١٩٥٥^(١).

وصدر عن (دار الصياد) في أواخر السنة نفسها جريدة (الأنوار) يومية سياسية^(٢).

وصدرت مجلة (الحرية) في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر عام ١٩٥٩، لتكون لسان حال «حركة القوميين العرب» بديلا عن مجلة (الرأي) التي كانت تعبر عن الحركة منذ تأسيسها عام ١٩٥٣^(٣).

وتصدر جريدة (النهار) في ١٩٦٣ ملحقها الأسبوعي في وسط موجة من التغيرات المهنية والاجتماعية والثقافية^(٤).

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٤٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٤٥.

(٣) نفسه ص ٢٤٥.

(٤) أدوار بستاني، قضايا فكرية في ملحق النهار، بيروت، النهار في فبراير ١٩٨٦.

[٤]

الصحافة في الأردن؛

كانت الأراضي التي تتألف منها إمارة شرقى الأردن فى العهد العثمانى ، وقبل الحرب العالمية الأولى، تكون «مصرفية الكرك» ، وكانت بذلك جزءا من ولاية الشام (دمشق) التى كان يحدها نهر الأردن من الغرب، وتمتد من حماة إلى العقبة، فى حين كانت فلسطين من الأراضي الواقعة إلى الغرب من نهر الأردن.

وتألفت حكومة (أو دولة) عربية مستقلة برئاسة فيصل عقب دخول كتائب الثورة العربية دمشق كجزء من قوات الجنرال آللبنى. وكانت الحكومة الفيصلية أو الدولة العربية المستقلة فى سوريا تشمل جميع البلاد السورية (أو ولاية الشام القديمة) ومنها شرقى الأردن. وقد ظل شرقى الأردن جزءاً من الحكومة الفيصلية إلى وقت سقوطها فى يوليو سنة ١٩٢٠ (١).

وبعد هزيمة الأتراك فى الحرب العالمية الأولى، قرر مؤتمر سان ريمو (أبريل ١٩٢٠) تقسيم ولاية الشام القديمة إلى سوريا ولبنان وفلسطين (بما فيها شرقى الأردن)، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى وفلسطين (وشرقى الأردن) تحت الانتداب البريطانى.

وحدث فى شهر فبراير سنة ١٩٢١ - أى قبل سقوط حكومة فيصل فى دمشق - أن استطاع الأمير عبدالله (الابن الثانى للشريف حسين) أن يدخل شرق الأردن من ناحية الحجاز مع قوة صغيرة من الحجازيين .

وفى ٢٤ مايو سنة ١٩٢٣ اعترف السير هيربرت صمويل مندوب بريطانيا

(١) د. محمد أنيس، والسيد رجب حراز: السابق ص ١٢١.

السامى فى فلسطين - بناء على رغبة الحكومة الانجليزية - بوجود حكومة مستقلة فى شرقى الأردن برئاسة صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، عقدت بين الحكومة الانجليزية وإمارة شرقى الأردن معاهدة فى ٢٢ مارس ١٩٤٦، اعترفت بمقتضاها باستقلال شرقى الأردن وبالأمر عبدالله عاهلاً، وبعد إبرام هذه المعاهدة أعلن الأمير عبدالله فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٦ ملكاً على شرق الأردن .

وأول صحيفة عرفها الأردن هى صحيفة (الحق يعلو)، صدرت فى مدينة معان جنوب الأردن سنة ١٩٢٠، وأول صحيفة مطبوعة هى صحيفة (الشرق العربى) الرسمية التى صدرت فى عمان عام ١٩٢٣ . وفى السنة نفسها انتقلت جريدة (الأردن) من حيفا بفلسطين إلى عمان عام ١٩٢٧ حيث صدرت أسبوعية حتى عام ١٩٤٩، وأصبحت يومية بعد ذلك، وتأسست فى عمان سنة ١٩٢٧ صحيفة (جزيرة العرب)^(١) وأخذ عدد الصحف يزداد بعد ذلك^(٢) .

وفى الثلاثينيات صدرت صحيفة (الوفاء) فى عمان سياسية أسبوعية فى ٢١ أبريل ١٩٣٨ ولم تتوقف عن الصدور إلا فى ١٩٤٧، أى قبل حرب فلسطين بسنة، وإلى جانب هذه الصحيفة صدرت صحف ومجلات أخرى .

وفى الأربعينيات صدرت مجلة (الرائد) الأسبوعية السياسية الأدبية الاجتماعية فى يونيو ١٩٤٥، كما صدرت فى ٥ يناير ١٩٤٧ جريدة (الجهاد) سياسية أدبية اجتماعية مصورة، لسان حال حزب النهضة العربية، وصدرت جريدة (النسر) فى ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ أسبوعية ثم تحولت إلى يومية وعاشت حتى ١٩٥٠^(٣) .

(١) نفس المرجع ص ١٢٢ .

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٢٦٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٦٨ .

وبعد قيام دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ انتقلت بعض الصحف الفلسطينية من يافا إلى القدس وعمان.

وفي الخمسينيات صدر عدد من الصحف والمجلات منها مجلة (فتاة الغد) النسائية التي صدرت في يونيو ١٩٥٠، ومجلة (حول العالم) الأسبوعية السياسية عام ١٩٥٠.

وفي بداية ١٩٥١ صدرت في عمان مجلة متخصصة هي (المجلة الطبية الأردنية) باللغتين العربية والانجليزية، كانت في أول عهدها تصدر مرة كل شهرين ثم تحولت إلى نصف سنوية، ومجلة (صوت الضمير) التي كانت تطبع علي طريقة برايل للمكفوفين، عاشت أربع سنوات من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦^(١).
وصدرت في القدس عام ١٩٥٣ (الجهاد) جريدة يومية سياسية مصورة، ولكنها اضطرت إلى التوقف بعد حرب يونيو ١٩٦٧^(٢).

وفي أغسطس ١٩٥٦ صدرت في عمان مجلة (هدى الإسلام) علمية أدبية إصلاحية، عن وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، أشرف على تحريرها الشيخ عز الدين الخطيب التميمي، وأصدرت وزارة التربية في يناير ١٩٥٦ مجلة (رسالة المعلم) تربوية، ثقافية، فصلية، وفي عام ١٩٥٨ صدرت (مجلة الشريعة) علمية دينية مدرسية شهرية^(٣).

ويصدر في الأردن صحيفتان يوميتان هما (الدستور) و(الأردن).

وفي ٢ يونيو ١٩٧١ صدرت صحيفة (الرأي) يومية في عشر صفحات عن المؤسسة الصحفية الأردنية^(٤).

وتعود (أخبار الأسبوع) و(الصباح) الأسبوعيتان إلى الصدور في ٥ مارس

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٧.

(٢) نفسه ص ٢٧٠. (٣) نفسه ص ٢٧٠.

(٤) نفسه ص ٢٧١.

١٩٧٢، وبعد ذلك بنصف شهر يصدر العدد الأول من صحيفة (الواء) الأسبوعية، وهي جريدة سياسية مستقلة.

وفي سنة ١٩٧٥ صدرت جريدة (الأخبار) ولكنها توقفت بعد صدورها بشهرين، ونقل امتيازها للشركة العربية للصحافة المساهمة المحدودة، وفي السنة نفسها صدرت صحيفة (جوردان تايمز) Jourdan Times يومية باللغة الانجليزية عن المؤسسة الصحفية الأردنية^(١).

وفي عام ١٩٨٢ صدرت مجلة (الأفق الاقتصادي) ولكنها أوقفت في العام نفسه كما صدرت في السنة نفسها جريدة (الجيروزليم ستار) Jerusalem Star أسبوعية باللغة الانجليزية.

وعن جريدة (صوت الشعب) اليومية في عمان صدر العدد الأول لصحيفة مسائية في ٣١ يوليو ١٩٨٩، رئيس تحريرها سلطان الخطاب^(٢).

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٧٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣.

[٥]

الصحافة في فلسطين؛

كانت فلسطين قبل سنة ١٩١٤ تتألف في العهد العثماني من ثلاثة سناجق (أو متصرفيات)، منها متصرفيتا عكا ونابلس وهما تابعتان لولاية بيروت، ثم سنجق (متصرفية) القدس، وتضم جنوب فلسطين، وهي متصرفية مستقلة تتبع الآستانة مباشرة، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استولت حملة ألباني على فلسطين، فسقطت غزة المدخل الجنوبي لفلسطين في ٧ نوفمبر ١٩١٧، وسلمت بيت المقدس في ٩ ديسمبر من السنة نفسها^(١).

وتأسست إدارة حرية في فلسطين، بوصفها جزءاً من أراضي العدو المحتلة استمرت من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٠. وقد أعطى مؤتمر سان ريمو (ابريل ١٩٢٠) لبريطانيا حق الانتداب على فلسطين، فحلت في أول يوليو ١٩٢٠ حكومة مدنية محل الإدارة العسكرية.

وفي ٤ يوليو سنة ١٩٢٢ اتخذت عصبة الأمم بجنيف قراراً بوضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا، مع استصدار (صك الانتداب) في التاريخ نفسه، وقد نصت المادة الثانية من صك الانتداب على أن «الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي، وترقية أنظمة الحكم الذاتي، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين». فيكون صك الانتداب قد أدمج في صلبه تعهد بريطانيا بإنشاء الوطن القومي اليهودي - والذي أتى في تصريح بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧، كما جاء في صك الانتداب، تنفيذاً لهذا الوعد، بيان الخطوات المؤدية لتحقيقه، فنصت المادة الرابعة على الاعتراف

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: السابق، ١٢٣.

«وكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية تشير وتعاون في إدارة فلسطين، في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين، وتساعد وتشارك في ترقية البلاد، ولكن تحت سيطرة إدارتها (أو حكومتها - حكومة الانتداب) دائما». وفي هذه المادة صار الاعتراف بالجمعية الصهيونية بأنها «الوكالة المنصوص عليها فيما تقدم». ومن المعروف أن الجمعية الصهيونية تعاونت مع الحكومة الانجليزية في وضع نصوص صك الانتداب منذ فبراير سنة ١٩١٩، أي قبل تقرير الانتداب بمدة طويلة^(١).

كذلك كفلت المادة السادسة تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وتوطنهم في الأراضي بما في ذلك الأراضي البور، وأراضي الحكومة غير المطلوبة للأعمال العامة. وطلبت المادة السابعة من الدولة المتدبة «أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم علي الرعية الفلسطينية». ونصت المادة الثانية والعشرين على جعل العبرية (إلى جانب الإنجليزية والعربية) لغة رسمية في البلاد^(٢).

ومع أن «صك الانتداب» وضع موضع التنفيذ رسميا في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣، فإن الاضطرابات كانت قد قامت في فلسطين منذ شهر أبريل سنة ١٩٢٠ أي قبل إصدار صك الانتداب نفسه وبرزت إلى الوجود مشكلة فلسطين على أساس أن الزعماء العرب رفضوا من البداية الاعتراف بشرعية الانتداب، وبحق بريطانيا في تنفيذ وعد بلفور لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وعلى أساس أنهم بقوا متمسكين باستقلال فلسطين العربية دائما.

وكان هذا التعارض بين أغراض الانتداب، ومطالب العرب المشروعة منشأ كل الاضطرابات التي وصمت عهد الانتداب البريطاني في البلاد، وفشلت كل

(١) نفسه ص ١٢٤.

(٢) نفسه ص ١٢٤.

المحاولات التي بذلت دون جدوى لتسوية المسألة الفلسطينية، حتى وقت قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩)، ثم بعد ذلك إلى وقت انتهاء الانتداب البريطاني أخيراً (في مايو سنة ١٩٤٨) ودخول الجيوش العربية فلسطين، ونشوب المعارك الدموية بينها وبين اليهود.

وقد كان من أهل المحاولات التي بذلت في عهد الانتداب البريطاني لتسوية مشكلة فلسطين، تلك المحاولة التي أقدمت الحكومة البريطانية على تنفيذها سنة ١٩٣٧ عملاً بتوصيات اللجنة الملكية (المعروفة باسم لجنة بيل Peel). وكانت هذه اللجنة قد أرسلت إلى فلسطين من إنجلترا برئاسة لورد بيل بسبب الثورة الفلسطينية الكبرى في سنة ١٩٣٦، فكتبت تقريراً ذكرت فيه لأول مرة «التقسيم» كوسيلة لتسوية المشكلة الفلسطينية. وتضمن (تقرير بيل) اعترافاً للمرة الأولى بأن الوعود التي بذلتها الحكومة البريطانية للعرب واليهود كانت متناقضة ولا يمكن التوفيق بينها. وعلى هذا الأساس أوصت (اللجنة) بإنهاء الانتداب، وبتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق لإقامة دولة عربية، ودولة يهودية، ثم منطقة ثالثة محايدة تشمل القدس وبيت لحم، تبقى تحت الانتداب البريطاني، والجدير بالملاحظة شأن هذا التقسيم المقترح، أن الدولة العربية كانت تضم ما تبقى من الأراضي الفلسطينية بعد تأسيس الدولة اليهودية والمنطقة المحايدة إلى شرقي الأردن، بما في ذلك مدينة يافا، وعلى أن تؤسس من هذه الأراضي الفلسطينية وشرقي الأردن الدولة العربية. أما الدولة اليهودية فتمتد أراضيها على طول الساحل من جنوب لبنان إلى جنوب يافا، وتشمل عكا وحيفا وصفد وطبرية والناصرة وتل أبيب. وأما المنطقة المحايدة التي تبقى تحت الانتداب البريطاني فقد اشتملت على شريط من الأرض يمتد من القدس وبيت لحم إلى مكان على الساحل بين يافا وتل أبيب^(١).

ولقيت مقترحات (لجنة بيل) قبولا من جانب اليهود، الذين قرروا الدخول

(١) نفس المرجع ص ١٢٥.

فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لكى يعرفوا بدقة الكيفية التى يراد بها تأسيس الدولة اليهودية المقترحة. أما العرب، فقد عارضوا مقترحات التقسيم معارضة شديدة، وانهقد فى بلودان (فى سوريا) مؤتمراً شعبى فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧، حضرته وفود من مصر والعراق وسوريا ولبنان وشرقى الأردن وفلسطين (وفوض أحرار المغرب من ينوب عنهم فى هذا المؤتمر)، وقرر المؤتمرون رفض التقسيم ومعارضة إنشاء دولة يهودية، والإصرار على المطالبة بإلغاء الانتداب ووعد بلفور، ووقف هجرة اليهود إلى فلسطين، واستصدار تشريع لمنع انتقال الأرض من العرب إلى اليهود^(١).

وقد اتخذت الصحف فى جميع الأقطار العربية موقفاً معارضا لفكرة تقسيم فلسطين العربية وإنشاء دولة يهودية فيها، وهى الفكرة التى ظلت تراود بريطانيا والصهيونيين حتى تمكنوا من تنفيذها أخيراً عام ١٩٤٨، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت علي لسان وزير خارجيتها مستر بيغن بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥، بياناً أكدت فيه اتفاق بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على العمل يداً واحدة فى حل مشاكل اليهود والاشتراك معاً فى حسم قضية فلسطين. وكان من نتيجة ذلك أن وصلت إلى فلسطين لجنة إنجليزية أمريكية لدراسة الموقف عن كثب، والتوصية بما يحقق أهداف اليهود ورغبات الوكالة اليهودية العالمية، وقدمت جامعة الدول العربية (التي كانت قد أنشئت منذ شهر مارس سنة ١٩٤٥) مذكرة لهذه اللجنة، فندت فيها دعاوى اليهود فيما يتعلق بالوطن القومى وتصريح بلفور، وأثبتت تعارض هذا التصريح مع كافة المواثيق والعهود والتصريحات التى قطعتها بريطانيا وحليفاتها للعرب خلال الحرب العالمية الأولى سواء قبل التصريح أو بعده. وذكرت الجامعة العربية فى مذكرتها أنها تعارض فى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، واستمرار هجرة اليهود إليها، وانتقال أراضيها من أيدي العرب إلى أيدي اليهود، وأصرت على المطالبة بإلغاء الانتداب وجعل فلسطين دولة عربية

(١) نفسه ص ١٢٦.

مستقلة. غير أن اللجنة المشتركة أوصت، بعد التحقيقات الزائفة التي قامت بها، في تقريرها بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٩٤٦، وتسهيل انتقال الأملاك العربية للصهيونيين وضرورة بقاء الدولة المتدبة (بريطانيا) في فلسطين حتى يتم وضع خطة محكمة لتنفيذ التقسيم.

وقابلت الوكالة اليهودية توصيات اللجنة الانجليزية الأمريكية المشتركة بالترحيب، بينما رفضها العرب واستنكروها استنكارا شديدا، ولاسيما في قرارات مؤتمر أنشاس بمصر (الذي عقده ملوك العرب ورؤساؤهم في ٢٨ مارس ١٩٤٦) وقرارات مجلس جامعة الدول العربية في بلودان (بتاريخ ٧ يونيه ١٩٤٦). وقد جاء في هذا القرارات الأخيرة «أن دول الجامعة تعتبر الأخذ بتوصيات لجنة التحقيق عملا عدائيا موجهها ضدها، وأنه ينبغي أن تتخذ كل الوسائل الممكنة للدفاع عن كيان فلسطين الذي هو جزء لا يتجزأ من كيان البلاد العربية الأخرى»^(١).

وإزاء إصرار العرب على رفض تقسيم فلسطين العربية، اتفقت الحكومتان البريطانية والأمريكية على خطة موحدة لإنهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨، وتنفيذ التقسيم كرها، وإخراج عرب فلسطين من وطنهم وتسليمه لليهود. فأحالت الحكومة البريطانية قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة كي تحلها على الوجه المتفق عليه. وفي أول ابريل سنة ١٩٤٧ أرسلت الأمم المتحدة إلى فلسطين لجنة تحقيق أخرى، وأوصت هذه اللجنة في تقريرها بتقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في القسم الأهم منها ودولة عربية في القسم الجبلي الصغير. ولم تلبث الأمم المتحدة أن أقرت في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ توصيات اللجنة أى تقسيم فلسطين، ضاربة عرض الحائط بحقوق عرب فلسطين الشرعية.

ولما كانت الحكومة البريطانية قد صرحت بعزمها على التخلي عن انتدابها

(١) نفسه ص ١٢٧.

على فلسطين وانسحابها منها بقواتها العسكرية وجهازها الإدارى، وحددت لذلك موعدا هو ١٥ مايو ١٩٤٨، فقد اتفقت الدول العربية على أن تدخل جيوشها فلسطين، بعد انسحاب القوات البريطانية منها، للمحافظة على حقوق عرب فلسطين من القوات الصهيونية ومنظماتها الإدارية التى تهدد سلامتهم. واستطاعت القوات العربية التى دخلت فلسطين (فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨) بعد جلاء الانجليز عنها، أن تنزل باليهود ضربات قوية: وأحدثت الغارات الجوية المصرية السورية على تل أبيب والمستعمرات اليهودية كثيراً من الخراب والدمار، ولم يمض اثنا عشر يوماً على بدأ القتال حتى صارت القوات المصرية تحقق بتل أبيب ذاتها، كما أحرزت باقى القوات العربية فى زحفها تقدماً مستمراً، بيد أن الجيوش الظافرة لم تستطع أن تجنى ثمار انتصارها، فلم تلبث الدول الكبرى أن رأت إنقاذ اليهود، فتدخلت عن طريق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وأرغمت العرب على وقف الحرب أربعة أسابيع (من ١١ يونيه إلى ٩ يوليو ١٩٤٨) حتى يتمكن اليهود أثناءها من إعادة تنظيم صفوفهم وتعزيز تحصيناتهم واستكمال ما يحتاجون إليه من رجال وسلاح. وعندما استؤنفت الأعمال الحربية فى ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ بدت القوات اليهودية أقوى كثيراً عن ذى قبل، وخاصة فى الطائرات. وبناء على تعليمات جلوب الانجليزى - صدرت الأوامر الكتائب الأردنية والعراقية بالانسحاب دون سبب ظاهر من اللد والرملة ورأس العين ومرج ابن عامر والجليل الغربى، وبذلك تعرضت الجيوش المصرية بعد هذا الانسحاب للوقوع فى مأزق حرج كاد يودى بها. وانتهاز اليهود هذه الفرصة، وتمكنوا من احتلال مناطق جديدة، وأخذت غاراتهم الجوية تشتد على القاهرة ودمشق وعمان^(١).

وسرعان ما اتخذ مجلس الأمن فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ قراراً بوقف القتال، فتم وقفه فى ١٨ يوليو، وحصل الاتفاق على الهدنة الثانية (من ١٨

(١) نفسه ص ١٢٨.

يوليو إلى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨)، ثم أمكن وقف القتال للمرة الثالثة في ٨ يناير سنة ١٩٤٩ بعد أن كانت القوات المصرية قد أنزلت الهزيمة باليهود في واقعة دير البلح (٢٥ ديسمبر ١٩٤٨)، واستطاعت بذلك الاحتفاظ بقطاع غزة الساحلى، وأذعنت مصر مكرهة للدخول فى مفاوضات مع اليهود لعقد هدنة دائمة، وجرت المفاوضات فى جزيرة رودس بإشراف الوسيط الدولى الدكتور «رالف بانش». وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ عقدت الهدنة بين مصر وإسرائيل (اتفاقية رودس)، وأعقب ذلك عقد الهدنة فى رودس مع شرقى الأردن فى أبريل، ومع لبنان فى الناقورة على حدود فلسطين فى ٢٣ مارس، ومع سوريا فى ٢٠ يوليو (١).

وهكذا نجح اليهود نجاحا مؤقتا فى تحقيق أحلامهم فى فلسطين، وأسسوا دولتهم المزعومة (إسرائيل) فى الأراضى التى كانت بأيديهم بالفعل. وخضعت الأراضى الباقية من فلسطين للأمر الواقع ولكن إلى حين، فوضعت (مملكة شرقى الأردن) يدها على الضفة الغربية لنهر الأردن، التى كانت احتلتها جيوشها منذ أول ديسمبر سنة ١٩٤٨، وأعلنت إدماج الأراضى الفلسطينية (الضفة الغربية لنهر الأردن) مع الأراضى التى تتألف منها مملكة شرقى الأردن، وأصدرت فى أول يونيه سنة ١٩٤٩ بلاغا باطلاق اسم «المملكة الأردنية الهاشمية» عليها. أما مصر فقد رضيت بإدارة قطاع غزة، وهو شريط ساحلى يمتد من قرية رفح على الحدود المصرية الفلسطينية جنوبا إلى نقطة تبعد ثمانية أميال إلى الشمال من غزة، ويطل على البحر غربا وتحده مصر (شبه جزيرة سيناء) من الجنوب، وتحيط به أراضى فلسطين المحتلة من الشمال والشرق (٢).

وفى قصيدة العقاد التى نشرتها الصحف المصرية، خطاب الأبطال (الفالوجا) الذين قاوموا الحصار، يقول فيه:

(٢) نفسه ص ١٢٩.

(١) نفسه ص ١٢٩.

أَجَلٌ مِى مِصرَ التِى نَعِهدُ إِذا نَفِدَ الدِهرُ لا تَنفَدُ
مَموُدةٌ أَن تَجِيبَ الدِعا ء إِذا ما دِعا للجِدِّ والسوُدِّ
بِيومٍ مِجِيدٍ لَأَمْسٍ مِجِيدٍ وَإِن غِداً بِمِعدِهِ أَمِجِيدٍ
بِنو مِصرَ رَهِ ما جِاهِدوا وَفى الحِقِّ والخِيرِ ما أَعْتَدوا
أولِو البِاسَ لَكُنْهَم عُصْبَةُ إِذا ما اِعتدى البِاسُ لِم يَعتدوا
وَمِنْهَم لِكُلِّ ضَغِيفٍ جِمىً وَفِىهَم لِكُلِّ أَخٍ مُنْجِدٍ
أَغاثوا العِروبةَ فى مِحنةٍ رِماها بِها الزِمنُ الأَنكَدِ
وَمِن نَكَدِ الدِهرِ أَن تَسْتَدُ لَ لِشِردُمَةِ ذُلِّها سَرَمَدِ

ونشر محمد عبدالغنى حسن فى جريدة الأهرام قصيدة يدعو فيها إلى
مؤازرة فلسطين بجهود العرب وقواهم، لأنها شقيقة أفرقتنا نكبتها، وجرح
قلوبنا بلواها، وأحزنتنا أحداثها:

أَيُّها الجِارةُ الشَّقِيقَةُ صَبِرا قَد عَرَفْنا الزِمانَ حُلُوا ومُرا
فَرِّعِ النَّاسُ فى أَساكِ وقاموا يَتَنادونَ فى سَبيلِكَ جَهْرا
أَجْمَعُوا أَمْرَهُم لِنَصْرِكَ حَتى يَقضِىَ اللّهُ يا فِلَسطينَ أَمْرا
فى قُلُوبِ الإِخوانِ مِنْكَ جِروح دَمايِياتٍ وَعِلَّةٌ لِّىسَ تَبْرا

وتمثل قصيدة على محمود طه التى نشرت فى الصحف المصرية، وردّها
الناس مع صوت الموسيقىار محمد عبدالوهاب مفهوم الوجدان المشترك والدعوة
والجهاد لاستخلاص قطعة عزيزة من ميراث الآباء والأجداد، وتطهير البلد
المقدس من الدخلاء، ولم يخص بدعوته قطرا دون قطر، ولا بلدا دون بلد،
بل أهاب بإخوته العرب جميعا أن يسارعوا إلى النضال، يستوى فى ذلك
مسلمهم والمسيحى، يقول:

أخى جاوز الظالمون المدى فَحُقَّ الجِهادُ وَحُقَّ الفِدا

أنتركهم يسلبون المعرو بة مجد الأبوة والسوددا؟
وليسوا بغير صليل السيو ف يجيبون صوتنا لنا أو صدى
فجرّد حُسامك من غمده فليس له بَعْدُ أن يُغمدا
أخى أيها العربي الأبي أرى اليوم موعدا أو غدا
أخى أقبل الشرق فى أمة تردّ الضلال وتُخيبى الهدى
أخى قم إلى قبلة المشرق ن لنحمى الكنيسة والمسجدا

تطور الصحافة الفلسطينية:

كانت المطبوعات السورية واللبنانية توزع فى فلسطين العثمانية، وفيما عدا بعض صحف البعثات والمطبوعات المدرسية، كانت قد صدرت صحيفة (القدس) عام ١٩٠٤ وصحيفة (الكرمل) التى أنشأها فى (حيفا) سنة ١٩٠٨ :
نجيب نصار، واستمرت فى الصدور حتى سنة ١٩٤٢، وقد حمل صاحبها لواء الدعوة فى مواجهة أخطار الصهيونية، وتوضيح جوانب القضية الفلسطينية.

وفى العام نفسه: ١٩٠٨ صدرت صحيفة (النقىير) فى القدس، وصحيفة (التفائس العصرية) فى (يافا)، ثم فى العام التالى ١٩٠٩ صدرت صحيفة (الأخبار) وفى (يافا) أيضا، صدرت صحيفة (الحقوق) عام ١٩١٠، وصحيفة (الترقى) فى العام نفسه، ثم صدرت صحيفة (فلسطين) فى عام ١٩١١ فى (يافا) أيضا لمؤسسها عيسى داود العيسى، وقد اشتدت حملاتها على الصهيونية، «وكان يحرقها على منصور بأسلوب ساخر لاذع»^(١).

وفى عام ١٩١١ صدرت صحيفة (الأخبار الأسبوعية) فى (يافا) أيضا، ثم صدرت صحيفة (الصاعقة) فى (حيفا) عام ١٩١٢ و(القدس الشريف) فى القدس عام ١٩١٣ وفى هذا العام: ١٩١٣ صدرت صحف (الدستور) فى (حيفا) و(المنهل) فى (القدس) و(الحكمة).

(١) إحسان عسكر: الصحافة العربية ص ٢٩٥.

وفي عام ١٩١٩، صدرت صحف: (بيت المقدس) في القدس وفي ٥ مايو ١٩٢١ صدرت (الزهرة) في (حيفا)، و(لسان العرب) في القدس، ثم في عام ١٩٢٣ صدرت صحيفة (الحقوق) في يافا، وشهد عام ١٩٢٤ صدور صحيفتي: (اليرموك) في حيفا، و(الأردن) في حيفا أيضا.

وقد صاحبها عدد كبير من الصحف الجديدة كانت تعبر عن ردود الفعل العربية السياسية للانتداب البريطاني وسياسة الوطن القومي اليهودي، وكان من هذه الصحف صحيفتا «سوريا الجنوبية» (يحررها عارف العارف ومحمد حسن البديري) و«مرآة الشرق» (يحررها بولس شحادة)، وكلتاهما صدرتا سنة ١٩١٩ ولم تدوما طويلاً، وقد أنشئت صحيفة «الصباح» سنة ١٩٢١ (وكان يحررها كامل البديري ويوسف ياسين، وأصبحت لسان حال السلطة التنفيذية العربية)، ثم صدرت صحيفة (الاتحاد العربي) في طولكرم عام ١٩٢٥، وصحيفة (الجامعة الإسلامية) في يافا عام ١٩٢٣ لصاحبها سليمان التاجي الفاروقي، وكانت تدعو لفكرة الجامعة الإسلامية ويحررها طائفة من كبار الكتاب العرب.

أما صحيفة (الجامعة العربية): فكانت تنطق بلسان مفتي فلسطين، وكانت شديدة اللهجة في مخاطبة خصومها السياسيين، وفي يافا صدرت صحيفة (الدفاع) عام ١٩٢٨ واحتلت مكانة مرموقة، وكانت فتحا جديدا في ميدان الصحافة الفلسطينية^(١).

أما صحيفة (صوت الحق) لصاحبها فهمي الحسيني فكانت تقود الشباب وتدعو، إلى الاستقلال ومكافحة الاستعمار. ثم صدرت صحيفة (الفجر): مجلة تبحث في الأدب، ويحررها المجاهدان فاروق العزوني ومحمود سيف الدين الإيراني.

(١) د. إحسان عسكر: الصحافة العربية ص ٢٩٥

وكانت أول صحيفة يومية تصدر باللغة العربية هي «فلسطين» التي بدأت تصدر يومياً بانتظام سنة ١٩٢٩، واستمرت في الصدور في مدينة القدس القديمة، وكانت الصحف الأخرى هي «الصراط المستقيم» (التي أنشئت سنة ١٩٢٥ وصدرت يومية منذ سنة ١٩٢٩ أيضاً، وكان يحررها الشيخ عبدالله القلقيلي، و«الدفاع» (التي أنشئت سنة ١٩٣٤ وكان يحررها إبراهيم الشنطي)، وكانت الصحيفتان يملكهما ويحررهما المسلمون، وكانت صحيفة «الصراط المستقيم» إسلامية الاتجاه.

أما صحيفة «الدفاع» فكانت تعبر عن الآراء القومية العربية القوية، وكانت أول الأمر متصلة بحزب الاستقلال واتصلت من بعد بالجماعات التي كان يقودها الحسينية. أما صحيفة «الوحدة» الأسبوعية التي أنشئت سنة ١٩٤٥ فقد أصبحت صحيفة يومية في العام التالي.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية إنه خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر: «حدث تطور سريع جداً في صحافة المجلات وبخاصة في المجلات السياسية، سواء الأسبوعية منها أو التي تصدر مرة كل أسبوعين، وقد أعيدت صياغتها على غمط الصحف المصرية الأسبوعية، فبعضها كان يقدم لقراءه التعليقات على الأمور الهامة وأخبار الأفلام، وغير ذلك من أسباب التسلية الأخرى، وكانت تنشر الصور أحياناً، علاوة على الأخبار والتعليقات السياسية، وكان ثمة صحيفتان هما الاتحاد الأسبوعية (التي أنشئت سنة ١٩٤٤) و«الغد» التي تصدر مرة كل أسبوعين (نشرت أولاً بصفة غير منتظمة في العشرينات، وأعيد إصدارها سنة ١٩٤٥)، أما بقية الصحف فكانت تعبر عن ألوان شتى من القومية العربية والحزبيات بين القادة العرب، وكانت الصحافة التي تكتب بلغات غير اللغة العربية يهودية في معظمها^(١).

(١) دائرة المعارف الإسلامية ص ٩٢.

[٦]

الصحافة في العراق

ظلت بلاد العراق — كغيرها من البلاد العربية — خاضعة لحكم الأتراك العثمانيين حوالي أربعة قرون. ومن المعروف أن الولايات العثمانية صارت خلال القرن التاسع عشر هدفا لأطماع الدول الأوروبية المختلفة.

وقد انفردت إنجلترا من بين هذه الدول بالاهتمام ببلاد العراق، لوقوعها على طريق مواصلاتها البرية الرئيسية إلى الهند «أثمن جوهرة في التاج البريطاني». . . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) انتهزت إنجلترا هذه الفرصة وأخذت تعمل للاستيلاء على العراق. فاحتلت قواتها البصرة نظرا لأهميتها في تأمين المواصلات البريطانية مع الهند، ثم استولت على بغداد في ١١ مارس ١٩٠٧ بعد أن أخلاها الأتراك.

وما كادت تعلن الهدنة بين الحلفاء وتركيا (٣٠ نوفمبر ١٩٠٨) حتى أخذت إنجلترا تعمل لتثبيت أقدامها في العراق، فاتفقت مع فرنسا على أن تستولي الأخيرة على دمشق وحمص وحماء وحلب، مقابل موافقتها على ضم ولاية الموصل إلى المناطق التي احتلتها فيما بين الرافدين (العراق).

وفي ٣ مايو سنة ١٩٢٠ أعلنت بريطانيا انتدابها على العراق، فقبل هذا الإجراء بقيام ثورة وطنية لتخليص العراق من الحكم البريطاني، وعمت هذه الثورة جميع البلاد واستمرت أربعة شهور (يونيه — سبتمبر سنة ١٩٢٠)، وفي هذه الثورة قاتل رجال العشائر القوات البريطانية قتالا شديدا، وأنزلوا بها خسائر كبيرة، الأمر الذي كلف بريطانيا كثيرا من الأرواح والأموال. وعلى الرغم من إخماد هذه الثورة وفشلها في تحقيق أغراضها، فإنها لم تلبث أن

أرغمت إنجلترا على التساهل في منح العراق قسماً أكبر من الاستقلال الذاتي^(١).

وفي ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ جرى تتويج فيصل ملكاً على العراق. على أن الشعب العراقي لم يكن يستسيغ بقاء بلاده تحت الانتداب البريطاني في الوقت الذي حصل فيه على قدر كبير من الاستقلال، لذلك استبدلت إنجلترا بالانتداب تنظيم علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تحالف، عقدت بينها ومملكة العراق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢، ويلاحظ أن مواد هذه المعاهدة تضمنت معظم شروط الانتداب وحقت مطالبه وأغراضه دون ذكر لفظ الانتداب نفسه. وهكذا استطاعت إنجلترا بفضل هذه المعاهدة ومعاهدات أخرى لاحقة (١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٣٠) أن تثبت النفوذ البريطاني في المملكة العراقية^(٢).

الصحافة الرسمية في العراق:

وكان الوالي التركي مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٤) قد أمر بإصدار صحيفة «زوراء» الرسمية في بغداد سنة ١٨٦٩، وكانت أسبوعية تحرر بالعربية والتركية كما تقدم.

وفي سنة ١٨٨٥ أصدر العثمانيون جريدة «موصل» الرسمية في الموصل، وبعد ذلك بعشر سنوات أصدرها في البصرة جريدة «بصرة» الرسمية.

وفي بغداد صدرت صحيفة «بغداد» بالعربية والتركية سنة إعلان الدستور، وهي جريدة سياسية علمية أدبية أسبوعية كانت لسان حال جمعية الاتحاد والترقي ولكنها توقفت بعد صدورها بسنة، وصدر بعدها عدد من الصحف في ظل مناخ الحرية الذي هياه دستور السلطان عبد الحميد^(٣).

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: السابق ص ١١١.

(٢) نفسه ص ١١١.

(٣) د. خليل صابات: السابق ص ٢٧٦.

وطالبت الصحف العراقية عام ١٩١٠ بجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للحكومة ورفع مستواها والكف عن محاربتها^(١).

وفي الموصل صدرت مجلة «لغة العرب» في يوليو ١٩١١ لصاحبها الأب أنستاس ماري الكرملى (١٨٦٦ - ١٩٤٧).

وبعد أن احتل البريطانيون البصرة شجعوا أحد العراقيين على إصدار صحيفة تدعو لهم، فكان أن صدرت «الأوقات البصرية» في ٢٤ نوفمبر ١٩١٤، وبعد احتلال بغداد، في ١١ مارس ١٩١٧، أصدرت جريدة «العرب»، فلما توقفت في سنة ١٩٢٠ حلت محلها صحيفة «العراق»، وصدرت في أغسطس من العام نفسه جريدة «الشرق»^(٢).

وفي سنة ١٩٣٠ صدرت مجلة «الصنائع» لصاحبها محمد صالح القزازی، رئيس جمعية الصنائع.

وكانت جريدة «البلاد» قد صدرت في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٩.

وبين الحربين العالميتين صدرت جريدة «الأهالي» في ٢ يناير ١٩٣٢.

ومن الصحف اليومية التي صدرت أواخر الحرب العالمية الثانية جريدة «الشعب» اليومية سنة ١٩٤٤.

وبعد وقت قليل من قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر قام الشعب العراقي يطالب بالحریات الديمقراطية، فما كان من الحكومة إلا أن أعلنت الأحكام العرفية في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢ وألغت الأحزاب السياسية وعطلت الصحف^(٣)، واستمر الجمود السياسی حتى تألفت وزارة جديدة ألغت الأحكام العرفية في ٥

(١) د. خليل صبايات: السابق ص ٢٧٦.

(٢) هادی طعمة عبدالعباس: الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية، دراسة في الحملة الدعائية البريطانية ١٩١٤ - ١٩٢١، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الصحافة والنشر بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، صفحة ٧٣ وما بعدها..

د. خليل صبايات: السابق ص ٢٧٧.

(٣) عبدالرزاق الحسنى، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الثامن، ص ٣٦٣ وما بعدها.

أكتوبر ١٩٥٣ وسمحت للأحزاب بمزاولة نشاطها واستأنفت الصحف الوطنية المعطلة الصدور^(١).

ومن الصحف التي صدرت بعد قيام الثورة جريدة «الجمهورية» ممثلة لفكر حزب البعث العربي الاشتراكي، صدر عددها الأول في ١٧ يوليو ١٩٥٨، وفي كركوك صدرت «البشير» ١٩٥٨، وفي بغداد صدرت «صوت الأحرار» و«الرقيب» و«الاستقلال» و«الرأي العام»^(٢).

وبعد قيام ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ وتولى عبدالسلام عارف الحكم صدرت صحيفة «الجماهير» البعثية وتولى رئاسة تحريرها طارق عزيز، كما صدرت صحيفتا: «الثورة» و«الطلیعة»^(٣).

وفي ٢٩ أبريل ١٩٦٧ صدرت صحيفة «التآخي» اليومية لتعبر عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وفي ٣ ديسمبر ١٩٦٧ صدر تشريع بتأميم الصحف فأصبحت تتبع (المؤسسة العامة للصحافة والطباعة)^(٤).

وفي ٢٢ مايو صدر العدد الأول من مجلة «ألف باء».

وصدرت في ١٧ أغسطس ١٩٦٨ جريدة «الثورة» يومية، سياسية عن المؤسسة العامة للصحافة والطباعة لتكون لسان حزب البعث العربي الاشتراكي، وصدرت «طريق الشعب» جريدة يومية سياسية عن الحزب الشيوعي العراقي.

وفي ٢٠ فبراير ١٩٧٦ صدر العدد الأول من صحيفة «العراق» يومية سياسية لسان الأكراد العراقيين - وقد حلت هذه الصحيفة محل «التآخي» جريدة الحزب الديمقراطي الكردستاني التي ألغى امتيازها في فبراير ١٩٧٦^(٥).

(١) د. خليل صبايات: السابق ص ٢٧٩.

(٢) د. خليل صبايات: السابق ص ٢٧٠.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) فائق بطي، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(٥) د. خليل صبايات: السابق ص ٢٨٢.

وفى ١٦ يوليو ١٩٧٩ أصبح صدام حسين رئيسا للجمهورية العراقية ورئيسا لحزب البعث^(١).

ويصدر فى العراق عدد كبير من الصحف والمجلات منها: جريدة «الثورة» لسان حزب البعث، وسياسية عامة، وجريدة «الجمهورية» يومية سياسية عامة، و«الرياضى» اليومية، و«العراق» اليومية سياسية عامة، و«القادسية» اليومية، عامة، و«بغداد أوبزرفر» بالانجليزية، وتصدر يوميا، ومن الصحف والمجلات الأسبوعية: «الاتحاد الوطنى» الطلابية و«ألف باء»، سياسية عامة و«الاتحاد» الأسبوعية الناطقة بلسان اتحاد الغرف التجارية، و«الراصد» سياسية عامة، و«صوت الفلاح» الزراعية و«فتون» وكانت تصدر باسم «الإذاعة والتلفزيون» حتى عام ١٩٧٧، وتهتم بالتراث والفنون، و«مجلتى» للأطفال، و«الوقائع العراقية» الجريدة الرسمية..

وفى العراق عدد كبير من المجلات المتخصصة الشهرية والفصلية مثل: مجلة (آفاق عربية) و(الأقلام) و(الثقافة الأجنبية) و (المأثورات الشعبية).

(١) نفسه ص ٢٨٢.

[٧]

الصحافة فى المملكة العربية السعودية

إن رأى القائل بأن هناك من الملامح ما ينفرد به شعب من الشعوب، فتميزه عن شعب آخر، له أصله من قديم الأزل، وهذا رأى - كما يقول «إدوارد شيبستر» - يسير جنباً إلى جنب مع الاعتقاد السائد بأن لكل أمة رسالة معينة تحققها، ولقد كان لارتباط هذه الآراء مع بعضها البعض أثر فى خلق صورة إيجابية فى الصحافة المصرية للدور الذى تقوم به المملكة العربية السعودية، استراتيجياً وروحياً، وهذا الشعور يبدو جلياً واضحاً فى كتابات الأدباء والكتاب والصحفيين فى مصر، تقديراً لدور المملكة العربية السعودية فى العالم الحديث^(١).

ولما كان الوضع الطبيعى هو المكان الذى يتخذ التاريخ مسرحاً لأحداثه، أصبح لزاماً علينا أن نبدأ بدراسة شاملة للملاحظات الأدبية عن المحيط الطبيعى للمملكة العربية السعودية.

يقول الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن الترمكى عن الوحدة كأصل من أصول المنهج الذى ارتضاه الملك عبدالعزيز، على اتصال وثيق بعقيدة التوحيد، والشرعية: «كان الملك عبدالعزيز يدرك أن كثيراً من الزعماء والقادة قد أصبحوا صرعى النظريات السياسية الجديدة وأسرارها».

وعلى الرغم مما يحدث، وعلى الرغم من علمه بما يحدث، فإنه التزم المنهج وثبت عليه.

(١) عبد الميز شرف: للملك عبدالعزيز فى مرآة الصحافة المصرية القاهرة، مطبوعات مجلة الحضارة؛ ١٩٩٩.

لماذا؟

لأنه يعلم غاية الدولة الإسلامية، وهدف التمكين في الأرض: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١]

وأول صحيفة صدرت في الحجاز هي صحيفة «حجاز» الرسمية عام ١٨٨٢، وعقب صدور دستور سنة ١٩٠٨ العثماني نشر بعض الحجازيين صحفا في مكة والمدينة المنورة وفي خلال الحرب العالمية الأولى أعلنت الثورة العربية وأصدر الشريف حسين في سنة ١٩١٦ صحيفة «القبلة» لتكون لسان حال هذه الثورة وقد احتجبت هذه الصحيفة عن الصدور في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٤ (١).

صدر العدد الأول من جريدة «الحجاز» في ٧ أكتوبر ١٩١٦ سياسية أدبية اقتصادية في المدينة المنورة، وقد توقفت هذه الجريدة عن الصدور في أواخر عام ١٩١٨.

وفي ٨ سبتمبر ١٩٢٠ صدرت في مكة صحيفة «الفلاح» في أربع صفحات «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعربية».

وأصدر الحزب الوطني الحجازي في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ جريدة (بريد الحجاز) واقتصرت مقالاتها على السياسة، وصدرت مرتين في الأسبوع في أربع صفحات من القطع الصغير.

وفي عهد الملك عبدالعزيز (١٨٨٠ - ١٩٥٣) صدرت صحيفة «أم القرى» في ١٢ ديسمبر ١٩٢٤ صحيفة رسمية أسبوعية وكان شعارها «خدمة الإسلام والعرب»، وعلى الرغم من رسميتها فقد اهتمت بالأدب وشجعت الأدباء

(١) محمد عبدالرحمن الشامخ، الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١، دار الأمانة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ١٩٧١ ص ٩٤.

الناشئين، ومن الصحف التي صدرت في الحجاز بين الحربين العالميتين جريدة «صوت الحجاز» التي صدر عددها الأول في ٤ إبريل ١٩٣٢ لتكون «لسان حال النهضة الأدبية الحجازية»^(١)، كما صدر بعض الصحف والمجلات الأخرى.

وفي أغسطس ١٩٥٣ صدر في الرياض العدد الأول من مجلة «اليمامة» الشهرية، وبعدها بثلاث سنوات أصبحت أسبوعية ثم نصف أسبوعية.

وفي سنة ١٩٦٢ صدر نظام المؤسسات الصحفية، فصدرت «اليمامة» عن مؤسسة اليمامة الصحفية وتطورت هذه الصحيفة ابتداء من سنة ١٩٦٤ فأصبح لها مكاتب في بعض المدن السعودية، وهي تعنى بالأدب والفن والرياضة والمرأة والطفل^(٢).

ومن الصحف اليومية التي تصدر في السعودية: جريدة «البلاد» السياسية العامة التي تصدر في جدة، وجريدة «الجزيرة» السياسية العامة التي تصدر في الرياض، وجريدة «الرياض» السياسية العامة التي تصدر في الرياض، وجريدة «الشرق الأوسط» السياسية العامة التي تصدر في كل من جدة ولندن والرياض والظهران والدار البيضاء والقاهرة ومارسيليا وباريس ونيويورك، وجريدة «عكاظ» السياسية العامة التي تصدر في جدة وجريدة «المدينة المنورة» السياسية العامة التي تصدر في جدة، والجزيرة «المسائية» السياسية العامة التي تصدر في الرياض، وجريدة «الندوة» السياسية العامة التي تصدر في مكة المكرمة، وجريدة «اليوم» السياسية العامة التي تصدر في الدمام.

والجرائد اليومية التي تصدر بالانجليزية هي «سعودي ريفيو» و«سعودي جازيت» وجريدة «أراب نيوز» وكلها تصدر في جدة. والأولى سياسية عامة والثانية اقتصادية والثالثة سياسية عامة، هذا إلى جانب مجلة «أخبار العرب» اليومية السياسية العامة التي تصدر في جدة^(٣).

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٨٤.

(٢) نفس المرجع ص ٢٨٧. (٣) نفسه ص ٢٨٧.

ومن المجلات الأسبوعية مجلة «أخبار العالم الإسلامى» ومجلة «الدعوة»
وتصدر بالرياض ومجلة «المسلمون» وتصدر بجدة ومجلة «اقرأ» السياسية
العامة، ومجلة «اللقاء العربى» السياسية العامة التى تصدر فى الدمام، ومجلة
«المجلة» السياسية العامة التى تصدر فى كل من جدة ولندن، ومجلة «سيدتى»
ومجلة «الشرقية» وتعيينان بشئون المرأة، ومجلة «الإمامة» السياسية العامة التى
تصدر فى الرياض، ولللأطفال مجلتان تصدران بجدة واحدة باسم «حسن»
والثانية باسم «الطفل» وتصدر فى جدة أيضا مجلة «النادى الرياضى» للرياضة
والشباب ومجلة «سعودى بزنس» الاقتصادية التى تصدر بالانجليزية.

أما «أم القرى» فهى الجريدة الرسمية التى تصدر فى الرياض أسبوعية.

[٨]

الصحافة في اليمن:

يعود تاريخ الصحافة في اليمن إلى عام ١٨٧٧، وقد أنشئت أول مطبعة في صنعاء في عهد السلطان عبدالحميد الثاني وطبعت فيها جريدة «صنعاء» الرسمية الأسبوعية، وفي سنة ١٩٢٦ صدرت صحيفة «الإيمان» شهرية عن نفس المطبعة، وصدر العدد الأول من مجلة «الحكمة» في ديسمبر ١٩٣٨ بمساعدة وزارة المعارف اليمنية.

وفي ١٣ أكتوبر ١٩٤٦ صدر العدد الأول من أول صحيفة حزبية يمنية هي: «صوت اليمن» سياسية أسبوعية لسان حال (الجمعية اليمنية الكبرى)، وكان آخر أعدادها قد صدر منها في ١١ مارس ١٩٤٨^(١).

وفي أول يناير ١٩٤٩ صدر العدد الأول من صحيفة «سبأ» في عدن ولكنها توقفت بعد مضي حوالي سنة ونصف من صدورها ثم عادت إلى الظهور في تعز سنة ١٩٢٥.

وقد توقفت «سبأ» عندما قامت الثورة عام ١٩٦٢^(٢).

وفي ٩ فبراير ١٩٥٠ صدر العدد الأول من صحيفة «النصر» أدبية، سياسية، اجتماعية شهرية، وتوقفت عن الصدور بعد قيام الثورة في ١٩٦٢.

وصدرت في ٤ أكتوبر ١٩٥٩ في تعز صحيفة «الطليلة».

وفي ٢٦ سبتمبر صدرت في تعز صحيفة «الثورة» لتكون لسان حال النظام الجديد. وفي سبتمبر ١٩٦٣ انتقلت إلى صنعاء وظلت بها.

(١) المرجع السابق نفسه. (٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٠٧.

وكانت صحيفة «الجمهورية» قد صدرت في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢، سياسية، ثقافية، جامعة أسبوعية في أول عهدها ثم أصبحت يومية في ١٩٦٧. وصدرت «الأخبار» يومية عام ١٩٦٣ ولكنها ما لبثت أن اندمجت في صحيفة الجمهورية عام ١٩٦٧ (١).

وصدرت في ٨ مايو ١٩٦٣ الصحيفة الرسمية لنشر القوانين والقرارات واللوائح، وفي يوليو من العام نفسه صدرت في صنعاء مجلة «شريعة الله» نصف الشهرية. وفي أبريل ١٩٦٤ صدرت «الثغر» صحيفة سياسية، اجتماعية عن وزارة الإعلام في الحديدة ولكنها كانت تنسخ بالاستئصال حتى يوليو ١٩٧٠. وفي أغسطس ١٩٧٠ أصبحت تطبع في مطابع الصباح.

وفي ٥ يونيو ١٩٦٥ صدرت «أخبار الشعب» في صنعاء يومية، جامعة شعارها «الشعب مصدر السلطات»، وبعد عدها الأول أصبح اسمها: «الشعب».

وفي مايو ١٩٦٨ صدرت مجلة «الجيش» شهرية جامعة عن إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة. وفي يوليو من السنة نفسها صدرت جريدة «الرسالة» سياسية أسبوعية مستقلة، وقد عاشت ثلاث سنوات فقط. وفي ١٦ نوفمبر ١٩٦٨ صدرت في صنعاء صحيفة «الشعب» مطبوعة في مطابع الحكومة.

وصدرت في تعز عام ١٩٦٩ مجلة «الوحدة»، وتأسست في الحديدة مطابع الصباح وصدرت عنها في ٣٠ أبريل ١٩٧٠ صحيفة «الصباح» بعد أن انتقلت من عدن (٢).

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٦٠.

(٢) نفسه ص ٢٩٢.

وتصدر في اليمن حالياً صحف: «الثورة اليمنية» يومية، سياسية و«الميثاق» أسبوعية، سياسية، و«٢٦ سبتمبر» أسبوعية، سياسية، و«الثوري» أسبوعية، سياسية و«أكتوبر» أسبوعية، سياسية و«الحكمة» شهرية، اجتماعية، سياسية و«قضايا العصر» شهرية، أدبية^(١).

(١) نفسه ص ٢٩٢.

[٩]

الصحافة في دولة الكويت:

وفي دولة الكويت أصدر «مجلة الكويت»: عبدالعزيز الرشيد سنة ١٩٢٨، وكانت تطبع خارج الكويت لعدم وجود مطابع في ذلك الحين، ثم صدرت «البعثة» وكانت مجلة أدبية ظلت تصدر حتى سنة ١٩٥٤، وكانت تطبع خارج الكويت أيضا (١).

أما أول مجلة طبعت في الكويت فكانت «كاظمة» التي غلب عليها الطابع القومي، وفي ١٩٥٣ أصدر النادي الثقافي القومي مجلة «الإيمان».

ثم صحيفة «الإرشاد» التي أصدرتها جمعية الإرشاد الإسلامية سنة ١٩٥٣ ومجلة «رسالة النفط» أول مجلة مصورة أصدرتها شركة نفط الكويت المحدودة سنة ١٩٥٧.

وفي سنة ١٩٥٨ أصدرت وزارة الإرشاد مجلة «العربي» ثم صدرت صحيفة يومية هي «الرأي العام» في ابريل ١٩٦١، وصدرت باللغة الانجليزية «كويت تايمز» في سبتمبر ١٩٦١، وبدأت «أخبار الكويت» في الصدور في مارس ١٩٦٢، وصدرت «الوطن» في يونيو ١٩٦٢ و«الدلي نيوز» بالانجليزية عن دار «الرأي العام» في يوليو ١٩٦٢، كما صدرت «السياسة» و«القبس».

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٩٥.

[١٠]

الصحافة في دولة البحرين:

صدرت أول صحيفة في دولة البحرين باسم: «البحرين» أسسها عبدالله الزايد سنة ١٩٣٩^(١)، وفي سنة ١٩٤٩ صدرت صحيفة «صوت البحرين»، وصدر في المنامة بعد ذلك عدد من الصحف منها «البحرين اليوم» الشهرية، وتصدر عن مصلحة الاستعلامات منذ سنة ١٩٥٦، و«الجريدة الرسمية»، وهي أسبوعية، تصدر عن مصلحة الاستعلامات منذ سنة ١٩٥٧ و«الأضواء» الأسبوعية، أنشأها سنة ١٩٦٥ محمد المرادي صاحب امتيازها ورئيس تحريرها، و«صدى الأسبوع»، أسبوعية، أنشأها سنة ١٩٦٩ على السيار و«المجتمع الجديد» أسبوعية، أصدرتها سنة ١٩٧٠ الشركة الوطنية للصحافة والإعلان و«هنا البحرين» وتصدرها مصلحة الاستعلامات و«أخبار البحرين» وهي أسبوعية، صدرت سنة ١٩٧٢، كما تصدر «الأسواق العربية» وهي مجلة شهرية تصدر بالعربية والانجليزية.

وتصدر في المنامة العاصمة جريدة «أخبار الخليج» اليومية، إلى جانب الصحف والمجلات الأسبوعية فهي: جريدة «أخبار البحرين»، و«الجريدة الرسمية» وجريدة «جلف ميرور» بالانجليزية، وجريدة (المجتمع الجديد) ومجلة «الأضواء» ومجلة «البحرين» ومجلة «الرياضة» للشباب والرياضة ومجلة «صدى الأسبوع»، ومجلة «المواقف» ومجلة «تايم أوت ان ذى جلف» بالانجليزية، و«هنا البحرين» وهي مطبوعة شهرية^(٢).

وفي ٧ مارس ١٩٨٩ صدرت «الأيام» جريدة يومية.

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٢٠٥.

(٢) نفسه ص ٢٠٦.

[١١]

الصحافة فى دولة قطر:

صدرت مجلة «الدوحة» شهرية عن وزارة الإعلام منذ سنة ١٩٦٩ و«العروبة» أسبوعية، عن المؤسسة العربية لطباعة الصحف والنشر، وفى سنة ١٩٧١ أصدرت اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم مجلة «التربية» وهى فصلية. وقد رخصت لصحيفة «العرب» بالصدور يومية^(١).

وصدر قانون المطبوعات والنشر فى قطر عام ١٩٧٩ ويقول الشيخ حمد بن سعيد آل ثانى وزير الإعلام والثقافة^(٢): إن هذا القانون يعتبر دعامة قوية لحرية الصحافة فى البلاد، وهو يحفظ حرية الرأى فيما ينشر ويبين حق الدولة فى رعاية قيم المجتمع وتقاليده، وصدرت فى يوليو ١٩٨٦ مجلة «أخبار الخليج».

وتصدر فى قطر ثلاث صحف يومية بالعربية وهى «الراية» و«العرب» و«الشرق» بجانب صحيفة «ديلى جلف تايم» بالانجليزية، وتصدر أسبوعية و«الدورى» الرياضية و«العروبة» السياسية العامة و«العهد» و«الفجر»، وبالانجليزية «ويكلى جلف تايم»، كما تصدر الجريدة الرسمية الشهرية، ويبلغ عدد الصحف والمجلات التى تصدر فى قطر ١٦ مطبوعة تشمل الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية وأغلبها يصدر عن القطاع الخاص.

(١) نفسه ص ٢٠٦.

(٢) عادل محمد عفيفى ومحمد يوسف حبيب، الإعلام القطرى، جريدة «الأهرام» القاهرة فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٩ ص ٤.

[١٢]

الصحافة في دولة الإمارات العربية المتحدة:

صدرت «أخبار دبي» سنة ١٩٦٦ عن دائرة الإعلام التي كانت تابعة لبلدية دبي، وفي السنة نفسها صدرت «الجريدة الرسمية» لحكومة دبي وتوابعها، وفي إبريل ١٩٦٨ صدرت في أبو ظبي جريدة رسمية، وفي السنة نفسها صدرت «أخبار رأس الخيمة» وقد تغير اسمها بعد ذلك إلى «مجلة رأس الخيمة».

وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩ صدرت «الاتحاد» جريدة أسبوعية حكومية، ثم تحولت إلى يومية في ٢٢ إبريل ١٩٧٢^(١).

وفي ٧ مايو ١٩٧٠ صدرت (أبوظبي نيوز) بالإنجليزية عن دائرة الإعلام بأبو ظبي، وبعد قيام دولة الإمارات تغير اسمها إلى (يوناييتد اميريت نيوز) إلى أن أصبح أخيرا (اميريت نيوز)، وصدرت يومية ابتداء من ٢ ديسمبر ١٩٧٥، ومن الصحف الرسمية التي تصدر في الإمارات: «أخبار البترول والصناعة» (١٩٧٠) ومجلة «الشرطة والأمن العام» (١٩٧٠) و«الإعمار» عن وزارة الأشغال (١٩٧١) و«درع الوطن» مجلة عسكرية (١٩٧١).

وبمناسبة قيام الاتحاد في ديسمبر ١٩٧١ صدر العدد الأول من «الجريدة الرسمية».

وفي عام ١٩٧٤ صدرت مجلة «الجندي» عسكرية شهرية مصورة عن إدارة الشؤون المعنوية والثقافية في وزارة الدفاع، ومجلة «العدالة» قانونية عن وزارة العدل والشؤون الإسلامية، وصدر في أبو ظبي يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٤ العدد الأول من «جالف تايمز» أول صحيفة مستقلة باللغة الإنجليزية في أبو ظبي، وتصدر هذه الصحيفة عن دار النشر ذاتها التي تصدر مجلة «الوثبة الأسبوعية»^(٢).

(٢) نفسه ص ٢٠٩.

(١) نفسه ص ٣٠٨.

[١٣]

الصحافة في سلطنة عمان: (١)

في ٢٥ يوليو ١٩٧٠ وبعد يومين من تولى السلطان قابوس الحكم صدرت أول نشرة باسم «أخبار عمان» بالعربية والانجليزية.

وفي مسقط صدرت صحيفة «الوطن» في ٢٨ يناير ١٩٨١ أسبوعية، وفي يناير ١٩٨٤ تحولت إلى صحيفة يومية فيما عدا يوم الجمعة، صاحب امتيازها ورئيس تحريرها محمد سليمان الطائي.

وتصدر عن دار جريدة عمان للصحافة والنشر: «عمان» صحيفة الدولة الرسمية. صدر أول عدد منها في ١٨ نوفمبر ١٩٧٢، وكانت أسبوعية ثم تحولت في ١٨ نوفمبر ١٩٧٥ إلى نصف أسبوعية، وفي ١٨ نوفمبر ١٩٨٠ تحولت إلى صحيفة يومية يتوفر لها امكانية الطباعة والتحرير والتوزيع داخل عمان، يرأس مجلس إدارتها وتحريرها وزير الإعلام عبدالعزيز محمد الرواس.

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٨١ تأسست صحيفة «الأوبزرفر» التي تصدر عن دار جريدة عمان للصحافة والنشر باللغة الانجليزية (٢).

وتصدر عن مؤسسة العيسى للطباعة والنشر باللغة الانجليزية أيضاً صحيفة «تايمز أوف عمان»، صدر أول عدد منها في ٢٣ فبراير ١٩٧٥.

(١) يذكر أستاذنا د. خليل صابات أنه اعتمد على المعلومات التي استقاها من د. عزة على عزت في كتابها: الصحافة في دول الخليج العربي، ومن الدوريات الخليجية، والمصحف والمجلات الصادرة في أقطار الخليج العربي، بغداد ١٩٨٢، وما أرسله الدكتور عاطف العبد الخبير الإعلامي بسلطنة عمان: المرجع السابق ص ١، ٣.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣١١.

وصدرت مجلة «العقيدة» فى أول الأمر شهرية حيث كانت تطبع خارج السلطنة، وتحولت بعد ذلك إلى نصف شهرية منذ يناير ١٩٧٣، ولم تصدر أسبوعية إلا فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٦ واختارت يوم السبت موعداً لصدورها الأسبوعى.

والمجلة الأسبوعية الثانية هى مجلة «النهضة» التى صدرت فى أول الأمر نصف شهرية ابتداء من نوفمبر ١٩٧٣.

والمجلة الأسبوعية الثالثة التى تصدر فى عمان هى مجلة «الأضواء» عن دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع باللغة العربية، اقتصادية، سياسية، أسبوعية، تصدر شهرياً بصفة مؤقتة صدر عددها الأول فى يناير ١٩٧٤ (١). كما تصدر مجلة (نزوى) الشهرية، متخصصة فى الأدب والفكر.

(١) نفسه ص ٢١٢.

[١٤]

الصحافة في ليبيا:

ظلت ليبيا بأقاليمها الثلاثة: برقة، وطرابلس، فزان، جزءاً من الإمبراطورية العثمانية منذ أواسط القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، عندما غزتها إيطاليا سنة ١٩١١، فدخلت من ذلك الحين في حوزتها.

وكانت إيطاليا قد هجمت على طرابلس سنة ١٩١١، فهب الليبيون بجاهدون للذود عن وطنهم، واستوحش الإيطاليون، فجعلوا يقتلون الأحرار، ويمثلون بالثوار، فهاج إخوتهم في الوطن العربي، وسارعوا إلى نجاتهم بالسلاح والمال والمشاركة الحربية في ميادين القتال. وكان من أثر هذا في الصحافة العربية مثلاً أن جريدة «العلم» التي كان يرأس تحريرها عبدالعزيز جاويش كانت تطالع العرب في كل صباح بمقال له يثير به العواطف، ويحشد القوى لمطاردة الغاصبين^(١) كقوله: «النجدة النجدة أيها المسلمون، قدموا أموالكم، وتطوعوا بأنفسكم، فإنكم إذا لم تفعلوا اليوم فليأتين يوم فيه تشردون عن أوطانكم، وتصادرون في أموالكم».

وقوله: «سلام على أولئك المجاهدين الذين دعاهم وطنهم لرد عادية العدو عنه فأجابوه، واستنفرهم لإغائته فأغاثوه، وأهاب بهم أن صونوا الذمارة فأطاعوه».

سلام علي أولئك الطرابلسيين المقادير الذين بايعوا وطنهم على أن يريقوا حول حماه آخر قطرة من دماهم في سبيل الجهاد دونه، وهبوا في وجه العدو يصدونه وهم يرتضون إحدى الحسينين».

(١) بدأت مقالاته في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١١.

وقوله: «أيها المصري المسلم، أخوك أخوك لو شطت داره، ونأى مزاره.
وهكذا توالى مقالاته ومقالات زملائه فى الصحف المصرية والعربية^(١).
وكان للشعر فى هذا الجهاد دوى مسموع وصوت مستجاب.

فقد دعا شوقى إلى السخاء بالمال على (الهلال الأحمر)^(٢) سنة ١٩١٢ نجدة
لجرحى طرابلس ومجاهديها، وأشاد ببطولتهم، وفدائهم وطنهم، وصور آلام
المصريين مما حل بإخوتهم، واستبشر بنصرهم القريب:

| | |
|-----------------------------|--|
| ومجاهدين هناك عند معسكر | ومن المهابة بين ألف معسكر |
| موفين للأوطان بين حياضها | لا يسمحون بها وبين الكوثر |
| عرب على دين الأبوة فى الرغى | لا يطعنون القرن ما لم يندر |
| ألقوا مصاحبة السيوف وعودوا | أخذ المعاقل بالقنا المشجر ^(٣) |
| يمشون من تحت القذائف نحوها | لا يسألون عن السعير المطر |
| فى أعين البارى وفوق يمينه | جرحى تجلهم كجرحى خيبر ^(٤) |
| من كل ميمون الضماد كأنما | دم أهل بدر فيه أو دم حيدر ^(٥) |
| جذلان هينة عليه جراحه | وجراحه فى قلب كل غصنف |
| ضمدت بأهداب الجفون وطالما | ضمدت بأعراف الجياد الضمر ^(٦) |
| عواده يتمسحون بـردنه | كالوفد مسح بالخطيم الأظهر ^(٧) |

(١) عبدالعزيز جاويش ٨٨.

(٢) د. أحمد الحوفى: السابق ص ١٦٧ .

(٣) المشجر: المشتبك.

(٤) البارى: ناحت السهام.

(٥) الحيدر: الأسد والمراد الإمام على، الضماد: عصاة الجرح.

(٦) الجياد: الضمر: الخيل القليلة اللحم، الأعراف: جمع عرف وهو شعر عرق الفرس.

(٧) الردن: أصل الكم. الخطيم: جدار الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

واستثار شاعر النيل حافظ إبراهيم على إيطاليا^(١)، وشنع في الصحف
بوحشية الطليان، وتخير للإثارة عدة حوافز، منها التقتيل والتقييد، والاعتداء
على النساء والأيتام، وذبح الشيوخ والعجزة، وإحراق الدور، وارتكاب ما
يتنافى مع الحقوق الإنسانية التي أقرها العالم كله:

كَبَلُوهم، قَتَلُوهم، مَنَلُوا بذوات الحذر طاحوا باليتامى
ذَبَحُوا الأشيخ والزَمَنى ولم يرحموا طفلا ولم يُنقوا غلاما
أحرقوا الدور استحلُّوا كل ما حَرَمَتْ (لاهاى) فى العدل احتراماً^(٢)

إلى أن يقول:

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوههم يملأوا الدنيا كلاما
أهلنوا الحرب وأضرنا لهم أينما حلوا هلكا واختراما
فاطمئنى أم الشرق ولا تقنطى اليوم فإن الجَدَّ قاما
إن فى أضلاعنا أنثدة نَغشَقُ الجَدَّ وتأبى أن تضاماً

وصور أحمد محرم^(٣) ما أصاب طرابلس من غارة إيطاليا عليها، وعبر عن
حزنه بأنه لا يقر لعربى قرار وإخوته يقتلون هناك، ثم أهاب بالمصريين أن
يسارعوا إلى نجدة إخوانهم، لأن الله أوجبها عليهم، وحذرهم التواني، لأن فيه
هلاكا لهم جميعاً، فقال:

كيف القرار ونار الحرب تستعرُ والهول مضطرم البركان مُستعرُ؟
إيه بنى مصر إن الله يندبكم فسارعوا قبل أن تودى بنا الغيرُ

وتنشر الصحف المصرية قصيدة لمحمد عبدالمطلب^(٤) يستنفر فيها قومه أن

(١) ديوان حافظ إبراهيم ٦٦/٢.

(٢) يشير إلى مؤتمر لاهاى الذى عقد سنة ١٨٩٩ بدعوة من قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب،
بتخفيض السلاح، وتحكيم هيئة دولية لحل المشكلات العالمية.

(٣) د. أحمد الحوفى/ السابق ص ٩٨.

(٤) د. أحمد الحوفى/ السابق: ص ٦٩.

ينهضوا لإغاثة إخوانهم، فقال^(١):

خليلي ما لي إذ تذكرت برقةً بجنبي نيران الأسى تلهب؟
نعم راعني من نحو برقة صارخ يهيب بأنصار الهلال: ألا اركبوا

كما نشرت مجلة الهلال لمصطفى صادق الرافعي قصيدة طويلة^(٢) في حرب طرابلس، سخر في بعض أبيانها سخرية لاذعة متنوعة من إيطاليا، وهو موفق في هذه السخرية، ليدفع عن النفوس العربية ما قد يتسرب إليها من خور أو تهيب، وتوعد الجيش الإيطالي سوء المنقلب، واستثار حماسة العرب ليثاروا لإخوتهم القتلى والجرحى والثكالي واليتامى، منها قوله:

رميتمونا بجند لا ثبات لهم إلا كما ثبتت للرجل الأكر
يا رامي الشهب بالأحجار تحسبها كالشهب ميهات ينسى طبعه الحجر
خاطوا لأجسامهم من نفعنا كفنأ فإن أسيافهم نى حربها إبر
أسطوهم أم كلاب البحر تنبحنا أم الضفادع قد ضجعت بها الغدر
لابد من غضبة إن ثار نائرها على الشياطين من جنّ الفلا دُعروا
ثار التيامى وثار الشاكلات وثأ الدحدر ينضى وثار العرض يشتهر

غير أن خروج الحلفاء متصرين في الحرب العالمية الأولى، قوى مركز الطليان في ليبيا، فأخذ هؤلاء ولا سيما بعد أن تولى موسوليني الحكم سنة ١٩٢٢ ينفذون خطة منظمة للاستيلاء على ليبيا، تعرض الأهالي خلالها لحملات من الإبادة، وبالرغم من ذلك، فقد ظل الليبيون يقاومون الطليان مقاومة عنيفة، بقيادة الزعيم المجاهد «عمر المختار» الذي وقع أخيراً في أسر الطليان، فسجنوه ثم أعدموه شنقاً في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١^(٣).

(١) ديوان عبدالمطلب ٢٥.

(٢) مجلة الهلال فبراير سنة ١٩١٢.

(٣) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز السابق ص ١٥٢.

ولقد ظل الطليان يحكمون ليبيا إلى وقت قيام الحرب العالمية الثانية، وهى الحرب التى دخلوها إلى جانب ألمانيا فى يونيه سنة ١٩٤٠، فأصبحت ليبيا ميدانا هاما من ميادين هذه الحرب، حتى إذا ما لحقت الهزيمة نهائيا بالطليان والألمان سنة ١٩٤٢، ارتدت قواتهم من ليبيا كلها، وانتهى بذلك احتلال الطليان لتلك المنطقة الهامة من شمال إفريقيا.

وبانتصار الحلفاء وهزيمة دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا) خضعت المنطقة الشمالية من ليبيا (برقة وطرابلس) للانجليز، فى حين خضعت المنطقة الجنوبية (فزان) للفرنسيين، فأسس الانجليز فى كل من برقة وطرابلس إدارة عسكرية «مؤقتة»، منفصلة إحداهما عن الأخرى انفصالا تاما وأنشأ الفرنسيون فى فزان إدارة عسكرية كذلك، فتجزأت ليبيا بسبب إنشاء هذه الإدارات الثلاث إلى ثلاثة أقطار منفصلة بعضها عن بعض.

ونشرت الصحف المصرية قصيدة شوقى فى رثاء الشهيد عمر المختار^(١) بطل طرابلس الذى لقى الإيطاليين فى نحو مئتى موقعة وستين، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً فى سنة ١٩٣١.

فى هذه القصيدة يصدر شوقى عن مفهوم «الوحدة» الذى يصدر عن وجدان عربى مشترك يستنهض العرب فى كل وقت أن يثاروا لشهيدهم، وأن يقتلوا بجهاده، وأيقن أنهم سيورثون أبناءهم بغضهم للإيطاليين، والدأب على نضالهم حتى يطردوهم من ديارهم. وختم القصيدة بنصائح وجهها إلى الشعب الليبي. من قصيدته قوله:

ركزوا رُفَاتِكْ فى الرمال لواءً يستنهض الوادى صباح مساءً
يا ونَحْمَهم نَصَبُوا مناراً من دم يُوحى إلى جيل الغد البغضاء
جرح يصيح على المدى وضحيةً تنلمس الحرية الحمراء

(١) الشوقيات ١٧/٣ د. أحمد الحوفى/ السابق ص ٢٥٥.

إفريقيّا مَهْدُ الأسود ولحْدُها ضجّت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم يبكون زيد الخيل والفُلحاء^(١)
لبّى قضاء الأرض أمس بمهجة لم يخش إلا للسماء قضاء
وفاء مرفوع الجبين كأنه سقراط جر إلى القُضاة رداء

وقد كان الفرنسيون قد أصدروا في طرابلس سنة ١٨٢٧ صحيفة توزع على
القنصليات الأجنبية واختاروا لها اسما عربيا هو «المنقب»، وصدرت صحيفة
«طرابلس غرب» مطبوعة على الحجر أول الأمر، إلى أن أدخلت الطباعة
بالحروف سنة ١٨٧٠، وظهرت الأعداد الأولى من هذه الصحيفة محررة
بالتركية - ثم بالعربية والتركية -^(٢).

ولم يتح لليبيين إصدار صحف أخرى إلا سنة ١٨٩٧، حين ظهرت مجلة
أسبوعية باللغة العربية اسمها «الترقى» سياسية، علمية، ولكن حريتها الزائدة
كانت سببا في إغلاقها، وفي سنة ١٨٩٨ صدرت مجلة (الفنون)^(٣).

وصدرت صحيفة «الترقى» أسبوعية من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١١
و«العصر الجديد» و«الكشاف» سنة ١٩٠٨ بثلاث لغات: العربية والتركية
والفرنسية و«أبو قشة» في السنة نفسها وكذلك «تعميم حرية» باللغة التركية.
أما صحيفة «المُرصاد» الأسبوعية فقد صدرت سنة ١٩١٠ سياسية أدبية، وقد
نُبهت إلى الخطر الإيطالي، وكذلك «الرقيب» التي صدر عددها الأول بالتركية
والعربية ثم صدرت بالعربية.

ومنذ ١٩١٢ قام الحكم الإيطالي بإصدار صحيفتين في طرابلس شبه
رسميتين باللغتين الإيطالية والعربية، اسم الصحيفة الأولى «بريد طرابلس»

(١) زيد الخيل: علم على الفارس الذي سماه النبي زيد الخير. الفُلحاء: لقب لعنرة العبي.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣١٥.

للنخبة الطرابلسية، واسم الصحيفة الثانية «نيوفا ايتاليا» أى إيطاليا الجديدة للإيطاليين المقيمين فى ليبيا، وفي السنة نفسها ظهرت صحيفة إيطالية اسمها «ليكودى تريولى» أى صدى طرابلس.

واستطاعت صحيفة «الرقيب» أن تعود إلى الصدور حتى بداية الحرب العالمية الأولى ثم توقفت وعادت إلى الصدور مرة أخرى سنة ١٩١٩ باسم «الرقيب العتيد» ابتداء من أول يونيو ١٩١٩، ولكن صحيفة «اللواء الطرابلسى» لسان حال حزب الإصلاح والتي صدرت فى السنة نفسها، اضطرت إلى التوقف بعد تعطيلها وتغريم صاحبها وسجنه ثم نفيه، ولم تكن صحيفة «الوطن» بأكثر حظا من سابقتها فقد صودرت واعتقل مديرها لأنها أيدت حركة استقلال برقة. وأمام هذا الكبت للحريات لم ير المناضلون بدا من إصدار صحيفة مخطوطة أسموها «البلاغ» هاجموا على صفحاتها مناورات الاستعمار^(١).

ومن الصحف التى صدرت لليبيا حتى سقوط النظام الفاشستى صحيفة «الذكرى» الطرابلسية باللغتين العربية والإيطالية. وقد أصدر الإيطاليون ثلاث صحف بالإيطالية، عاشت هى ورصيفاتها العربيات حتى دخول جيوش الحلفاء طرابلس سنة ١٩٤٣^(٢).

وأعاد البريطانيون صحيفة «طرابلس الغرب» إلى الحياة وجعلوها يومية، وصدرت فى بنغازى سنة ١٩٤٣ «جريدة بنغازى» التى تحولت إلى «برقة الجديدة» وصدرت صحيفتان يوميتان بالانجليزية.

وأصدر الوطنيون صحفا طالبوا على صفحاتها بالاستقلال التام والحرية، منها «الوطن» فى سنة ١٩٤٦ التى أصدرتها جمعية عمر المختار.

(١) د. خليل صايات: السابق ص ٣١٧.

(٢) نفسه ص ٣١٨.

وأعلن استقلال ليبيا فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ ، وصدر فى تلك الفترة عدد من الصحف العربية عبر بعضها عن رأى حزب المؤتمر القومى .

وغيرت الصحف الحكومية الثلاثة أسماءها فصحيفة «طرابلس الغرب» أصبحت «العلم» وصحيفة «برقة الجديدة» أصبحت «الأمة» والصحيفة الأسبوعية «فزان» أصبحت تسمى «البلاد» .

وبعد ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ دخلت الصحافة الليبية عهدا جديدا .

وفى ٧ سبتمبر ١٩٧٢ صدرت «الفجر الجديد» جريدة يومية سياسية عن المؤسسة العامة للصحافة التابعة لوزارة الإعلام ، وإلى جانب هذه الصحيفة تصدر الجهاد والرائد . أما الصحف الأسبوعية فهى : «الرأى» و«الأسبوع الثقافى» و«الفاتح» ، وتصدر نصف شهرية : «كل الفنون» ، و«البيت» و«الأمل» للأطفال ، وتوجد مجلتان شهريتان هما : «الثقافة العربية» و«الشورى» .

وفى ١٦ ابريل سنة ١٩٧٣ حدد الأخ العقيد معمر القذافى فى زوارة الأهداف الرئيسية للثورة الثقافية التى تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ومضاعفة الكفاح الأيديولوجى ومحاربة البيروقراطية وتسليح الشعب . . وقد شكلت لجان شعبية فى جميع القطاعات الإدارية والاقتصادية وكذلك فى المراكز المحلية فى أنحاء البلاد .

ويقدم د . أحمد شور راكس يانا بأسماء الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى ليبيا منذ عام ١٩٤٤ إلى ١٩٦٧ ، على النحو التالى (١) :

(١) د . أحمد شور راكس : مقدمة فى الصحافة ص ٧٥ .

| مكان الصدور | تاريخ الصدور | السياسة التحريرية | الصحيفة |
|--------------|--------------|----------------------|--------------|
| طرابلس الغرب | ١٩٤٤ م | جريدة حكومية يومية | طرابلس الغرب |
| بنغازى | ١٩٤٤ م | جريدة حكومية يومية | برقة الجديدة |
| بنغازى | ١٩٥٣ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الزمان |
| طرابلس | ١٩٥٦ م | جريدة مستقلة يومية | الرائد |
| سبها | ١٩٥٧ م | جريدة حكومية | فزان |
| طرابلس | ١٩٥٧ م | أسبوعية | الطليلة |
| بنغازى | ١٩٥٨ م | جريدة مستقلة أسبوعية | العمل |

صدرت صحيفة طرابلس الغرب (أسبوعية) أيام العهد العثمانى الثانى بين سنة ١٨٦٦ - ١٩١١ .

| مكان الصدور | تاريخ الصدور | السياسة التحريرية | الصحيفة |
|-------------|--------------|------------------------------------|----------|
| بنغازى | ١٩٦١ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الريب |
| طرابلس | ١٩٦٤ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الحرية |
| بنغازى | ١٩٦٤ م | جريدة مستقلة يومية | الحقيقة |
| طرابلس | ١٩٦٤ م | جريدة مستقلة تصدر مرتين فى الأسبوع | الميدان |
| طرابلس | ١٩٦٦ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الأولياء |
| بنغازى | ١٩٦٧ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الشعلة |
| طرابلس | ١٩٦٧ م | جريدة مستقلة أسبوعية | الهدف |

| المجلات | السياسة التحريرية | تاريخ الصدور | مكان الصدور |
|------------------|-------------------------|--------------|-------------|
| الفلاح | مجلة حكومية شهرية | ١٩٤٩ م | طرابلس |
| الجيش | مجلة حكومية موسمية | ١٩٥٧ م | بنغازي |
| ليبيا الاقتصادية | مجلة حكومية شهرية | ١٩٦٠ م | طرابلس |
| الإذاعة | مجلة حكومية نصف شهرية | ١٩٦١ م | طرابلس |
| الهدى الإسلامي | مجلة حكومية شهرية | ١٩٦٢ م | البيضاء |
| ليبيا الحديثة | مجلة حكومية نصف شهرية | ١٩٦٣ م | طرابلس |
| النفط العربي | مجلة مستقلة شهرية | ١٩٦٣ م | طرابلس |
| المرأة | مجلة حكومية شهرية | ١٩٦٤ م | طرابلس |
| الرواد | مجلة حكومية شهرية | ١٩٦٤ م | طرابلس |
| جيل ورسالة | مجلة كشفية حكومية شهرية | ١٩٦٤ م | طرابلس |
| الاقتصاد | مجلة مستقلة نصف شهرية | ١٩٦٧ م | طرابلس |
| الإفريقي | مجلة حكومية موسمية | ١٩٦٧ م | طرابلس |
| ليبيا الرياضية | مجلة مستقلة شهرية | ١٩٦٧ م | بنغازي |

الصحف التي تحرر باللغتين الانجليزية والإيطالية:

| الصحيفة | السياسة التحريرية | تاريخ الصدور | مكان الصدور |
|----------------------|-------------------------------------|--------------|-------------|
| الجورنالي دي تريبولي | جريدة مستقلة يومية بالإيطالية | ١٩٥٨ م | طرابلس |
| سيريناكا ويكلي نيوز | جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية | ١٩٥٩ م | بنغازي |
| ساندي قبل | جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية | ١٩٦٠ م | طرابلس |
| تريبولي ميرور | جريدة مستقلة أسبوعية بالانجليزية | ١٩٦٠ م | طرابلس |

| الصحيفة | السياسة التحريرية | تاريخ الصدور | مكان الصدور |
|----------------|-------------------------------------|--------------|-------------|
| ويتزدي ريفيو | جريدة مستقلة اسبوعية بالانجليزية | ١٩٦٦ م | طرابلس |
| ذي لبيان تايمز | جريدة مستقلة يومية بالانجليزية | ١٩٦٧ م | بنغازي |
| ذي لبيان مايل | جريدة مستقلة اسبوعية بالانجليزية | ١٩٦٧ م | طرابلس |
| بانوراما لبيكا | جريدة مستقلة أسبوعية بالإيطالية | ١٩٦٧ م | طرابلس |

| المجلات | السياسة التحريرية | تاريخ الصدور | مكان الصدور |
|-------------------|--------------------------------------|--------------|-------------|
| النفط العربي | مجلة مستقلة شهرية بالانجليزية | ١٩٦٣ م | طرابلس |
| ليبيان ريفيو | مجلة حكومية شهرية بالانجليزية | ١٩٦٦ م | طرابلس |
| الاقتصاد الإفريقي | مجلة مستقلة نصف شهرية بالانجليزية | ١٩٦٧ م | طرابلس |

[١٥]

الصحافة في تونس:

احتل الفرنسيون تونس عام ١٨٨١ ، وأرغموا الباي (محمد الصادق) على عقد معاهدة «باردو» Bardo في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ ، وهى المعاهدة التى اعتدت بها فرنسا على استقلال تونس داخليا وخارجيا وجعلتها محمية فرنسية . وفى ٨ يونيو سنة ١٨٨٢ عقدت فرنسا مع باي تونس الجديد (على باي) معاهدة أخرى عرفت بـ«اتفاقية المرسى» ، أتمت بها فرنسا سيطرتها على تونس ، فحكمت هذه البلاد حكما مباشرا ، وصار المقيم العام الفرنسى فى تونس هو الحاكم المستبد والرئيس الأعلى للإدارة^(١).

على أن الشعب التونسى لم يستسلم لهذا الاحتلال الجائر ، فأخذ يقاوم الحماية الفرنسية بقوة السلاح ، وظهرت مقاومته للفرنسيين منذ أن احتل هؤلاء البلاد وفرضوا حمايتهم عليها ، ولما تغلبت القوة الغاشمة على الشعب التونسى ، أبى هذا الشعب الاستسلام لرغبة فرنسا ، فصار يقاوم الحماية الفرنسية بالوسائل تارة ، وبالثورات العنيفة تارة أخرى منتهزا كل فرصة تمر به لمحاولة التخلص من نير الاستعمار الفرنسى .

وقد نظم المقاومة ضد الفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى ، الحزب الحر الدستورى التونسى الذى أسسه فى تونس الزعيم «عبدالعزیز الشعالبي» سنة ١٩١٩ وانتشرت حركة الحزب الدستورى فى جميع أرجاء تونس انتشارا سريعا ، حتى غدت قوة شعبية تحسب لها السلطات حسابا .

وفى أواخر سنة ١٩٣٢ عمدت الحكومة الفرنسية إلى القيام بمحاولة «فرنسة»

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: السابق ص ١٤٩ .

عرب المغرب ، ففتحت أبواب التجنس بالجنسية الفرنسية أمامهم واستصدرت من رجال الدين فتوى بأن المتجنس بالجنسية الفرنسية من المسلمين لا يخرج عن دينه، ويجوز دفنه في قبور المسلمين، فقامت الصحف الوطنية التونسية تعارض هذه الحركة، وقاطع الشعب المتجنسين ورفض مصاهرتهم ومنعهم من دخول المساجد، كما مانع في دفنهم في مقابر المسلمين، وكان لهذا العمل أثره في فشل محاولة «فرنسة» عرب المغرب.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، وأعلنت الهدنة بين فرنسا والمحور انتهر الزعماء التونسيون الفرصة وطالبوا باستقلال تونس، علي أساس أن «وضع» فرنسا الجديد الناتج عن احتلال جيوش المحور لها لا يمكنها من الدفاع عن تونس، ولكن السلطات الفرنسية ركبت رأسها وألقت القبض على هؤلاء الزعماء وزجت بهم في السجون^(١).

وفي ٩ نوفمبر سنة ١٩٤٢ دخلت القوات الألمانية تونس. وكان يجلس على العرش حينئذ الباي محمد المنصف وكان معروفا تأييده للحركة الوطنية فتدخل «الباي» لدى السلطات الألمانية مطالبا بإطلاق سراح المسجونين السياسيين الذين كان الفرنسيون قد رجزوا بهم في السجون، فأطلق سراحهم في أول ديسمبر سنة ١٩٤٢ ولكن الحلفاء لم يلبشوا أن انتصروا على قوات المحور، واحتلت جيوشهم تونس في ٨ مايو ١٩٤٣، وعاد الفرنسيون مرة أخرى إلى حكم البلاد واستعمارها.

وكانت الحكومة التونسية قد سمحت لأحد التجار الانجليز بأن يفتح مطبعة في مدينة تونس ويأن يصدر جريدة بالعربية والإيطالية تزود قراءها بالأخبار التجارية وبالمعلومات الإحصائية ويخلاصات لما تنشره مطبوعات أخرى فيما عدا الأمور المتعلقة بالسياسة. وقد صدرت هذه الصحيفة عام ١٨٥٩م^(٢).

(١) نفسه ص ١٥٠.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣٢٣.

صدر في تونس في أول يوليو ١٨٦٠ صحيفة «الرائد التونسي»، وهي صحيفة رسمية.

وفي سنة ١٨٨٣ قرر الفرنسيون إصدار جريدة رسمية باللغة الفرنسية إلى جانب «الرائد التونسي»^(١).

وفي سنة ١٩٣٤ أنشأ الحبيب بورقيبة حزب الدستور الجديد.

وخلال الحرب العالمية الثانية صدرت «اليوم» و«إفريقيا الفتاة» و«الشباب» وعقب وصول الحلفاء ظهرت صحيفة يومية جديدة اسمها «الأخبار».

ومع عودة السلطة الفرنسية عادت صحف الفرنسيين إلى الصدور، عدا تلك التي انضم أصحابها إلى حكومة فيشي. أما صحف الحزب الدستور الجديد العربية مثل «الكفاح» و«الهلال» فكانت توزع سرا، وأصدر محمد مزالي^(٢) مجلة «الفكر» عام ١٩٥٥، وهكذا دخلت الصحافة الوطنية مرحلة انتقال انتهت بإعلان الاستقلال في ٢٠ مارس ١٩٥٦^(٣).

وكان الحزب الدستوري الجديد قد استأنف منذ سنة ١٩٥٥ إصدار صحيفته العربية «العمل» وصحيفته الفرنسية «لاكسيون» أي العمل أيضاً، وقد اشترك في تحريرها الحبيب بورقيبة والمصمودي. وبعد أن تحول الحزب الحر الدستوري في ١٩٦٤ إلى الحزب الاشتراكي الدستوري ركزت الصحف التونسية على مشكلات التنمية^(٤).

وبلغ عدد الصحف اليومية في تونس عام ١٩٦٩ أربع صحف.

(١) يوسف باخوس، راجع يوسف أسعد داغر، قاموس الصحافة الليتائية ١٨٥٨ - ١٩٧٠، المكتبة الشرقية ١٩٧٨ ص ٢٦٢.

(٢) د. خليل صابات: السابق ص ٣٢٨.

(٣) نفسه ص ٣٢٩.

(٤) نفسه ص ٣٢٢.

وفى ٢٠ مارس ١٩٨١ صدرت جريدة «المنار» وقام على إدارتها السيد الباهى .

وفى مارس (١٩٨٤) عادت إلى الصدور مجلة «الشباب» بعد توقف دام أربعة أعوام، وفى ١٤ إبريل عادت إلى الصدور صحيفة «الطريق الجديد» بعد إيقافها منذ أكتوبر سنة ١٩٨٣ .

وفى عام ١٩٨٥ أسس الحبيب شيخ روعة صحيفة «الصباح الأسبوعى» وتصدر يوم الاثنين من كل أسبوع عن الشركة التونسية للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، وهى صحيفة إخبارية جامعة رئيس تحريرها عبدالسلام الحاج قاسم^(١).

(١) نفس المرجع ص ٣١٣.

[١٦]

الصحافة في الجزائر

غزت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ ، إلا أنها لم تتمكن من إخضاعها والسيطرة عليها إلا في سنة ١٨٤٧ ، وبالرغم من ذلك لم يستسلم الجزائريون للاستعمار الفرنسي ، بل قاوموه مقاومة عتيفة . وقد شهد القرن التاسع عشر والعشرين انتفاضات عديدة للشعب الجزائري ضد فرنسا ، التي أقامت في الجزائر حكما جائرا مستبدا ، كان من نتيجته أن ظل القلق والثورة بخيمان على الجزائر بالرغم من أساليب القمع والعسف التي اتبعتها فرنسا في حكمها لها .

ولقد حاولت فرنسا منذ نزولها في الجزائر أن تثبت حكمها في هذه البلاد وتدعمه بمجموعة من التشريعات القانونية التي تبيح في نظرها إلحاق الجزائر بفرنسا : فأصدرت في يوليو أمرا باعتبار الجزائر إحدى «الممتلكات» الفرنسية ، وتعيين حاكم عسكري لها تحت سلطة وزير الحرية الفرنسي مباشرة . وبعد حوالي أربعة عشر عاما ، رأت الحكومة الفرنسية أن تتبع في الجزائر سياسة عرفت «بالادماج» Assimilation (أي إدماج الجزائر في فرنسا) ، فأصدرت في ٤ مارس سنة ١٨٤٨ قانونا باعتبار الجزائر مكملا لفرنسا . وبذلك صارت الجزائر - بمقتضى هذا القانون - أرضا فرنسية تسرى عليها قوانين الدولة التي يضعها البرلمان الفرنسي^(١) .

وعمدت الحكومة الفرنسية إلى تشجيع أهالي الجزائر على اختلاف طبقاتهم وديانتهم على التجنس بالجنسية الفرنسية فأصدر مجلس الشيوخ الفرنسي في ١٤ يوليو ١٨٦٥ قراراً ينصّ على اعتبار المسلمين الجزائريين فرنسيين ، بشرط

(١) د. محمد أنيس، د. السيد رجب حراز: المرجع السابق ص ١٤٤ .

أن يخضعوا لأحكام القانون الفرنسى. غير أن معظم المسلمين رفضوا هذا القرار وتمسكوا بالتعامل بأحكام الشريعة الإسلامية، ولم يقبله منهم سوى عدد قليل. وكذلك أعرض الجزائريون عن طلب التمتع بحقوق «المواطنة» الفرنسية عندما عرضته عليهم حكومة باريس سنة ١٩١٩^(١).

وقد أدت معارضة الجزائريين لهذه العروض الفرنسية إلى فشل سياسة «الاندماج» التي حاولت فرنسا اتباعها فى الجزائر، فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى اتباع سياسة أخرى أطلق عليها «المشاركة» Assimilation وهي السياسة التي قصد بها المحافظة على «الوضع الإسلامى» للجزائريين المسلمين، مع تمتع هؤلاء بحقوق الجنسية الفرنسية. فأصدر البرلمان الفرنسى فى ٧ مارس سنة ١٩٤٤ قانونا يبيح للمسلمين الجزائريين التمتع بحقوق المواطنين الفرنسيين مع احتفاظهم «المسلمين» بوضعهم الإسلامى، أى السماح لهم بالتعامل وفق الشريعة الإسلامية، ولكن الجزائريين المسلمين رفضوا هذا القانون أو بالأحرى سياسة «المشاركة» كما رفضوا من قبل سياسة «الاندماج».

ولم تلبث الحكومة الفرنسية أن أصدرت فى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ قانونا اعتبرت الجزائر بموجبه مجموعة «عمالات (ولايات) فرنسية تتمتع بشخصيتها المدنية وباستقلال مالى وإدارة خاصة». ونص هذا القانون كذلك على أن «يمارس الحاكم العام السلطة التنفيذية، بينما يمارس السلطة التشريعية مجلس حكومى يتألف من ستة أعضاء يعين الحاكم العام ثلاثة منهم ويضاف إليهم رئيس ونائب رئيس ورئيس للمالية». ونص القانون أيضا على أن «يقام مجلس نواب جزائرى يتألف من مائة وعشرين عضوا نصفهم من المواطنين الجزائريين والنصف الآخر من الفرنسيين المستوطنين فى الجزائر. وهم ينتخبون انتخابا عاما وفى دورتين بالاقتراع السرى.

ولكن الشعب الجزائرى لم يترك فرنسا تفعل ببلاده ما تريد، فأعلن فى

(١) د. محمد أئيس، ود. السيد رجب حراز: السابق ص ١٤٤.

نوفمبر سنة ١٩٥٤ ثورته على الاستعمار الفرنسى ، مناديا بتحرير بلاده واستقلالها، وقامت جبهة التحرير الوطنى الجزائرية، وتمكنت من السيطرة على البلاد وإقامة إدارة محلية تشرف على الأعمال الحربية والمدنية فى ربوع الجزائر. وفى ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ أعلن الوفد الجزائرى لجبهة التحرير الوطنى الشروط التى توافق الجبهة بموجبها على تسوية المشكلة الجزائرية، وهى (١):

أولاً: اعتراف الحكومة الفرنسية بمبدأ استقلال الجزائر.

ثانياً: إقامة حكومة جزائرية لوضع أسس العلاقات بين الجزائر وفرنسا.

ثالثاً: إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ووقف الإجراءات القضائية ضد الوطنيين وعودة المبعدين.

ولكن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة على هذه الشروط، وراحت تحارب الشعب الجزائرى محاربة لا هوادة فيها، تكثف فى هذه الحرب بقوات جيوشها المحلية، بل سحبت فرقاً من قواتها فى حلف شمال الأطلسى وأرسلتها إلى الجزائر لمحاربة الوطنيين، ومحاولة سحق ثورتهم الباسلة. واتسمت العمليات الحربية الفرنسية فى الجزائر بطابع التخريب الشامل والإبادة الجماعية، ويقصف القرى والمدن فى المناطق التى شملتها الثورة.

وتصور صحف الوطن العربى موقف الدول العربية فى مواجهة فظائع فرنسا فى الجزائر، فتقدمت حكومة المملكة العربية السعودية فى ١٤ يونيو سنة ١٩٥٤ إلى جامعة الدول العربية مبدياً استعدادها لعرض قضية الجزائر على الأمم المتحدة، وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٤ نشرت الصحف بيان جامعة الدول العربية عن موقفها من ثورة الجزائر جاء فيه أن «الأمّة العربية فى أقطارها القريبة والمتباعدة كل لا يتجزأ، وأن حبس الحرية عن الشعوب يتنافى مع مبادئ

(١) نفس المرجع ص ١٤٦.

عبدالمعز شرف: المقاومة فى الأدب الجزائرى؛ بيروت: دار الجيل ص ١٩٠.

الحق والعدل. وقد أعلن الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، كما سبق الرئيس ويلسون أن أعلن ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى».

تضمن البيان الذى أذاعه رؤساء حكومات مصر والهند وبيوغسلافيا فى ٢١ يوليو سنة ١٩٥٦ عقب انتهاء محادثات برونى، نداء إلى فرنسا لإيجاد حل عادل سلمى لمشكلة الجزائر، وقد جاء فى هذا البيان أنه «نظرا لإيمان رؤساء الحكومات الثلاث بأن السيطرة الاستعمارية غير مرغوب فيها إطلاقا، فضلا عما يترتب عليها من أضرار للحاكمين والمحكومين معا، فإنهم يرون من واجبهم التعبير عن عطفهم التام على رغبة شعب الجزائر فى الحرية، وهم يدركون أن فى الجزائر عددا كبيرا من الأشخاص الذين هم من أصل أوروبى، والذين تحب حماية مصالحهم، على أنه يجب ألا يقف هذا فى طريق الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الجزائرى، وهم يؤيدون كل الجهود والمفاوضات التى تهدف إلى إيجاد حل عادل سلمى لوقف أعمال العنف، ويجب أن يؤدى وقف إطلاق النار والمفاوضات بين الأطراف التى يعنىها الأمر إلى تسوية سلمية للمشكلة». غير أن فرنسا لم تستجب لهذا النداء ومضت تعزز قوتها فى الجزائر بغية القضاء على ثورتها الوطنية، الأمر الذى جعل ضروريا عرض قضية الجزائر على جمعية الأمم المتحدة، وقد وافقت هذه فى ١٥ فبراير سنة ١٩٥٧ على مشروع قرار ينص على إيجاد «حل سلمى ديمقراطى عادل عن طريق الوسائل الملائمة التى تتفق ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة». وفى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٨ أعلن فى القاهرة باسم الشعب الجزائرى تأليف حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية تكون مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائرية^(١).

كانت أول صحيفة تصدر فى الجزائر هى stafette D'Algerie استافيت دالجيرى ومعناها بالعربية «الساعى الجزائرى». صدر العدد الأول فى أول يوليو ١٨٣٠.

(١) نفسه ص ١٤٨.

ثم صدرت صحيفة Le Moniteur Algerien أى «الرائد الجزائرى» التى ظهر عددها الأول فى ٢٧ يناير ١٨٣٢، وهى صحيفة رسمية تنشر قرارات الجيش المحتل وأوامره وتصدر أسبوعية فى أربع صفحات.

وفى ١٨٣٩ صدرت صحيفة أسبوعية باللغة الفرنسية اتخذت بعد ذلك اسما عربيا هو «الأخبار»، وقد حظرت السلطات الفرنسية فى تلك الفترة الكلام عن الحرب أو عن السياسة أو عن الإدارة الحكومية^(١).

ويظهرنا تاريخ الصحافة فى الجزائر على حكومة الاحتلال وقد أصدرت فى سنة ١٨٤٧ صحيفة شبه رسمية بلغتين تشمل طبعة مختصرة باللغة العربية، تحت مسمى: «المبشر» بالعربية و«لوميركور» بالفرنسية، وظلت «المبشر» الصحيفة العربية شبه الوحيدة فى الجزائر حتى نهاية القرن التاسع عشر.

وما لبثت صحيفة «كوكب إفريقيا» أن أصدرها جزائرى سنة ١٩٠٧ إلى أن توقفت سنة ١٩١٤.

وقد أصدر حزب الشعب الجزائرى (١٩٣٧) صحيفة «الشعب» بالعربية و«البرلمان الجزائرى» بالفرنسية.

ونادت صحيفة «ذو الفقار» قبل الحرب العالمية الأولى وصحيفة «الإقدام» بعد هذه الحرب بالعمل على إنهاض الشعب الجزائرى والدفاع عن مصالح الوطنيين والمسلمين الفرنسيين فى الجزائر وكانت الصحيفة الثانية تصدر بالفرنسية مع صفحتين باللغة العربية مختلفتى المحتوى، وقد توقفت «الإقدام» سنة ١٩٢٣ وحلت محلها «التقدم» التى كانت تحرر باللغة الفرنسية إلى أن توقفت عن الصدور سنة ١٩٣١.

ومن أهم الصحف العربية التى صدرت فى العشرينات صحيفة «وادی ميزاب» (١٩٢٦)^(٢) و«المنتقد» أول صحيفة يصدرها عبد الحميد بن باديس

(١) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة فى الجزائر، الجزائر الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧١.

(٢) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة فى الجزائر، الجزء السادس، الصحافة العربية فى الجزائر بين الحرين ١٩٢٠ - ١٩٤٠، القاهرة ١٩٧٧، ص ٩ وما بعدها.

العلامة الجزائرى وأبو الصحافة الجزائرية الحديثة، وقد ظهر منها ثمانية عشر عددا، وحل محلها «الشهاب» (١٩٢٥).

وابتداء من سنة ١٩٣١ أصبح علماء المسلمين في الجزائر هم قادة الرأى العام الجزائري بفضل صحف أصدروها لهذا الغرض منها «الثبات» و«الشريعة»، وقد أوقفتها الحكومة إداريا سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٤ علي التوالى، وكان الوطنيون الجزائريون يصدرون أغلب صحفهم باللغة الفرنسية ليتفادوا قسوة القانون، ذلك أن الصحف المحررة بالفرنسية كانت تخضع للقانون العام لا للتشريع الخاص بالوطنيين^(١).

كما كانت هناك صحف محايدة كصحيفة «التجاح» التي صدرت في قسنطينة سنة ١٩٢٠.

ويعتضى قانون ٢٨ أغسطس ١٩٣٩ عطلت السلطات الفرنسية جريدة «البصائر» التي كان يحررها الشيخ محمد بشير الإبراهيمى، وكان هذا القانون يمنح «الحق للسلطات الفرنسية في مراقبة جميع المطبوعات، وحق وقف أو منع المطبوعات، وكان شعار هذه الصحيفة: «العروبة والإسلام»^(٢).

يقول د. عبدالمالك مرتاض^(٣): ولم يكن هناك بدّ لكل هيئة دينية أو إصلاحية أو سياسية أو صوفية، من إصدار جريدتها الخاصة بها، وأحيانا جرائد متعددة في وقت واحد، للتعبير عن آرائها في القضايا التي تعنيها، فكان ينشأ عن ظهور هذه الجرائد، كتاب للمقالة بأنواعها المختلفة.

ونحسب أن هذه الفترة أزهى فترة إطلاقا، عرفت الجزائر طوال عهد

(١) نفسه ص ٢٤٢. د. خليل صبايات: السابق ص ٣٤٢.

(٢) خالد محمد نعيم، الشيخ محمد بشير الإبراهيمى، مجلة اليقظة العربية، السنة الخامسة، العدد الأول، يناير ١٩٨٩، ص ٦٠ وما بعدها.

(٣) د. عبدالله مرتاض: الثر الأدبي في الجزائر، ص ٨٦.

الاحتلال الفرنسى، وقد أطلقنا هذا الحكم هنا، لما استأثرت به هذه الفترة من كتاب ممتازين، أثروا الحركة الأدبية، وفن المقالة بوجه خاص، بما كانوا يملكون من مواهب وعقريات، فلقد أتيج لهذه الفترة أن تعرف طبقة ممتازة من كتاب المقالة الأدبية، لم تستطع العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن فى الجزائر أن تظهر بمثلها، فقد كانت هذه الطبقة تصطنع لغة نقية فصيحة، وأحيانا جزلة قوية، كما كانت تستخدم أسلوبا ناضرا أنيقا رشيقا. وكانت صحف الاتجاه الإصلاحى خاصة، لا تنشر من المقالات إلا ما استوت فيها عربية قائمة على احترام القواعد النحوية، مستكملة لأسباب الفصاحة^(١).

إنها الفترة التى عرفت فيها المقالة الأدبية، ابن باديس، ومحمدا البشير الإبراهيمى، ومحمدا السعيد الزاهرى، وأحمد المدنى، ومحمدا العابد الجلالى، وباعزيز بن عمر، وأبا يعلى الزواوى، وفرحات الدراجى، والطيب العقبى، وأبا اليقظان، وأحمد بن ذياب، وأحمد رضا حوحو، وسواهم ممن انتعشت المقالة الأدبية بفعل أقلامهم، ونتاج قرائحهم، وبعد همهم فى إحياء العربية وبعث الأدب فى هذه الربوع.

ثم إنها الفترة التى عرفت أرقى الصحف العربية^(٢) وأشهرها وأبعدها تأثيرا، وأكثرها وأشدّها سلطانا على نفوس الناس فى «الشهاب» و«البصائر» مثلا كانتا تحييان فيها، وهذه أحد الدلائل فيما يرى د. مرتاض فما كان من الصحف والمجلات، فى الجزائر، قبل ظهور هاتين الدوريتين، لم يكن يملأ عين الأدب جمالا، ولا يقرى أذنه فنا وكمالا.

وفى بداية هذه الفترة أخذ قراء الصحف العربية يتكاثرون رويدا رويدا فوثب عددهم من ثمانية آلاف قارئ فى الشهر خلال سنة أربع عشرة وتسعمائة

(١) نفسه ص ٨٦.

(٢) بريد د. مرتاضى «الصحف العربية»: الجرائد الوطنية التى كانت ناطقة بالعربية السابق ص ٨٧.

وَأَلَفَ، إِلَى أَرْبَعَةِ وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَمِائَةً فِي الشَّهْرِ، خِلَالَ سَنَةِ ثَلَاثَةِ وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلَفَ^(١) وَلَا سِوَاءَ عَهْدٍ فِيهِ أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفَ قَارِئٍ، وَعَهْدٌ آخَرُ فِيهِ قَرَابَةُ مِائَتِي أَلْفٍ مِنَ الْقُرَاءِ. وَالْبُيُوتُ الشَّاسِعُ بَيْنَ الرَّقْمَيْنِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِدَدَ الْقُرَاءِ كَانَ فِي تَكَاثُرٍ وَارْتِفَاعٍ، وَكَانَ هَذَا التَّكَاثُرُ أَثَرًا مِنْ أَثَارِ هَذِهِ الصَّحَافَةِ وَمَا كَانَتْ تَنْشُرُهُ مِنْ مَقَالَاتٍ أَدَبِيَّةٍ وَإِصْلَاحِيَّةٍ ذَاتِ تَأْثِيرٍ بَعِيدٍ.

إِلَى أَنْ يَقُولَ د. مَرْتَاضُ: «وَلَمَّا كَانَتْ الصَّحُفُ الْعَرَبِيَّةُ إِنَّمَا أَنْشَأَتْهَا الْأَحْزَابُ الْوَطَنِيَّةُ، وَالْهَيِّاتُ الْإِصْلَاحِيَّةُ، وَالصُّوْفِيَّةُ، وَالِدِينِيَّةُ فِي الْجَزَائِرِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعْبِرَ عَنْ آرَائِهَا، وَتَرُدَّ عَلَى هَجُومَاتِ خُصُومِهَا، فَلِإِنْ وَجَدَ هَذِهِ الصَّحُفُ نَفْسَهَا، تَنْشَأُ عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ نَشْوَئِهِ بَدًّا، وَهُوَ وَجُودُ حَرَكَةٍ أَدَبِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. وَنَرِيدُ بِالْحَرَكَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْمُعَيَّنَةِ هُنَا، إِلَى «الْمَقَالَةِ الْأَدَبِيَّةِ» بِالذَّاتِ، لِأَنَّ طَبِيعَةَ الصَّحْفِ لَا تَحْتَمِلُ أَنْ تَنْشُرَ فِيهَا الْمَجْلَدَاتِ الضَّخَامَ، أَوْ الْأَبْحَاثَ الْمَعْمَقَةَ، وَالْمَوْضُوعَاتِ الْأَدَبِيَّةِ الدَّسْمَةَ، وَإِنَّمَا تَحْتَمِلُ مَقَالَاتٍ أَدَبِيَّةً مِنْ جَنْسٍ مُعَيَّنٍ، وَفِي إِطَارٍ مُعَيَّنٍ، يَكُونُ الْجَانِبُ الثَّقَافِيُّ الْمُبَسَّطُ، فِيهَا، أَهْمُ مِنْ الْجَانِبِ الْأَكَادِيمِيِّ الْمَعْمَقِ.

وَقَدْ قَدَّرَ لِهَذِهِ الْفَتْرَةِ، أَنْ تَعْرِفَ رِجَالَاتُ مُفَكِّرِينَ، وَكُتَّابًا مُلْهِمِينَ، يَعْذُّ بَعْضُهُمْ فِي طَلِيعَةِ كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَفِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِنْ شِيُوخِهَا الْمُبَرِّزِينَ، كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ الَّذِي مَلَأَ الْجَزَائِرَ بِمَقَالَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ ذَاتِ الْأُسْلُوبِ الْأَتْنَقِ^(٢).

«فَكَانَ مَتَظَرًّا، وَالْحَالُ هَذِهِ، أَنْ تَنْتَعِشَ الْمَقَالَةُ الْأَدَبِيَّةُ فِي الْجَزَائِرِ، وَتَتَعَلَّقَ بِأَلْوَانٍ مِنَ التَّطَوُّرِ، وَأَسْبَابٍ مِنَ الرِّقَى الَّذِي دَارَجَهَا حَتَّى أَفْضَى بِهَا إِلَى مَنَزَلَةِ الْإِزْدِهَارِ، فَقَدْ كَانَ الْكِتَابُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، يَنْفَعِلُونَ بِالْبَرَائِكِينَ الْمَشْحُونَةِ بِالْحَمَمِ. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَجِيْشَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ ذَاتِ الْبَالِ، أَوْ يَعْتَلِجَ فِي

(١) نَفْسُهُ ص ٨٩.

(٢) نَفْسُهُ ص ٨٨.

صدورهم أمر من الأمور الجسام، وإذا أقلامهم تتحرك سيالة ماضية لا تلوى على شيء حتى تستكمل المقالة المدبجة أسبابها.

«لقد كان الكتاب الإصلاحيون والتقدميون خلال هذه الفترة، ملتزمين بالقضايا الوطنية أشد الالتزام، بحيث كنت تراهم يتحمسون لكل ما من شأنه أن يكون له صلة بالحياة العامة علي اختلافها، فتجدهم يكتبون عنه ويتحاورون حوله. ربما كان حوارهم حوله يطول أشهراً معدودات، كما حدث للمقالة الأدبية التي نشرها عبدالوهاب بن منصور حول الركود الأدبي: بعنوان «ما لهم لا ينطقون» فقد احتدم النقاش حول هذه المقالة واستمر شهوراً طويلة، وأسأل أقلاماً كثيرة كانت من قبل جامدة وحركت نفوساً كثيرة كانت خامدة، ويلور مفاهيم كانت غامضة^(١)».

وصدرت عدة صحف جزائرية في المنفى، وبين صفوف جبهة التحرير الوطنية. وفي مقدمة هذه الصحف: «المقاومة الجزائرية» التي حل محلها صحيفة «المجاهد»^(٢) التي بدأت تطبع في حي القصبة بمدينة الجزائر في مايو ١٩٥٦ ثم اضطرت إلي الهجرة إلى تونس، وقد نشرت بلاغات جبهة التحرير ومقالات سياسية، وكانت تصدر بالفرنسية، أما الطبعة العربية فقد صدرت سنة ١٩٥٧، وابتداء من شهر مايو ١٩٦٢ وزعت «المجاهد» في قسنطينة وفي شهر يونيو أصبحت تباع في كل مكان في الجزائر، وإلى جانب «المجاهد» ظهرت صحيفة «لوفرييه الجيريان» (١٩٥٦) أي العامل الجزائري، بالفرنسية وكانت تطبع في تونس.

(١) نفسه ص ٨٩.

(٢) د. عواطف عبدالرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨ ص ٥٥ وما بعدها.

ولما تم تحرير الجزائر في أول يوليو ١٩٦٢ استمرت «المجاهد» الفرنسية تصدر حتى اليوم.

وصدرت «الشعب» يومية باللغة الفرنسية في ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ و«الشعب» باللغة العربية في ١١ ديسمبر ١٩٦٢، وقد طبعت كل هذه الصحف في الجزائر العاصمة.

وتعتبر سنة ١٩٦٣ السنة التي أقيمت فيها مؤسسات جديدة والسنة التي تحولت الصحف فيها إلى صحف جزائرية، فقد اختفت صحف المستوطنين الفرنسيين أو أممت في سبتمبر من تلك السنة وحلت محلها صحف جزائرية جديدة^(١).

وفي ٣ يناير ١٩٧٢ صدرت صحيفة جديدة باللغة العربية تحمل اسم «نصر» في مدينة قسنطينة، وكانت هذه الصحيفة تصدر في السابق باللغة الفرنسية وتضم في الوقت نفسه صفحتين باللغة العربية.

(١) د. خليل صابيات: السابق ص ٢٤٥.

[١٧]

الصحافة في المغرب

ظلت مراكش دولة مستقلة حتى أواخر سنة ١٩١٩، حينما قامت الجيوش الفرنسية والأسبانية بغزوها، فتزلت الجيوش الأسبانية على الساحل الشمالي، في حين زحفت الجيوش الفرنسية على مدينة فاس عاصمة البلاد واحتلتها، وأرغمت السلطان في ٣٠ مارس ١٩٢٠، على توقيع معاهدة الحماية، وقسمت مراكش إلى منطقتين فرنسية وأسبانية، والاعتراف بحياد منطقة طنجة ودوليتها^(١).

على أن فرنسا لم تستطع إخضاع مراكش لسيادتها نهائيا إلا سنة ١٩٣٥ وفي هذه المدة الطويلة، قامت في البلاد ضد الاستعمار الأجنبي (الفرنسي والأسباني) ثورات عديدة، كان من أبرزها ثورة الريف أو الحرب الريفية (في شمال مراكش)، وهي التي قادها بين سنتي ١٩٢٤، ١٩٢٧ الأمير عبدالكريم الخطابي زعيم قبيلة بني ورياغل أكبر قبائل شمال مراكش، ضد أسبانيا أولا ثم ضد فرنسا ثانيا، وفي هذه الحروب أوقع الريفيون بالأسبان، والفرنسيين؛ هزائم كثيرة، إلا أنها انتهت بتسليم مجاهدي الريف، ونفت الحكومة الفرنسية الأمير عبدالكريم ورجاله، فظل منفيا حتى سنة ١٩٤٧.

وقد سيطرت فرنسا منذ أعلنت حمايتها علي مراكش على مقاليد الأمور فيها، فمع أنها أبقت الحكومة الوطنية (أو حكومة المخزن) التي يرأسها السلطان (الملك)، إلا أنها جردتها من سلطاتها الفعلية، وأقامت إلى جانبها إمارة (إقامة) فرنسية يتولى رأسها مقيم فرنسي عام، صارت في الواقع تمثل حكومة مراكش

(١) د. محمد أنيس ود. السيد رجب حراز: السابق ص ١٤٠.

الفعلية. غير أنه على عكس ما فعلت فرنسا في منطقة حمايتها (مراكش الفرنسية) من حيث إيقائها على حكومة المخزن وتجريدها من سلطانها، فإن أسبانيا لجأت في منطقة حمايتها (مراكش الأسبانية) إلى إنشاء حكومة مركزية جديدة وضعت على رأسها ممثلاً للملك مراكش هو خليفته في مدينة تطوان، وجعلت من هذه المدينة عاصمة جديدة.

حاول الفرنسيون منذ أن فرضوا حمايتهم على مراكش اتباع سياسة تستهدف التفرقة بين عنصرى الأمة المراكشية – العرب والبربر – بقصد خلق الانقسام بينهم حتى يسهل على السلطات المستعمرة حكم البلاد، يراود الحكومة الفرنسية الأمل في إمكان «فرنسة» مراكش بالاعتماد على البربر فبدلت جهوداً كبيرة لإحياء اللغة البربرية وتدوينها ووضع قواعد نحوية لها.

وعمد الفرنسيون في نفس الوقت إلى تشجيع قبائل البربر على تعلم اللغة الفرنسية بدلاً من اللغة العربية وأنشأ لهم محاكم خاصة عرفت بمحاكم الجماعة، وهى محاكم تستمد أحكامها من العرف والتقاليد البربرية القديمة بدلاً من الشريعة الإسلامية^(١).

ولقد قامت في مراكش منذ سنة ١٩٣٠ حركة وطنية سليمة تهدف إلى مقاومة سياسة فرنسا الاستعمارية ولاسيما «سياسة البربر» وتآلف حزبان سياسيان هما «الحزب الوطنى» برئاسة علال الفاسى و«حزب الحركة القومية» برئاسة محمد حسن أوزانى. وقام في مراكش الأسبانية حزب سياسى آخر برئاسة عبدالحالط الطريس هو «حزب الإصلاح»، وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية تآلف سنة ١٩٤٤ في مراكش الفرنسية «حزب الاستقلال» برئاسة أحمد بلا فريخ، الذى نادى بالاستقلال وقيام الحياة النيابية في مراكش.

ولقد كان لتأييد القصر في مراكش للحركة الوطنية فى البلاد، أثر كبير في

(١) نفسه ص ١٤٢.

تقوية هذه الحركة، وبث الشعور القومي في نفوس المراكشيين، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية صار السلطان محمد الخامس سلطان مراكش محور الحركة الوطنية في البلاد. ولاشك في أن تأييد السلطان للحركة الوطنية ومناصرته لها سبب غضب فرنسا ونقمتها عليه. وفي يناير سنة ١٩٥١ تأزمت الأمور بين السلطان والمقيم الفرنسي العام (الجنرال جوان) عندما طلب الأخير من السلطان أن يعزل وزارته وأن يتبرأ من حزب الاستقلال، وأن يطرد بعض كبار الموظفين المتصلين بالحركة الوطنية، وإلا فعليه التنازل عن العرش، واضطر السلطان من أجل تخفيف حدة التوتر إلى قبول بعض الطلبات الفرنسية، فعزل الوزارة و«شذب» حزب الاستقلال. بيد أن المقيم الفرنسي الجديد (الجنرال جيوم) لم يلبث أن أمر جحافل الجيش الفرنسي في ديسمبر سنة ١٩٥٢، بأن تكتسح البلاد وأن تعيث فيها قتلا وتذويحا واتهم حزب الاستقلال بإثارة المشاغب، وألقى القبض على زعمائه، وصدرت الأوامر بحل هذا الحزب وبتعطيل صحفه ومجلاته ونواديته^(١).

وهكذا خلا الميدان الداخلي من حزب الاستقلال، وبقي السلطان محمد الخامس يواجه الاستعمار الفرنسي بمفرده، ولجأ الفرنسيون إلى تحريض عدد من الباشوات الإقطاعيين وعلى رأسهم «تهاى الجلاوى» ضد السلطان، وأوعزوا إليهم أن يطالبوا الحكومة الفرنسية بعزله، ونفذت السلطات الفرنسية هذه المؤامرة، وقامت في ٢٠ أغسطس ١٩٥٤ بنفى السلطان وأفراد أسرته في جزيرة كورسيكا أولا ثم في جزيرة مدغشقر.

وكان الأسبان أول من أصدر صحيفة في المغرب، ففي أول مايو ١٨٢٠ صدرت صحيفة «الليبرال أفريكانو» أى الإفريقى الحر باللغة الأسبانية، وكانت الصحيفة لسان حال اللاجئيين السياسيين الأسبان، وصدر بعد ذلك بعض

(١) نفسه ص ١٤٢.

الصحف الأسبانية الأخرى ثم تبعتها صحيفة باللغة الانجليزية وأخرى بالفرنسية، وكان أغلب هذه الصحف يصدر في طنجة عاصمة المغرب السياسية في ذلك الوقت^(١).

وكانت هناك محاولة لإصدار صحيفة باللغة العربية في القرن التاسع عشر تتمثل في صحيفة «المغرب» التي أصدرها في ربيع ١٨٨٩ محرر صحيفة «تايمز» أوف مرويوكو ولكن المحاولة فشلت لمقاطعة المفوضيات لهذه الصحيفة.

وفي بداية القرن التاسع عشر، شجعت السياسة الجديدة التي عرفت بالتغلغل السلمي، مختلف الصحف الأوروبية على تخصيص صحيفة باللغة العربية للقراء المغاربة، وبدأ بعد ذلك إصدار صحف مكتوبة باللغة العربية. فقد أصدر الفرنسيون صحيفة «السعادة» سنة ١٩٠٥ كما ظهرت «الحق» سنة ١٩١١ لتهاجم الفرنسيين.

غير أن أهل المغرب اليوم لا يعترفون إلا «بلسان المغرب»^(٢) كأول صحيفة مغربية وطنية، سنة ١٩٠٧.

وعندما أعلنت فرنسا الحماية على المغرب في ٣٠ مارس ١٩١٢ بدأت الصحف الفرنسية تتفوق على منافساتها الأوروبية في المنطقة الجنوبية وتفتوق الصحف الأسبانية في المنطقة الشمالية، بعد إعلان أسبانيا حمايتها عليها في ٢٧ نوفمبر ١٩١٢^(٣).

وأنشأت دار المندوب السامي كذلك: (الجريدة الرسمية المغربية) بالفرنسية ثم بالعربية، في أول أبريل ١٩١٣.

ويذهب د. خليل صابات إلى أن الصحافة الفرنسية الإخبارية الكبرى

(١) د. خليل صابات: السابق ص ٣٥٥

(٢) صدرت هذه الصحيفة في طنجة بالمغرب في ٨ فبراير ١٩٠٧ صاحبها فرج الله وأرثور نمور (راجع قاموس الصحافة العربية ليوسف أسعد داغر، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٣٤).

(٣) د. خليل صابات: السابق ص ٣٥٦.

انطلقت ابتداء من سنة ١٩٢٠، وقد اجتذبت المغرب، بفضل التحول الاقتصادي الذى حدث فيها، رؤوس الأموال، وكانت البورجوازية الغنية لا يهتمها من الصحف إلا قراءة الترقيات والإعلانات وأخبار المشروعات الاقتصادية التي كانت تخدم مصالحها^(١).

وكان الوطنيون يكتبون فى الصحف الإصلاحية التونسية أو الشرقية، ثم حاولوا أن يصدروا فى فاس صحيفة سرية اسمها «أم البنين» وكونوا بعد ذلك لجنة عمل وطنية أرسلت بعض أعضائها إلى باريس حيث أنشأوا سنة ١٩٣٢ مجلة «المغرب» بالفرنسية^(٢).

وفى سنة ١٩٣٣ صدرت صحيفة أسبوعية فى مدينة فاس باسم «لاكسيون دى بوبل» أى عمل الشعب، وكانت هذه الصحيفة لسان لجنة العمل الوطنية فى الداخل.

وصدرت صحيفة «الحياة» ومجلة «السلام» سنة ١٩٣٣ و«لاخوجا فيردى» أى الصحيفة الخضراء بالاسبانية.

وأهم صحف ما قبل الحرب العالمية الثانية صحيفة «الأطلسي» الأسبوعية لسان الحزب الوطنى الذى كافح من أجل إقامة نظام حكم وطنى إسلامى. ولم يصمد خلال الحرب العالمية الثانية من الصحف المغربية سوى «الوداد» و«التقدم» و«لافوا ناسيونال» أى الصوت الوطنى.

وأصدر حزب الاستقلال صحيفة «العلم» اليومية العربية فى الرباط سنة ١٩٤٦، غير أن هذه الصحيفة تعرضت للتعتيل عدة مرات، بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٦.

وفى سنة ١٩٥٣ أنشئت باللغة العربية صحيفة يومية ثانية فى الدار البيضاء

(١) نفس المرجع ص ٣٥٧.

(٢) نفسه ص ٣٥٨.

أطلق عليها اسم «الرأى العام» لتكون لسان حال الحزب الديمقراطى للاستقلال .

وعاد السلطان محمد بن يوسف من منفاه في نوفمبر ١٩٥٥ وأعلن استقلال البلاد في ٢ مارس ١٩٥٦ ، وهكذا انتهى النظام الاستعماري في المغرب^(١) .

واستأنف حزب الاستقلال منذ نوفمبر ١٩٥٥ إصدار «العلم» وأشرف علي عدد كبير من المجلات الأسبوعية الفرنسية والعربية .

واستأنف الحزب الديمقراطى الدستورى إصدار صحيفة «الرأى العام» (١٩٥٥) وأسس الصحيفة الأسبوعية «ديموكرات» أى الديمقراطية باللغة الفرنسية ، كما استأنف الحزب الشيوعى إصدار «حياة الشعب»^(٢) .

وبعد وفاة الملك محمد الخامس سنة ١٩٦١ ، حاول ابنه الملك الحسن الثانى تطبيق نظام دستورى فى البلاد .

(١) نفس المرجع ص ٣٦٠ .

(٢) نفسه ص ٣٦٠ .

[١٨]

الصحافة في موريتانيا؛

صدرت في موريتانيا عقب استقلالها صحيفة «موريتانيا الحديثة»، عام ١٩٦٠، شهرية أول الأمر، وكانت تطبع بالعربية والفرنسية في ميناء سان لويس السنغالي، وقد توقفت عن الصدور سنة ١٩٦٤، وحلت محلها صحيفة «الشعب» بالعربية وصحيفة «Le Peuple» بالفرنسية أي الشعب.

وفي سنة ١٩٧٢ قررت الحكومة إنشاء صحيفة يومية، عربية فرنسية، أطلقت عليها اسم «الشعب»، غير أنها ما لبثت أن غيرت اسمها إلى «أخبار نواكشوط» بالعربية و«نواكشوط أنفورماسيون» بالفرنسية.

وعندما تم تأسيس الشركة الوطنية للصحافة والنشر، صدر عنها في أول يوليو ١٩٧٥ صحيفة «الشعب» بالعربية والفرنسية وهما صحيفتان يوميتان تعبران عن رأى حزب الشعب الموريتانى.

وفي سنة ١٩٧٥ تأسست الوكالة الموريتانية للصحافة بموجب المرسوم الصادر فى ٣٠ يناير ١٩٧٥، وهى وكالة رسمية شأنها فى ذلك شأن كل الوكالات العربية للأبناء^(١).

(١) د.. خليل صابات: السابق ص ٣٦١.

